حنيف قريشي

هدية غابرييل

@ketab_n
8.1.2015

@ketab_n

ترجمة: أبية الحمزاوي

رواية

حنيف قريشي

هدية غابرييل

رواية

ترجمة: أبية الحمزاوي

@ketab_n

Twitter: @ketab_n

هدية غابرييل

Twitter: @ketab_n

رواية المدى

المـــــؤلـــــف : حنيف قريشي
عنوان الكتـــاب : هدية غابرييل
تـرجـــــمـــــة : أبية الحمزاوي
الـنـاشـــــــر : المدى
الطبـعـة الأولى : ٢٠٠٨
الحقوق محفوظة

Author: Hanif Kureishi
Title: Gabriel's Gift
Translator: Abia Al-Hamzawi
Al- Mada P.C.
First Edition : 2008
Copyright © Al- Mada

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
E-mail:almada112@yahoo.com

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع ، أو نقله ، على أي نحو ، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية ، أو بالتصوير ، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك ، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً .

All rights reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

Twitter: @ketab_n

الفصل الأول

-"كيف كانت المدرسة اليوم؟"

- "إنها تقنعني بضعف قدرتي على التعلم". أجاب غابرييل ثم سأل: " هل اتصل أبي؟"

لم يكن يعرف أين أبوه، ولا يفهم ما يحدث للطقس. فمع أن الفصل خريف تناثر رذاذ ربيعي هذا الصباح وهو في طريقه إلى المدرسة برفقة هانا.

وحين وصلا إلى البوابة، كانت طبقة خفيفة من الثلج قد تراكمت على قبعتيهما. وفي استراحة الغداء في باحة المدرسة، سطع ضوء الشمس فجأة، قوياً، دافئاً وكأنه مصباح، كان دافئاً لدرجة أن الأولاد خلعوا ستراتهم ولعبوا وهم يرتدون قمصانهم الداخلية.

في المساء عندما كان يحث الخطى هو وهانا مسرعين إلى البيت مروراً بالحديقة العامة لاحظ غابرييل أن أوراق الشجر المتساقطة عادت إليها دون أن يتحول لونها إلى الأخضر ثانية.

وبطرف عينيه،لاحظ شيئاً أكثر غرابة.

كانت زهرة النرجس ترفع رأسها ثم تحنيه كراقصة باليه وهي تلقي التحية في ختام رقصتها. وعندما غمزته إحداهن خاف غابرييل وأمسك

Twitter: @ketab_n

بيد هانا المشعرة، وهو ما لا يحب أن يفعله عادة خاصة إذا كان من الممكن أن يلمحه أحد أصدقائه. ولكن الأمور اليوم كانت مختلفة، فالعالم بدأ يجن.

-"هل اتصل؟" سأل غابرييل، وهانا هي فتاة أجنبية جاءت إلى البلاد لتسكن لدى إحدى العائلات وتقدم خدماتها مقابل مأواها وسكنها.

-"من ؟"

-"والدي"

-" حتماً لا. ذهب بعيداً! رحل!"

كان والد غابرييل ترك البيت بإلحاح من زوجته منذ ثلاثة أشهر. وعلى غير عادته مضت عدة أيام دون أن يتصل، وأسبوعان منذ أن رآه آخر مرة.

قرر غابرييل أن يرسم النرجس الذي غمزه ما أن يصل إلى البيت ليبقى في ذاكرته ويحكي لوالده عنه. كان والده يحب بعض أبيات شعر عن النرجس يغنيها أو يلقيها وهما يسيران جنباً إلى جنب: " أيها النرجس الجميل، أبكيك وأنت تتلاشى سريعاً هكذا...".

مثلت المحلات التجارية والأرصفة والناس بالنسبة لأبيه عناصر حية كالطبيعة، فهي متبدلة دائماً شأنها شأن الأشجار والماء والسماء.

أما هانا فقد كانت تنظر إلى الأمام كما لو أنها تمشي في نفق. كانت تفهم اللغة الإنكليزية قليلاً، وعندما يتحدث إليها غابرييل كانت تقطب وترتسم على وجهها تعابير امتعاض كشخص يحاول أن يبتلع صحن سجائر. كان كل منهما يدرك مستهجناً أن طفلاً يمكنه أن يتحدث بالإنكليزية أفضل منها.

Twitter: @ketab_n

على الرغم من أن غابرييل كان في الخامسة عشرة من عمره فإن والده ظل يرافقه في العودة من المدرسة إلى البيت حتى وقت قريب كي يبقيه بعيداً عن أي جنوح أو إغراءات محتملة. فمنذ وقت ليس بالبعيد كان قد أنقذه من ورطة في بناء مجاور. كان الأب موسيقياً وكان يتوفر لديه بعض الوقت الفائض خلال النهار، بل الكثير من الوقت الفائض في الواقع، على حد تعبير والدة غابرييل التي بدأت تجد أن ريكس بحد ذاته هو نوع من " فائض".

ومرافقة غابرييل إلى المدرسة كان الروتين اليومي الوحيد الذي يقوم به الأب عدا زياراته إلى الحانة حيث يتواجد العديد من أمثاله، الذين يرون العالم من خلال قعر كأس الجعة.

غالباً ما كان غابرييل ووالده يتوقفان عند المقاهي وبائعي التسجيلات، أو كانا يتوجهان لإحضار الصور التي التقطها غابرييل مؤخراً، والتي يظهّرها صديق لوالده كان في الستينيات والسبعينيات مصوراً ناجحاً له شعبية. أما الفتيات اللواتي أسبلن شعورهن والشباب ذوو السترات العسكرية الذين "خلدهم" هذا الصديق على حد تعبيره بالصور التي التقطها لهم فقد كانوا غرباء وبعيدين عن غابرييل وكأنهم شخصيات ديكنز. لم يكن الرجل مجارياً للتقليعات الحديثة، ونادراً ما كان يعمل؛ ومع ذلك كان يحب أن يتكلم عن التصوير، وقد أعار غابرييل عدة كتب وقدم له العديد من قصاصات الصحف شارحاً له تقنيات ومحاولات في التصوير.

كان يحلو للأب أن يصرح دائماً بأن المدرسة هي آخر مكان يمكن للمرء أن يتعلم فيه، وأنك إذا فتحت عينيك بشكل جيد خارج المدرسة

Twitter: @ketab_n

فستجد المعلم الحقيقي في كل مكان، وأن كل ما كان يتذكره من أيام المدرسة كان شيئاً يتعلق بالتشريج والتصريج (طريقة في بناء الأكواخ بضفر القضبان ثم تطيينها)، وأحواض السباحة ومياهها المثلجة في التاسعة صباحاً، وتسارع حركة جبال الجليد التي لم يعد يتذكر عنها شيئاً اليوم.

كان الوصول إلى البيت يستغرق وقتاً طويلاً عندما يكون غابرييل برفقة أبيه الذي كان يقف على الرصيف مباعداً ساقيه ومؤرجحاً يده وجاهزاً لطرح الأسئلة الأكثر حميمية على أشخاص يعرفهم معرفة سطحية، - كم تشرب ؟ هل ما زلتما تنامان في السرير نفسه؟ هل تحبها؟ ولدهشة غابرييل، لم يكن الشخص الذي يطرح عليه السؤال يجيب وحسب، بل كان يستفيض في الإجابة وأحياناً دون توقف بينما يهز والد غابرييل رأسه مصغياً، ثم يشرع كلاهما بمناقشة ما توصلا إليه من نتائج وهما في طريقهما إلى البيت.

ذهب أبي الآن ليعيش في مكان آخر. وإذا لم تكن الحياة قد انقلبت رأساً على عقب، فإنها على الأقل قد أصبحت على غير عادتها، محفوفة بالخطر، وغير مستقرة حتماً.

أصرت والدة غابرييل أن تقوم هانا بمرافقته في طريق عودته من المدرسة تجنباً لمزيد من القلق بعد أن ترك أبوه البيت.

اليوم بينما كان غابرييل وهانا مسرعين كان هناك صوت يتبعهما: إما صوت عملاق يصفق في أذنيهما أو صوت رعد. حينما سلكا الدرب الأمامية، هبطت عليهما سحابة ضباب ومزن حجبت الرؤية أمامهما. تعثر غابرييل على الدرج لكن هانا كانت أمامه لحسن الحظ وضمنت له سقوطاً مريحاً.

Twitter: @ketab_n

صار المنزل خاوياً يرجع الصدى عندما يعود غابرييل من المدرسة. فلم يكن يصل إلى باب غرفته صوت صياح أي من والديه. ولا يشارك أمه وأباه في تناول شاي الايرل غراي مع كعك وزبدة وحلوى- "أحب تناول القليل من الكعك المحمص في الظهيرة" هذا ما كان يقوله الأب وهي ملاحظة ربما تكون قد عجلت في رحيله- لقد أحبا كل شيء يحتوي على الكريمة والشوكولا.

وما حدث هو التالي:

في إحدى الأمسيات قبل ثلاثة أشهر نظر غابرييل إلى الخارج عبر نافذة غرفة المعيشة فرأى والده يضع ثيابه وغيتاراته في صندوق شاحنة صغيرة لأحد أصدقائه -كان الأب قد عاد إلى البيت قبل عودة غابرييل من المدرسة- ولوح له من الشارع.

أسرع إليه غابرييل:

-" إلى أين أنت ذاهب؟"

-"بعيداً" أجاب الأب " لبعض الوقت"

-" في رحلة؟"

-" مع الأسف لا"

-" في إجازة؟"

-"لا، لا..."

-" إلى أين إذن؟"

-"غابرييل..."

-" وهل....سلوكي السيئ هو سبب هذا ؟"

-" ربما...أوه لا تكن أحمق"

Twitter: @ketab_n

وقف والده هناك متعجلاً الرحيل وغير راغب بالتحدث إلى أحد، غيتاره الأقدم وحقيبة أدوات الحلاقة تحت ساعده، وحقيبة أخرى وترومبيت تحت الساعد الآخر. لسبب ما كان هناك كاميرا حول عنقه وحقيبة تتدلى منها قمصانه، وكانت جيوبه ممتلئة بثيابه الداخلية وجواربه، وعلى رأسه عدة قبعات صوفية.

-" ادخل إلى البيت... سوف تبرد"

-" متى ستعود ؟"

-" سأشرح لك كل شيء في ما بعد " قال كعادته عندما لا يرغب بالإجابة.

-" لا تذهب". أمسك غابرييل بيده" ابق قليلاً بعد، أعدك بأني لن أقاطعك حين تسترسل في الكلام".

لكن والده ابتعد: " علي أن أخرج من البيت، هذا ما تريده أمك، هلا ناولتني هذه الجوارب لا أستطيع الانحناء كما ترى".

وضع غابرييل الجوارب في جيبه العلوي وصعد الأب إلى الشاحنة.

حين بدأت الشاحنة تبتعد خرجت الأم مسرعة ورمتها بزوج من أحذية الأب التي نسي أن يأخذها والتي ما لبثت أن دهستها سيارة جاءت خلفها. عندما توقفت الشاحنة ونزل الأب ليأخذ حذاءه المدهوس، ظن غابرييل أنه عائد إلى البيت...

-" الجزء المفضل عندي من هذا الرجل هو ظهره" عقبت الأم وهي تصفق الباب. -"لا أعرف ما الذي سيحدث الآن. لكن المرء لا يتوقف أبداً عن الأكل وتلبية حاجاته !"

كانت تلك هي الطريقة الاعتيادية التي تتحدث بها مع الأب.

Twitter: @ketab_n

-" ليس لدينا أي مال" قالت " علينا أن نكسب شيئاً منه"

-" إنها فكرة جيدة متى ستبدئين بالعمل؟"

أطالت التمعن في وجهه ثم قالت:" من نواح عديدة أنت لا زلت طفلاً صغيراً ولكنك في النهاية كبير كفاية، وأنا لا أريدك أن تتحمل عبء ما أمر به."

كان أزيز وزفيف آلة خياطة أمه هو الصوت الذي رافقه في طفولته، حين بدأت في أوقات أكثر بهجة من هذه بصنع ثياب الحفلات لأصدقائها الشباب الرائعين الذين كانوا يعملون في مجال الموسيقى، وللمدراء والفرق. كانت تقوم بهذا العمل مجاناً لتبقى قريبة منهم.

في السنوات الأخيرة أعالت نفسها وريكس وغابرييل بالعمل في صنع ستَرات لفرق موسيقية متجولة ولمن يتبع لها وكانت تعمل في البيت، تشغل غرفة صغيرة ومكتظة. وكان عليها في بعض الأحيان أن تعمل طوال الليل لمدة أسابيع دون مساعدة، يصاحبها صوت غناء أوبرا آت من المذياع لكي تجهز الثياب في الوقت المحدد.

قبل بضع سنوات عندما قررت الفرقة أن هذا العمل يجب أن يتحول إلى عمل مأجور بدت كمن صحا للتو من سبات طويل وبدأت تسعى هنا وهناك، حاولت أن توسع نشاطها فاستأجرت مستودعاً واستخدمت بعض العمال. ولكن العمل لم يكن منتظماً فتراكمت عليها الديون. الآن عادت تعمل وحدها، والعمل هزيل. كانت تتطلع إلى شيء آخر ؛ وبشكل من الأشكال تحولت حياتها كلها إلى: " بحث عن شيء آخر."

كان غابرييل يستعرض الأفكار التي اعتاد والداه أن يناقشاها أثناء تناول طعام العشاء. إحدى تلك الأفكار كانت فتح مخزن يبيع أشياء زرقاء فقط. وأخرى كانت حول مخزن يبيع ثياباً للنوم.

Twitter: @ketab_n

-" أفهم الآن لماذا لم نتمكن من شراء سجادة جديدة لسنوات " كانت الأم تقول.

أفضل تلك الأفكار كانت فتح دكان لتفسير الأحلام وقراءة الطالع. لم تعتبرها الأم فكرة تافهة، فإذا استطعت أن تستشف الحاضر أو الماضي في حلم، فستتمكن من التنبؤ بالمستقبل، بما أن الحاضر بالنسبة لمعظم الناس هو مجرد الماضي بتاريخ متأخر. لم يكن غابرييل متأكداً كيف يمكن أن يكون هذا المشروع رابحاً حتى ولو كانت الأحلام مثل أردية النوم، أشياء لا بد منها لكل الناس.

-" في الليل حتى أكثر الناس محافظة يتحولون إلى أشخاص غير تقليديين" كانت أمه تقول.

كان غابرييل مهتماً جداً بالفكرة ويتابع قائلاً " أنا أيضاً أريد أن أكون غير تقليدي"

-"لهذا اخترعت المدارس " كان أبوه يرد:" لإخماد هذا النوع من الرغبات"

تجادل والداه كثيراً وهما يكرران الأشياء نفسها. تذكر كيف كان والده يرمي أغراضاً على الأرض بشكل عشوائي آملاً أن تتعثر أمه بها فتقع وتدق عنقها.

وكان من الواضح أنها هي بدورها كانت ترغب أن يستيقظ ريكس في أحد الأيام وقد تحول إلى شخص آخر، نموذج يعرف كيف يكسب المال، لا يمانع بالقيام بأعمال التنظيف، يداعبها كل حين وآخر، وكآبته أقل من كآبتها. كانت رغباتها مستحيلة بشكل واضح.

لم يسبق لغابرييل أن رأى أمه على هذا النحو من الاضطراب في

Twitter: @ketab_n

ذلك اليوم الذي غادر فيه أبوه البيت. ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب. وما كان غابرييل يستطيع أن يفعل شيئاً سوى أن يجلس في الخارج ويحاول أن يرسم، منتظراً! يتذكر كيف كان يقف على كرسي عندما كان صغيراً لينظر من النافذة منتظراً عودتها من السوق.

-" عندما سأرحل لن تعرفي ماذا تفعلين من دوني" كان الأب يردد.

-" عندما سترحل ريكس سنعرف تماماً ما سنفعل. معنوياتنا سترتفع. أنت الوزن الفائض في منطاد حياتنا المشتركة. سنكون بحال أفضل على كافة الأصعدة " كانت أمه تجيب.

هل سيكونون أفضل؟

بينما كان يفكر بذلك سمع صوت النافذة تفتح، والأدراج وأبواب الخزانة تغلق بقوة. ثم ران صمت طويل. أراد أن يستدعي أحداً ما ولكن من؟ الشرطة؟ الجيران؟ قد تلازم أمه الفراش لأيام، وربما لأسابيع. وإذا لم تكن تتشاجر مع أبيه فما الذي ستفعله؟

كان قد لاحظ من خلال مراقبة آباء أصدقائه أن للجنون، عند الرجال والنساء، نماذج مختلفة. تصبح النساء مضطربات، عصبيات، خائفات وكارهات لأنفسهن، تتحركن بعصبية وترمشن بعيونهن ويصبح توازنهن الداخلي قلقاً. أما الرجال فيصعدّون توترهم بشرب الكحول يشتمون ويلومون وينتقدون، يختفون في الحانات ومن ثم في الزنزانات.

وفيما يتعلق بالعذاب، كانت أم غابرييل فنانة بشكل من الأشكال، واسعة الحيلة وذكية في مجال المناورات. كانت قادرة على أن تدخل في نفق من صمت مديد، يذوي على أثره كل من ريكس وغابرييل ويصبحان كعودين جافين ذابلين، أو على تنسيق كلماتها وصوتها بحيث تخترقهما

Twitter: @ketab_n

وتدفع بهما إلى الجدار ليرتطما ويلتصقا به، وتتركهما يرتجفان لأيام. وأياً كانت الطريقة التي تختارها، فقد كانت مضمونة لتغرق كل من زوجها وابنها بشعور الذنب لأنهما يخنقانها ويكبتانها.

كانت كلمتا "مهدوم" و"بيت" تراودان ذهنه وهو ينتظرها. "إنه ينتمي إلى بيت مهدوم" تذكر ما كان يقوله الناس عن أطفال الآخرين مشفقين عليهم. تخيل رسماً ممزقاً مقسوماً إلى قسمين، وبيت لعبة يخترقه فأس، ومشاعر فقدان شخص ما والارتياح لعودته. وبدا له أن شوقه لأبيه لن يكون له نهاية. لم يسبق أن كان غابرييل أكثر غضباً منه الآن، فهو لم يستشر في الأمر. ولكن هل كان الأهل يوماً ما ديموقراطيين من وجهة نظر الأبناء؟

فتح الباب. كانت أمه تضع ثيابها الأكثر قتامة وزينتها الأكثر جاذبية، وكان شعرها مرفوعاً إلى الوراء.

-"أحضر معاطفنا"

-" هل ستتخذين صديقاً جديداً؟"

-" سأبحث عن عمل أولاً. حان الوقت للتحرك." أسرع ليأتي بالمعاطف فأردفت " أعتقد أنك تستمرئ هذه الأحداث."

-" وكذلك أنت " أجاب.

-"ربما" قالت. " والآن إلى المستقبل!"

في ذلك المساء وفي صباح اليوم التالي ذهبت هي وغابرييل إلى مكاتب التوظيف، وإلى المخازن والمطاعم، سائلين متملقين ومحاورين.

-" ليس أنت، لا أريد رؤيتك أنت، أريد رؤية رب العمل" كانت أمي تقول إلى الرجل سيء الحظ الذي ينوب عنه في طردها.

Twitter: @ketab_n

وأخيراً نجحت هذه التقنية.

ستبدأ أمه العمل يوم الاثنين القادم، نادلة في بار جديد عصري مكتظ بأرائك ومصابيح ونوافذ كبيرة حيث يستطيع الشباب فعل ما يستمتعون به أكثر: تأمل أنفسهم وتأمل الآخرين في مرايا متعددة زرقاء أو حمراء أو وردية.

-" سألوني ما إذا كان لدي أي خبرة فأجبتهم: خبرة ؟! أنا أم وزوجة. لقد اعتدت خدمة أشخاص عاقين وبغيضين."

ذهب إلى البار لكنه لم يعجب بمشهد الشبان الذين كانوا يرتدون السترات الفضفاضة ذات الياقات العالية والسراويل الجلدية وهم يشيرون بأصابعهم إلى أمه ويقولون " من فضلك!" أو " أيتها النادلة". وعندما كانت تتنقل بين الطاولات حاملة طبقات من الصحون المتراكمة كانت تبدو وكأنها تختبئ خلف ستارة معدنية. وعندما كان غابرييل يسير إليها عبر الشارع ويراها وهي تعمل كانت تبدو له المرأة التي عرفها دائماً.

كان البار يحمل دلالة مستقبل عبثي أو توجه جديد. لم تعد هذه المدينة مجرد مأوى للمهاجرين من المستعمرات القديمة، أو بعض المهاجرين من هنا وهناك: فكل الأعراق موجودة فيها وتعيش جنباً إلى جنب وغالباً دون اقتتال. لقد أصبحت مدينة جديدة، متماسكة ولها سمة العالمية: لندن. دون أن تتحول مجاناً إلى مدينة فوضوية أو فاسدة. ولقد كان أبي يعلق: "يمكن لأي كان أن يكون مفهوماً في أي متجر يدخل إليه، وفي المرة الأخيرة التي ذهبت فيها إلى الحلاق خرجت حاملاً وعاء فيه الكسكسي، ونصف غرام من الكوكائين وشيئاً من الحلوى، وكنت قد دخلت إلى هناك من أجل حلاقة فقط!"

Twitter: @ketab_n

كان الجيران يتبدلون باستمرار. وهذا الصباح بالذات رأيت رجلاً يسير في الشارع حاملاً على رأسه فراشاً عتيقاً لينام عليه كما تعرفون. آخرون كانوا يدفعون عربات السوبر ماركت في الشارع، يبحثون عن مرميات مستهلكة ليبيعوها. كما كان هناك أولئك الذين ينحصر مفهومهم عن الأناقة في تشذيب ذقونهم أو وضع أسنان اصطناعية.

وفي كل الأحوال كان هناك في الجوار نماذج تلفزيونية وجوهها شاحبة، بناؤون يهزون رؤوسهم دائماً وهم يرتقون درج بيتهم الأمامي. وإذا تمكنت من متابعة طريقك ولم تتلق طعنة أثناء سيرك، فستعثر على من يقوم بالوخز بالإبر في زاوية ما، أو على مكان تستأجر منه فيلماً مع ترجمة مطبوعة. في آخر مطعم ارتدته لم أتمكن من تهجئة أو لفظ أية كلمة على لائحة الطعام وقد قيل بأن مرتادي المطعم يأخذون معهم قواميسهم. ثم تقوم ملكات يرتدين إزاراً بتقديم حساء غامض في حفلات عشاء مبهجة. قبل عشر سنوات مضت كان من الصعب أن تحصل على فنجان قهوة لائق في هذه المدينة. أما الآن فتجد الناس يحتجون إذا لم يكن الحليب منزوع القشدة والقهوة غير منتقاة من أفضل أنواع البن العربي.

وللذين لا يعرفون، فإن ما هيأ لارتفاع أسعار البيوت في الواقع كان وجود طاقم تصوير فيلم. وكان يصعب أن يمر يوم دون أن ترى أسلاكاً متشابكة على الرصيف، وأشخاصاً يحملون ألواحاً مثبتة عليها أوراق ويرتدون سترات فضفاضة، وشاحنات، ومراوح، ولصوصاً، وأولاداً يرغبون بالحصول على ما يرون، منجذبين بالأحداث القليلة التي تمر ببطء. كان غابرييل أحد هؤلاء الأولاد. بالنسبة له فإن كلمة "أكشن"

Twitter: @ketab_n

action تليها كلمة "تصوير!" لها تأثير تنويم مغناطيسي عليه. لم يكن قادراً على انتظار استخدامه لتلك الكلمات.

ولأن أمه صارت تعمل معظم النهار الآن، وفي المساء غالباً، ولا تعود إلا بعد أن يكون قد أخلد للنوم، فقد أرادت وجود شخص ما يعتني به وبالبيت. قالت لإحدى صديقاتها مرة " أنا لا أترك فتى يافعاً وحده، تماماً كما لا أترك ابن سنتين، والواقع أن اليافع يمكن أن يسبب من المشاكل أكثر مما يسببه ابن سنتين".

هانا، التي كانت تنام متكورة على نفسها على أريكة في غرفة المعيشة، كانت هي تلك العين الساهرة، وهي لاجئة من بلد اشتراكي سابق.

"لماذا اخترتها؟" سأل غابرييل هامساً أول مرة أتت فيها هانا إلى البيت.

كانت امرأة ضخمة ومكورة وكأنها صندوق بريد بساقين صغيرتين ترتدي دائماً ثياباً سوداء.

-"على العكس منك فهي لا تكلف الكثير، ما الذي كنت تتوقعه؟"

-"جولي اندروس في الحقيقة. هانا بدينة."

-"أعرف" قالت وهي تضحك. " ولكن عليك أن تكسب ودها. وإذا كنت تريد أن تفهم الناس فعليك أن تحبهم أولاً"

-" صحيح؟"

-"أرجوك حاول وساعدني، فأنا لم يسبق أن مررت بأوقات صعبة كهذه. أريد أن نحصل على حياة جيدة مجدداً."

كان عليه أن يعدها بأنه سيحاول. لكن أمه لا تثق به ولعلها على

Twitter: @ketab_n

ما يبدو كانت تتمتع بمعاقبته، كما لو أنها كانت تريد إيذاء كل من حولها بسبب ما جرى.

أتت هانا، بقدر ما استطاع غابرييل أن يعرف، من مدينة اسمها برونشيتيس، يخترقها نهر ملتف اسمه انفلوينزا. رشحها لهم أحد الأصدقاء، أو لعله كان عدواً وليس صديقاً. ومهما يكن الأمر، لم يكن لهانا مكان تذهب إليه عندما جاءت إليهم بثيابها الأوروبية الشرقية وحقيبتها المصنوعة من الورق المقوى.

شرحت لها أمه بطريقتها الخاصة،" هانا عليك أن تنامي في غرفة المعيشة. سيكون لديك على الأقل مكان تأوين إليه، وقليل من مصروف الجيب، ويمكنك أن تأكلي بقدر ما تستطيعين."

و تبين في ما بعد بأن كلمات -" بقدر ما تستطيعين"- لم تكن حكيمة.

فهانا كان لها خبرة وحيدة في ما يتعلق بالعناية بالأطفال هي أنها كانت هي نفسها طفلة في أحد الأيام، لكن شهيتها للطعام كانت طيبة تماماً. عندما وصلت إلى إنكلترا وبعد أن أمضت ثلاثة أيام تائهة في عربة تتأمل طرقات أوربا الغربية، بدأت تتردد على تلك الفراديس التي تدعى سوبر ماركت، تتلوى من الرغبة وتتنهد وكأنها فتحت باباً كتب عليه "الجنة" وليس " تسكو" مثلاً، وكان ما يلقيه الناس يشكل وليمة بالنسبة لها.

كانت هانا قادرة على التهام طعام يكفي إنكلترا كلها وتشكل أي كمية من الطعام توضع أمامها نوعاً من التحدي، جبلاً من الطعام ينبغي تسلقه، ابتلاعه، مسحه. في إحدى المرات رآها غابرييل تضغط على أنبوب الكتشاب لتفرغه في حلقها.

Twitter: @ketab_n

أحياناً لكي يغيظ هانا كان غابرييل يقول لها" إذا كان عليك أن تختاري أي شيء في هذا العالم لكي تأكليه فماذا تختارين؟"

"البوظة" تقول بلهجتها الغريبة. " أم م م..... والهامبورغر، وكراعيب الخنزير. عصيدة لحم الأرنب. والمرملاد... و....و.... و...."

وعندما كانت تصف وجباتها المفضلة كانت عيناها تلتمعان وشفتاها تبتلان وصدرها يعلو ويهبط بينما كان غابرييل يقوم برسم الطعام. كانت تضحك عندما تلقي نظرة على الرسم وتتظاهر بأنها تأكل الورق. في إحدى المرات رسمها ولها عدة ذقون يفصل بين واحدة وأخرى سحاب مفتوح قليلاً، تتدلى منه نصف قطعة نقانق عليها لطخة خردل وقليل من المايونيز مما جرحها وأثار حنقها.

ما كانت تحبه هو أن يصورها غابرييل في "لندن" كما كانت تقول. كان غابرييل مؤخراً يلتقط صوراً بكاميرات رخيصة تستخدم لاستعمال واحد وكان يستخدمها كدفتر ملاحظات. كان يحب تصوير الأشياء الغريبة: زوايا الطرقات، الناس من الخلف، أعمدة المصابيح، واجهات المحلات. ويلتقط صور بولورايد ويرسم فوقها بالقلم الرصاص. لم يكن يحب أي شيء مرسوم بشكل دقيق أو بحذر شديد أو مصطنع. وكان غابرييل يرسم أو يلون على بعض الصور التي كان صديق أبيه قد طبعها على ورق كبير.

لاحظ غابرييل أنه في كل مرة يمسك كاميرا كانت هانا تراقبه وتمسح فمها المتسخ وتشد ثيابها وتسوي ياقتها. كانت ترسل الصور التي يلتقطها إلى عائلتها ما يجعلها ممتنة له.

كانت أمه تعرف أن صحبة هانا لم تكن مسلية. في البداية رفض

Twitter: @ketab_n

غابرييل أن يمشي إلى جانبها في طريقه إلى البيت. ولم يكن السبب فقط لأنه كان أكبر من أن يرافقه أحد إلى البيت، لكنه لم يكن يرغب بأن يعرف الآخرون أن لديهم غريبة تسكن معهم. في بعض المدارس كانت الطبقة المتوسطة- التي ينتمي إليها غابرييل تقريباً إنما ليس تماما- أقلية مضطهدة، وسيء الحظ الذي ينتمي إلى هذه الأقلية كان يفعل كل ما بوسعه ليخفي ذلك. لقد كان أبناء هذه الطبقة كريهين، وحتى كانت لهم مدارسهم الخاصة. لحسن الحظ كان هناك عدة مداخل للمدرسة ما مكن غابرييل من التملص أو الهرب من هانا. لكن أمه استاءت جداً فاتفق مع هانا أن تلقاه في زاوية الشارع وليس قرب المدرسة وكانت ترافقه إلى البيت وهي تسير خلفه. وكان صديقه يعلق قائلاً: " أعتقد بأن هذه المرأة تتبعنا ".

"إنها تعمل خادمة في أحد البيوت، تجاهلها " يجيب غابرييل.

كانت هانا تحمل له المشروبات والمقرمشات دائماً، وعندما يقترب من البيت ويذهب صديقه في اتجاه آخر مبتعداً كان ينضم إليها.

قررت أمه أن تصطحبه ليحضرا حفل فرقة Who المفضلة لديه في نهاية الطريق عند بناء Shepherd`s Bush Empire محتفية براتبها الأول، وكانت لا تزال على صلة بشخص له علاقة بأعضاء الفرقة ضمن لها مقاعد ممتازة في الصفوف الأمامية. " أرجو أن يكون الصوت مرتفعاً" قالت أمه وهما يدخلان. وكان كذلك بالفعل. بعد ذلك ذهبا لتناول العشاء وآذانهما لا تزال تطن. بدا وكأن هذا حدث منذ زمن بعيد.

يجلس غابرييل الآن إلى الطاولة يتناول الشاي والكعك.

" سأراقبه سيدتي" وعدت هانا "لا تقلقي، سأراقب هذا الفتى المشاكس وكأني صقر"

Twitter: @ketab_n

راقبته وراقبها وهي تراقبه، كان لها هيئة غريبة، لأن عينيها بدل أن تركزان على نقطة واحدة بالطريقة الطبيعية كانتا تتجولان في اتجاهات عدة. وكان يتراءى له بأنها قادرة على متابعة برنامجي تلفزيون في الوقت نفسه من جهازين موضوعين على طرفي الغرفة.

ما كانت تتقنه فعلاً هو مشاهدة التلفزيون ومراقبة غابرييل في الوقت الذي تحشر قطع الحلوى في الفتحة الواقعة تحت أنفها. " لكي أحسن لغتي الإنكليزية" كما كانت تبرر وهي تتابع المسلسلات التلفزيونية الاسترالية الاجتماعية بلا توقف بحيث صارت تنطق جملها الإنكليزية القليلة بلهجة سكان مدينة بريزبان شرقي استراليا.

كانت إحدى عينيها تحوم عليه دائماً حتى لو كان لا يرتكب أي خطأ. لا بد أن أمه زودتها بتقارير مسبقة غير ضرورية عن المآزق والمشاكل التي كان يقع فيها. ولكن بالنسبة لهانا فكونك طفلاً كان يعني آلياً وقبل كل شيء أنك ترتكب الخطأ - وهذه الأخطاء المستمرة طوال الوقت- لا بد أن يقوّمها الكبار الذين لا يخطئون أبداً بما أنهم كانوا طوال الوقت ومهما فعلوا يمثلون الصواب. لعل تجربتها مع الشيوعية أعطتها هذه الفكرة. ومهما يكن المكان الذي أتت منه بهذه الفكرة فقد كانت تفضل ألا يقوم غابرييل بأي حركة أبداً. كانت تفضله عندما لا يكون متواجداً وخاصة عندما يكون نائماً وحتى بدون أحلام.

كانت تحب الطعام ولكن الطعام الذي كانت تجهزه يكتسب مذاق فوطة تنشيف الأطباق أو أظافر يغطيها مرق من دم وبول. كانت تراود غابرييل فكرة أن يأخذ الصحن ويقذف به إلى الحائط. على الأقل يمكن للمعكرونة حينها أن تولد أشكالاً جميلة على أوراق الجدران الصفراء.

Twitter: @ketab_n

تلخصت سياسته بأن يتصرف بفظاعة مع هانا بأمل استبعادها كي تعود أمه للعناية به. ولكن هانا كانت تجبره على إعادة ترتيب الأشياء عندما يحدث فوضى في الغرفة. وإذا قطب حاجبيه تتجاهله تماماً، وإذا صرخ أو زمجر ترفع صوت التلفاز.

دفع صحنه بعيداً. اليوم عنده فكرة.

-" هيييي.." قالت هانا

-" وظيفة اللغة الفرنسية. vous comprendez هل تفهمين ؟ إذا اتصل أبي ستناديننني أليس كذلك؟

-" إذا كنت قادرة "

-"قادرة؟" قال وهو يضحك " وأي شيء آخر يمكن أن تكوني مشغولة به؟"

-" عليك بشؤونك" قالت وهي تضرب على جبينها " لن يتصل على أية حال لقد ذهب ولن يعود"

-"لا، هانا أنت لا تعرفينه، لم يسبق أن قابلتيه"

-"ولن أقابله"

-" انتبهي لكلامك. لقد كان صديقاً لفرقة رولينغ ستون Rolling Stones والواقع أنه عزف مع ليستر جونز ! كانت عيناه تتسعان ويتمايل ويهتز. قد يعود ويعضك من مكان لا يعجبك"

-"باه"

أخذ حقيبة المدرسة وأحضر أشياء أخرى من غرفته ثم دخل إلى غرفة نوم أمه.

لقد كانت أمه دائماً حازمة معه بشكل مرهق في ما يتعلق بوظائفه

Twitter: @ketab_n

المدرسية. لم تكن تريد لغابرييل أن يفشل في دراسته خوفاً من أن يصبح فناناً. ولكونها أمضت حياتها بين موسيقيين ومغنين ومؤلفين ومنتجين لأغاني البوب ومصممي أزياء، فقد كانت تعرف أن قلة منهم يملكون منازل ريفية فيها استوديوهات تسجيل ومزارع أسماك التراوت. ومعظمهم يحتاج إلى إعانة مالية أو يمر بمراحل إعادة تأهيل من الإدمان، وتفوح منه رائحة الفشل، أو تقتله خيبة الأمل. ولم يكن السبب دائماً الافتقار إلى الموهبة ولو أن معظمهم كانوا غير موهوبين بشكل واضح، ينضح منهم الغباء ويفقدهم جاذبيتهم. قليلون كانوا يتمتعون فطرياً بالقدرة على تنظيم البراعة التي اكتسبوها مع الزمن والحفاظ عليها. وعندما تكون أمه بمزاج جيد كانت تقول مازحة بأنها لا ترغب في أن تثبط من تطلع غابرييل الفني وإنما أن تسحقه تماماً، ليتوجه إلى إدارة الأعمال أو ليصبح طبيباً أو محامياً قادراً على إعالتها في شيخوختها.

نظر غابرييل عبر النافذة متسائلاً ما إذا كان هناك أحد ما يعرفه يسير في الشارع الآن. أغلق عينيه آملاً أن هذا الشخص سيظهر عندما يفتحهما. كان الطقس مضطرباً: الغيوم تسرع كما لو أن خيوطاً خفية تجرها، الشمس والقمر كانا جنباً إلى جنب في السماء يظهران ثم يغيبان، ثم بدا وكأن الطقس ساء أكثر خلال دقائق قليلة. ربما عندما تنتهي هذه المرحلة الغريبة لن يكون هناك مناخ على الإطلاق وإنما فراغ هائل.

سرح فكره وهو يردد إحدى الأغنيات الجنونية التي كان أبوه يسمعها مغمضاً عينيه ومحركاً ساعديه كأفاع منومة مغناطيسياً. كانت تلك جولة في "المبهم" لم يتمكن من إيقافها.

أغلق الستارة واعتلى سرير أمه بعد أن ارتقى سلماً صغيراً، فقد

Twitter: @ketab_n

كان سرير أمه مرفوعاً عن الأرض لكي يشغل حجماً أكبر في غرفتها ذات السقف العالي، وكانت تضع تحته طاولة وكرسياً. وفي قاعدة السرير كان هناك درج ذو قفل معدني مليء بمواد التجميل القديمة. وعلى رف قرب السرير تراكم عدد من الكتب الصغيرة والكبيرة التي يهوى تصفحها، كانت أمه تستخدمها فيما مضى عندما كانت في مدرسة الفن. كانت رائحة الكتب الرطبة مغرية، وفي داخلها كانت تكمن عوالم وعوالم. وعلى عكس الأفلام لم تكن هذه العوالم متحركة وكان يضيع داخل ألوانها وأشكالها.

كان يتساءل كيف يمكن أن يكون التواصل مع هؤلاء الناس: ساعي بريد فان غوخ الذي يبدو ودوداً، لا شك أن رائحة التبغ تفوح منه، يبدو شخصاً من النوع الذي يقدم النصائح المطولة. راقصات ديغا Degas تقفن في غرفة مزخرفة كبيرة ومعهن أستاذة قاسية تمسك عصاها وتلوح بها أمامهن، فتيات من الممكن أن يثرن اهتمامه. إحدى الراقصات الدافئات الورديات بدت وكأنها تخرج من الصورة لتمسك بيده.

كان غابرييل قد أحضر معه إلى غرفة أمه دفتر رسوماته وعلبة أقلام الرصاص القديمة ذات الحواف الحديدية اللذين أعطاهما له أبوه قبل مغادرته البيت بوقت قليل، وكان فيها عدة طبقات لوضع الأقلام وطبقة لوضع المحاة والمبراة ومخبأ سري ليس فيه شيء حتى الآن.

في الأيام الأخيرة الماضية كان غابرييل يهيئ لوحة رسومات لفيلم قصير. كان هو وأبوه قد شاهدا فيلم كارول ريد " اوليفر" ! والذي كان أحد أفضل أفلامه عندما كان غابرييل أصغر سناً. " وكان بطل فيلم المحتال " the dodger المتمرد هو الشخصية الأهم عنده. في حفل المدرسة

Twitter: @ketab_n

السنوي كانت النسخة المعدلة التي صنعها غابرييل عن لعبة " لتفترض أنك" تتكون من ذنب متموج، وقبعة عالية، وجزمة عليها طين وظلال ملونة بالبرتقالي، وقد صفق لها الحشاشون والشواذ الجنسيون، والفاشلون الجشعون: الأهل.

فكر غابرييل بأنه لا يزال من الممكن أن يصنع فيلماً عن ذلك الجزء من لندن الذي لم يره معظم الناس.

كان يفكر بقصة سماها " يوم مروج مخدرات" عن شاب يستخدمه أخوه الأكبر في توصيل المخدرات ويتم القبض عليه في النهاية ويرسل إلى مؤسسة إصلاحية.

كان غابرييل يوفر بعض المال لشراء كاميرا ١٦ مم، ما يتطلب بعض الوقت، وكان عليه أن يعثر على أدوات الإضاءة والأفلام. ولم يكن يحبذ استعمال أفلام الفيديو الرخيصة. صديقه الحميم زاك،الاستعراضي بشكل فطري، والذي يظن نفسه ممثلاً ومغنياً اعتبر أنه من البديهي أن ينجح في لعب دور البطولة. بينما يلعب فتيان محليون آخرون الأدوار الإضافية ويساعدون في التجهيزات. أراد غابرييل أن يسرع في صنع الفيلم قبل أن يصبح زاك أكبر من أن يلعب الدور.

في الوقت نفسه، كان غابرييل يرى الفيلم في عقله ويخاف أن ينسى أجزاء منه، وما أن يبدأ في العمل حتى تنهال أفكار جديدة عليه، خاصة وهو في طريق عودته من المدرسة، لكنها كانت لا تلبث أن تتلاشى كلوحات جدارية مخبأة وقد تعرضت للضوء-. اقترح عليه أبوه مرة أن يرسمها، فأخذه ليشتري لوحاً لرسم القصة وهو عبارة عن مجلد يتألف من صفوف من مربعات بيضاء كإطار الأفلام يمكنك أن ترسم المشهد

Twitter: @ketab_n

داخلها. تحت الصورة كان غابرييل يكتب الحوار بشكل دقيق ومرتب وكان قد أقنع أباه بوضع الموسيقى له.

توقف غابرييل عن العمل بعد أن غادر أبوه، ولم يكن السبب أنه فقد تركيزه، لأن التركيز كان يأتي ويذهب مثل كل شيء، ولكن الدافع صار متأرجحاً. لقد كان اهتمام أبيه به هو دافعه إلى العمل. لماذا نعتقد أننا يمكن أن ننجز شيئاً؟ فقط لأن هناك من آمن بنا.

كان جد غابرييل لأبيه بقالاً، يملك دكاناً في الضواحي. أمضى أيام حياته يخدم الآخرين وهو ينظر إليهم نظرة إكبار. كل من كان يدخل دكانه كان أفضل منه. كان رجلاً لا يرغب بالتواصل، ينتمي إلى جيل يؤمن بأنك إذا كنت لطيفاً مع الأطفال فأنت تفسدهم؛ وعليك حتماً ألا تثني عليهم. كان مقتنعاً جداً بهذه الأفكار لدرجة أنه لم يهتم بابنه بأي شكل من الأشكال. كان والد غابرييل يشعر بأن هذه الفكرة الحقيرة التي كونها عن نفسه بتأثير أبيه قد أعاقت تطوره ولم يشأ أن يكون ابنه مثله.

تذكر غابرييل أباه وهو يصعد إلى الشاحنة الصغيرة ويذهب، يعلم الله إلى أين. كانت هذه الحادثة تعود إلى ذهنه باستمرار كأغنية تتردد في الرأس وتأبى أن تغادره. تذكر أمه وهي تبكي في هذه الغرفة، غرفة نوم والديه، لم يعد فيها غيتار أبيه ولا الطبلة ولا الآلات الموسيقية الأخرى.

ثم بدأ يستعرض في ذهنه ما حدث منذ بضعة أشهر عندما جاء أبوه يبحث عنه بعد أن بدأ غابرييل يتسكع هنا وهناك في الجوار.

كانت أمه تعمل دون توقف في غرفتها وتمكن أبوه أخيراً من

Twitter: @ketab_n

الحصول على عمل بعزف أغنيات الستينيات في بار في أوسلو. يجلس متعففاً على كرسي تحيطه الشقراوات، " تكبّر، فأنت نجم..."

بعد المدرسة كان غابرييل يلتقي بشبان أكثر" تقدماً" منه في مجال الشغب، ويكبرونه سناً، كانوا قد استأجروا منزلاً - سموه الطبل- في بناء قريب. كان المكان مليئاً بأشياء مسروقة كتلفزيونات أسود وأبيض، لم يتمكن تجار السلع المسروقة المحليين من نقلها إلى الحانات المجاورة.

كان الأولاد يشاهدون التلفاز بعيون متسعة، مشغولين وهم يتهامسون بإلحاح سري حول أكبر الأمنيات التي عرفها الإنسان وحلم بها، وهي كيف تصبح ثرياً دون عمل. لم يكن الأمر صعباً جداً. الكثير من الفتيان في الحادية عشرة من عمرهم يتوجهون بعد المدرسة وهم يلبسون سترات موديل تومي هيلفيغر فوق ثياب المدرسة لكي يشتروا الحشيش. كان الطلب عليه كبيراً لدرجة أن فتى أكبر سناً منهم بقليل قد وضع منضدة طويلة في المطبخ سماها "مخزن المنشطات"، خلفها كانت تصطف رزم من المخدر تسلم لهم على أنها ألواح شوكولا.

على بعد عدة حارات تجمع الشحاذون والأطفال المحليون والفتيان الآتون من الشمال الذين غالباً ما ينامون في مآو للأطفال. ليس فقط أنهم كانوا أكثر خبرة من غابرييل ولكنهم عاشوا في ظل أنظمة قاسية ومجرمة. وقد حصلت أشياء مروعة لهؤلاء الأطفال غير المحميين، ولا زالت تحدث بشكل أو بآخر كما يعتقد غابرييل.

على الرغم من سلوكه العفوي أو ربما بسببه، كان غابرييل يرسل في مهمات إلى الشقق والمساكن غير المرخصة وزوايا الشوارع ليسلم رزماً يخبئها في ثيابه الداخلية أو في حذائه. ونظراً لكونه ضئيل الجسم

Twitter: @ketab_n

وأبيض وصغير السن فقد كان من المستبعد أن يوقفه رجال الشرطة، أو في أسوأ الأحوال فتيان من عصابات أخرى. أحياناً كان يطلب منه أن يدفع عربة أطفال في تلك الرحلات، لكنه أُخبر في ما بعد بأن الفوط التي يستعملها الأطفال كانت تُملأ بالمادة المنشطة التي ترفع المزاج.

وعلى عكس فتيان آخرين في مثل سنه، لم يرافق صديقة واحدة بشكل منتظم أبداً. ولكن كان هناك غرفة للجنس في مقرهم " الطبل". وكان هناك فتاتان أرادتا أن تتسليا بعذريته فقامتا بدفعه إلى فراش قذر وسرقن عفافه، تناوبتا عليه الواحدة تلو الأخرى وكأنهما ترعيان طفلاً يحتاج إلى المواساة. كانت طقوساً مبهمة.

-" لن تنسى هذا أبداً أيها الفتى " كانت تقول إحداهن. فجيبها:" لا، لا أعتقد بأنني سأنسى".

عندما عاد والد غابرييل من النرويج وفشل في العثور عليه اتصل بزاك وبأصدقاء آخرين من زملائه في المدرسة. ولكن أحداً لم ير الفتى. باحثاً في كل مكان عن ابنه قام الأب بزيارة الأمكنة التي كانت تبيع الكحول بشكل غير قانوني حيث تعزف الريجي موسيقا الستينيات أثناء لعب الورق وأكوام من النقود على الطاولة، ويسود الجو شعور بعدم الارتياح. كما تردد على مراكز التسلية المحلية حيث محبو موسيقى الروك، وحيث توجد طاولات للعب البيليارد محاطة بشبان العصابات الذين يضعون الأقراط في آذانهم وأنوفهم ويملكون دراجات نارية معقدة الصنع.

تذكر غابرييل كيف دخل أبوه في ذلك اليوم إلى مقر " الطبل" القذر ليرفعه عن الأرض من كتفه كما لو كان طفلاً.

Twitter: @ketab_n

-" أستطيع أن أمشي وحدي، انتبه ألا تؤذي ظهرك مرة أخرى."
قال غابرييل

كان أبوه يحمل غيتاراً وظن أحد الشبان بأنه عازف متشرد يبحث عن مكان ينام فيه.

أعجب غابرييل بجرأة أبيه فهو يعرف أن هؤلاء الشبان يزدرون كل ما يمكن أن يمثل سلطة ويحملون سكاكين أو ربما ما هو أسوأ. لكن غابرييل رأى أن أباه وهو يحييهم بضرب أكفهم ويجلس بينهم ليتحدث إليهم كان مدركاً بأنهم لا يقعون خارج إطار إمكانيته في التواصل الإنساني.

بعد أن خرجا طلب منه ألا يعود أبداً إلى ذلك المقر محذراً بأنه لا يزال صغيراً جداً على مثل هذا المكان البائس. لاحظ غابرييل أن أباه كان متردداً وهو يمنعه عن ذلك، وكأنه كان يدرك أن غابرييل يرغب بالتعرف على عوالم أخرى ويحتاج لأن يبتعد عن والديه. وأن مقر " الطبل" يثير فضوله ويشوقه لمعرفة المزيد، ولكنه كان يدرك كذلك أنه لا يمكن لغابرييل أن يمر بمثل هذه التجربة دون أذى. بعض الناس قد تغمرهم رغبة لتجربة عيش حياة مدمرة للذات، إلا أن هذا الأسلوب من الحياة يمكن أن يتحول إلى إدمان يصعب التخلص منه.

لقد ذهب أبوه إلى إنقاذه في الوقت المناسب: ففي اليوم التالي حجز المقر وأقفل بقفل حديدي على الباب الأمامي بعد أن قام بعض الأنذال الأخطر والأكبر سناً باستخدامه مخبأ. بعد بضعة أسابيع سمع غابرييل في المدرسة بأن الشرطة كانت قد اقتحمت المقر وأجبرت من فيه على الانبطاح على الأرض، وقد سيق بعض الفتيان في سيارة الشرطة بعد

Twitter: @ketab_n

لكمهم على بطونهم. وكان هناك العديد من الجرائم التي من الممكن أن تنسب إليهم.

بعد هذه الحادثة صار غابرييل يمضي معظم وقته في البيت وكان وقته يمضي بتخيلات قد تصل لأن تكون بشعة أو مريضة. ولحسن الحظ كثرت هذه التخيلات بعد أن كانت أمه وهي تنظف غرفتها قد قدمت له هدية عظيمة دون أن تدري حين أسندت مرآة ذات حواف ذهبية على الحائط مقابل سريره.

وفي أحد الأيام وبعد عودته من المدرسة نظر إليها ووقع في حب ما رآه. أمامه العمر بكامله لمثل هذا التلاشي العذب. لقد فهم لماذا يهمس الكبار وما الذي كانوا يخبئونه. كان هناك سر، وجهته العالم، ويكمن خلفها وتحتها مشغل سري تفبرك فيه الأحلام والقصص التي تتفاعل بقوة مع حياة غريبة.

ذهب ليعمل.

كان غابرييل يحب تأمل نفسه وهو يدخن لفافة أو يضع قبعة وسترة غريبتين كما لو كان شخصية سينمائية، ويغوص في عالم المرآة وهو يستمع إلى موسيقى ليستر جونز. كان يتظاهر وهو يعدل زاوية المرآة بأنه شخص آخر أو امرأة أراد أن يكونها أو يحصل عليها، بعد أن يضع طلاء الأظافر على أصابع قدميه بظلال أنيقة ويرتدي خواتم أمه وعقودها وأحذيتها. كان يفضل الأحذية ذات الرباط والكعب العالي، أو الدقيقة التي تشبه خنجراً أو قارباً. أما الأحذية ذات الكعب القصير فلم تكن تؤثر فيه. لعلها كانت ذوقاً مكتسباً. ولم يكن هناك جزمات لأن أمه لم تعد تلبسها مع الأسف.

Twitter: @ketab_n

عندما يكون في مزاج الاستعراض هذا، كان يلعب دور مختلف الشخصيات التي يتخيلها معاً، مشاهد متداخلة وغير منسقة، ينظر إلى المرآة ويرفع عينيه عنها، حشد من الممثلين في جسد واحد. لم تكن تمضية وقت غير خلاقة، ولو كان منحرفاً كبقية الفتية لأصبح مخرجاً أو مؤلفاً سينمائياً.

لم يكن اليوم في مزاج استعراضي، فألقى غطاء على المرآة.

يريد أن يرسم.

هناك فكرة استحوذت عليه الليلة الماضية وهو يشاهد التلفاز. والفكرة حسبما أسعفته ذاكرته هي التالية: "الفن هو ما تفعله عندما يغادر الآخرون الغرفة".

كان وحيداً في غرفة أمه يتصفح كتب الفن منتظراً أن تقع عينه على شيء يجذب اهتمامه.

وجد نفسه ينظر إلى صورة زوج من الأحذية القديمة ممزقة ومعقودة. غالباً ما كان يبدأ بنسخ الشيء الذي يريد رسمه كنوع من الإحماء. قرر أن يرسم بأقلام الفحم. وبينما هو يرسم المخطط رسم الحذاء بسهولة وبدت الخطوط وكأنها تصنع نفسها بالطريقة التي تفعلها ساقيه عندما يركض مكرهاً.

بعد دقائق قليلة لامست أنفه رائحة غير معتادة. توجه نحو الباب ليرى ما إذا كانت هانا تقف خارج الغرفة بما أنها شخص يحوم حوله باستمرار وكأنها متشرد يجوب الشوارع. وصل إليه صوت حركتها في المطبخ. لعلها كانت تصبغ شعرها، وهو الشيء الذي كانت تفعله على الأقل مرة كل أسبوعين: فتضطر إلى وضع قبعة بلاستيكية على رأسها

Twitter: @ketab_n

لتوقف تسرب سيول سوداء على وجهها ليصبح أشبه بحلوى أعياد الميلاد.

لا، الرائحة لم تكن رائحتها.

التفت فلاحظ وجود الحذاء الذي نسخه وسط الغرفة.

مشى حوله قبل أن يقترب منه ويجلس القرفصاء. كانت تفوح منه رائحة الطين والروث والريف والعشب.

رفع الحذاء للمسه، خلع حذاءه ووضع الآخر، ابتعد قليلاً ثم جلس على الأرض ضاحكاً ولم يتمكن من التوقف عن الضحك من شدة المفاجأة والحيرة. عندما تعب من هذا كله عاد إلى دفتر رسوماته في منتصف الصفحة كان هناك فجوة على شكل حذاء. وعندما قلب الصفحة كان الحذاء قد عاد إليها وعاد كل شيء إلى ما كان عليه.

أو هل عاد؟

نظر حوله متوجساً. توجس غريب وغامض. وكأن شبحاً قد دخل الغرفة. وبدا مقبض باب الخزانة وكأنه عينا هانا. لعلهما طارتا من وجهها وحطتا هنا كي تتجسسا عليه. تذكر لوحة لمارك شاغال تصور حظيرة لها عينان بنيتان كبيرتان على السقف. عندما أعاد غابرييل التحديق بها اتخذت العينان مساحة قاسية جامدة.

اضطرب ولكنه كان مثاراً بسبب ذلك كله، لم يبد له الأمر على أنه مقدرة خطيرة، كما لا يمكن مقارنتها بالسحر، ولكن ألم تكن كذلك؟ لا يعرف. ومن يمكنه أن يعرف؟ الأهل والمدرسون؟ إنهم هنا لكي نؤمن بهم، أو لكي نحاورهم على أقل تقدير. إذا كانوا بدون عمل أو مسكونين بالشك مثل أبيه فمن أين يأتون بالقوانين؟ من الذي يعرف ما الذي قد يحدث عندها؟

Twitter: @ketab_n

فعل ما يفعله دائماً في مثل هذه الأوقات: استشار أخاه التوأم آرشي، نصفه الآخر الحقيقي.

كان من الممكن - لولا تدخل القدر- أن يكون هناك صبيان يجلسان جنباً إلى جنب في غرفته الآن. ولد أحدهما بعد الآخر بلحظات ممسكاً بكعب أخيه. كان من الممكن أن يتحدث إليه غابرييل الآن، ينظر إليه، إنه هو ذاته وليس ذاته، يقف أمامه وجهاً لوجه بملامحه ذاتها التي يحملها شخص آخر.

ولكن الأخ الميت كان حياً داخل النصف الحي، متحولاً إلى نوع من سحر، إلى صبي أكثر حكمة-إلى ملاك حارس لغابرييل، أو ربما لروحه.

كان والد غابرييل يتذكر بفخر كيف كان يدفع بولديه إلى أعلى التلة في عربة مزدوجة متوجهاً إلى الحديقة العامة. أينما ذهب معهما كانا يجذبان اهتمام الناس وتعليقاتهم.

" اثنان بسعر واحد" كان يقول وهو يقف مبتعداً بحيث يتمكن الآخرون من إلقاء نظرة وهم يداعبون الطفلين أو يتحدثون إليهما، فيردد الأب بحب:" مشكلة مضاعفة."

ثم وبعمر سنتين ونصف توفي أحد التوأمين بمرض التهاب السحايا. وكانت أعجوبة أن يظل الآخر على قيد الحياة كما قال الطبيب.

كيف يمكن لغابرييل أو لأهله أن يشفوا أبداً من هذا الفقدان؟ وكانت النتيجة أن ظل غابرييل لوقت طويل كأمير سجين، يعيش مع امرأة يصعب فهمها بعد أن بقي لديها طفل واحد فقط. كانت لا مبالية وعاطفية. لكنه لم يتمكن أن يفهم أبداً كيف يمكن التحول من حالة إلى أخرى إلا في خياله، هناك حيث يمكنه أن يفعل أي شيء ما عدا أن يكون مع الآخرين، كان ذلك حسب اعتقاده الفن الأصعب على الإطلاق.

Twitter: @ketab_n

عندما كان في الرابعة من عمره، كاد غابرييل يغرق في البحر مرة وأنقذه أبوه. وغاصت أمه في حالة من الحزن والهلع إثر تلك الحادثة. وصارت حذرة جداً في تعاملها معه، تمنع عنه الحياة خوفاً من الموت. قلق يبقي الناس أحياء. لكن زوجها كان ولحسن الحظ أميل لأن يكون متهوراً وطائشاً، ولعل هذا ما دفع عنهم الاختناق. لكنها كانت قد دخلت في منطقة الخوف ولم تتمكن من الخروج منها، فكانوا نادراً ما يغادرون البيت عندما كان غابرييل صغيراً.

لم يكن غابرييل يتذكر آرشي إلا من خلال صور التوأمين المعلقة في الردهة وفي غرفة نوم والديه وغرفة المعيشة. تلك الصور المؤطرة الغالية لم تمس أو تحرك من مكانها ولم يتطرق إليها أحد أبداً. لكنها كانت تسبب الإزعاج لغابرييل دائماً، لسبب هام وهو أن والديه لم يكونا قادرين على التمييز بينه وبين أخيه التوأم. وقد سبق أن صرحت الأم بأنه عندما كان آرشي حياً لم يكن أحد سواهما يميز بينهما، سوى أن أباه اعترف مؤخراً بأنه أعطى أحدهما الدواء نفسه مرتين. وأنهما كانا يخطئان حين يضعانهما في السرير ولم يكونا يلاحظان ذلك إلا في صباح اليوم التالي.

كل ذلك جعل غابرييل يتساءل ما إذا كانت هذه الأخطاء لا تزال ترتكب. ألا يكون هو آرشي وغابرييل هو الذي مات؟ لقد كان واعياً بشكل مستمر لغياب أخيه وفي كل مرة يرى فيها توأمين كان يجد في نفسه رغبة بإخبارهما أو إخبار أمهما بأنه كان له توأم هو أيضاً في أحد الأيام وأنه كان هناك اثنان منه، وأن أحدهما صار خيالاً اليوم.

" هل سيعود آرشي؟ كان يسأل أمه منذ أن كان عمره ست سنوات.

Twitter: @ketab_n

كانا يذهبان لزيارة قبره في ذكرى وفاته. أما يوم ذكرى ميلاد غابرييل، يوم ميلادهما، فقد كان دائماً يوماً حزيناً.

-" لا أبداً أبداً" كانت ترد بحدة

-" هل يسمعنا ونحن نتحدث عنه؟"

-"لا"

-" هل يفكر؟"

-"لا"

-"هل يرى؟"

-"لا"

-" ولا حتى اللون الأسود؟"

-" لا، إنه لا يرى شيئاً أبداً"

-" هل هو في السماء؟"

-" ممكن"

-"مع أصدقائه؟"

-" غابرييل إننا نحمله معنا حيثما نذهب، في أفكارنا، ولكنه سيظل ميتاً دائماً دائماً وإلى الأبد"

لم تكن تقول المزيد وكانت تضم قبضتها ثم ترخيها كما لو كانت تحاول أن تحتفظ بماء في كفها.

طالما أن آرشي يعيش في عقله فسيكون لدى غابرييل من يتحدث إليه دائماً. كانا يتآمران على والديهما. وعندما يكون غابرييل بمزاج رائق وينصت إليه بحذر يصبح صوت آرشي مسموعاً له. كان آرشي يبحث عن أخيه،.وكان حساساً، ويعرف دائماً ما الذي عليه أن يفعله.

Twitter: @ketab_n

وحين يشعر غابرييل بأنه يميل إلى اللهو واللعب كان آرشي يغني له أغنية البيتلز " نحن الإثنان". عندها يستمع إلى صوت أخيه وهو يتحدث إليه بداخله.

كان آرشي يدفع غابرييل إلى متابعة رسمه وينصحه بعدم التردد. كما أنه لم يعتبر تحول الأشياء التي يرسمها إلى أشياء حقيقية بالأمر السيئ أو بالسحر، وإنما مجرد مقدرة غير عادية يمكنه أن يستغلها. وعندما يتردد غابرييل يقول له آرشي بأن الأشياء يمكن أن تتغير، وأن كل ما عليه أن يفعله هو أن يتابع طريقه ليرى ما الذي يمكن أن يحدث.

قبل كل شيء أراد غابرييل أن يتأكد ما إذا كان من الممكن تكرار حدوث ذلك التحول الغريب.

فتح الصفحة التالية من الكتاب، تحتلها صورة كرسي أصفر. كانت تلك اللوحات تروق له فقط عندما يراها على البطاقات البريدية. فضل أن يجرب رسومات أقسى: مراحيض، دماء، عيون مثقوبة مثل لوحة " جرح ينبض".

الصور الجميلة التي أدهشت الناس في ما مضى فقدت قوتها اليوم. أما اللوحات الأخرى فهي التي تتحدث إليه الآن.

هذه جيدة همس له آرشي. لا تكن متطلباً. والدهما الذي كان لديه الكثير من الفضول والقليل من التذوق الفني، باستثناء الموسيقى، قد يحبها.

في آخر مرة اتصل فيها أبوه قال إنه استأجر غرفة في منزل كبير قريب من هنا.

-" إنها فارغة تقريباً وباردة، ولكن فيها سريراً و.."

Twitter: @ketab_n

-"وماذا ؟"

-" خزانة"

ما كان ينقصه هو بضعة صور مشرقة.

-" ما الذي يقوله؟ ما الذي يقوله؟ " سألت والدة غابرييل التي التقطت طرف الحديث صدفة وهي تنحني وتضغط أذنها على الباب.

-" لقد عثر أبي على غرفة"

-" أي نوع من الغرف؟"

-" غرفة فارغة وباردة"

-" يا إلهي باردة جداً؟ ولكنه يكره البرد"

-" ليس لديه أي مكان آخر يمكث فيه"

تخيل والده واقفاً يقرأ ويأكل ويشاهد التلفاز، أو يستند إلى الجدار بين الفينة والفينة كي يرتاح.

عندما بدأ غابرييل بنسخ صورة الكرسي شعر أنه يجعل وجودها حقيقياً. عمل بسرعة، كان الأمر كما لو أنه يغني أغنية: ما أن تبدأ عليك ألا تفكر بها. عندما أنهى الرسم لونّه ثم أغلق عينيه رفع رأسه ونظر إلى الأعلى.

كان هناك.

مرر يديه على انحناءاته وحوافه بحذر شديد وهو يتساءل ما إذا كان من الممكن أن يقع، ثم جلس عليه. كان مريحاً وآمناً. وقف غابرييل عليه ورقص قليلاً. تحمل الكرسي وزنه لقد كان كرسياً تستطيع أن تضع ترسانة أسلحة عليه وأن تتأرجح معه.

عندما عاد إلى دفتر رسوماته وقلب الصفحة اختفى الكرسي الحقيقي ولكن نسخته ظلت هناك.

Twitter: @ketab_n

كلما فكر بما فعل ازداد اضطرابه وتشويشه. أزهار النرجس حاولت التواصل معه وغمزته. أخوه المتوفى يتحدث إليه من خلاله. من المؤكد أن الأرض قد مادت وهي تهتز الآن على محورها. من الذي سيعيدها إلى مكانها قبل أن ينهار كل شيء؟

ولكي يتأكد أن الأشياء لا تزال على حالها نزل إلى غرفة المعيشة ووجد هناك هانا تشاهد التلفاز وعيناها تهتزان وتتجولان في الغرفة المظلمة.

-"هانا"

نظرت حولها متفاجئة.

-"باه"

-"ماذا ؟ قال شبه ممتن لأنه سمع صوتاً إنسانياً

-"حمام"

-"تماماً"

ثم ذهبت لتهيئ الحمام

يمكنه أن يقوم بالعمل بنفسه، لكنه كان يرغب أن يشعرها بأنها قادرة على ذلك. لقد كانت تلك المرأة المسكينة من بين كل الناس هي ضمير أمه. كان يتساءل أحياناً ما إذا كان يهتم بهانا أكثر مما تهتم هي به.

كانت تراقبه

-" تلك الثياب- إلي أعطني"

-" ماذا ستفعلين بها ؟"

-"غسيل"

Twitter: @ketab_n

-"هانا..."

-"لا، أمك تقول، ثلاثة أيام كثيرة دون غسيل ثياب". " كل يوم تبدل ثيابك" أمرته.

-" تعرفين، أحتاج لبضعة أيام كي أشعر بالراحة مع الثياب الجديدة التي أضعها. إن التفكير بثياب جديدة يتعبني. كما أنه ليس لدي صديقة هذه الأيام."

-" هاك!"

لبس ثوب الحمام وأعطاها ثيابه.

-" كما قال أبي، لا ترتد أبداً ثياباً خشنة. هانا، إنه شخص طريف"

-"هل هو كذلك؟"

-" عليك أن تستمعي إليه، ستفهمين حين تقابلينه يوماً ما."

" أمك تقول بأنه مجنون"

-"ماذا؟ إنها مجنونة إذ تقول هذا"

قامت هانا لتحضر مناشف نظيفة وهي عابسة.

أقفل الباب، أخذ حمامه بسرعة ثم توجه إلى غرفته لينهي وظائفه المدرسية. بعد أن تفقدته هانا ونزلت لتتابع مشاهدة التلفاز، تسلل إلى غرفة أمه. رفع كتاب الصور عن الأرض، نظر إليه وشعر بأنه قد يصرخ من الخوف.

لم يكن لديه أية فكرة عن موعد عودة أمه إلى البيت. لقد توقف عن انتظار صوت حفيف ثيابها، وآثار رائحة عطرها، وانسياب شعرها ومداعبته، بينما يداها تحيطان به، تشدانه إليها. كانت مسرحية صموئيل بيكيت التي قدمتها المدرسة تقول شيئاً: الانتظار صعب،

Twitter: @ketab_n

والسأم هو ربما أسوأ عذاب على الإطلاق، فهو يحول الإنسان إلى قاتل وضحية في آن واحد.

تبدلت أمه بطرق عديدة منذ أن غادر أبوه وبدأت تعمل. في البداية حصلت على خزانة جديدة.

وعندما كانت تأتي إليه في آخر الليل لتقبله كانت ترتدي معطفاً ذا ياقة كبيرة من الفرو وتضع مجوهرات وتلبس حذاء بكعب عال. كانت تصاحبها سيمفونية من الروائح الجديدة: العبق الليلي لأجزاء غير مألوفة من المدينة- كان يشعر بأنه قادر على تحسس رائحة المنطقة الشرقية تفوح منها في بعض الأوقات، كما كان يتحسس روائح ما بعد الحلاقة والكحول والماريجوانا.وحتى أنها في بعض الليالي وفي وقت متأخر من الليل كانت تحضر معها إلى البيت رجالاً لم يكن قد قابلهم قط. فيسمع صوت الموسيقى وقرقعة زجاجات الشراب، ثم يبدأ الرقص. في الصباح كانت تنسى من هو وتناديه بأسماء التحبب.

الآن وبعد أن عاد إلى غرفته مستلقياً في العتمة، سمع الباب يفتح ببطء. كان خائفاً. لقد كان يوماً غريباً حتى الآن.

-" غابرييل...." ،همست هانا " هل أنت في هذا العالم؟"

-" الآن"

-" هناك ما أخبرك به"

-" هل ستتأخر أمي أكثر؟"

-" لقد اتصل أبوك"

-" أبي؟ كان هو؟"

-"نعم"

Twitter: @ketab_n

-" ألم يطلب التحدث معي؟"

-" ترك رسالة، قال بأنه سيمر غداً ليصطحبك."

-" سيأتي إلى هنا ؟"

-" هو سيأخذك إلى بيته"

-"إلى بيته؟ لقضاء الليل؟ هل وافقت أمي على ذلك؟"

-"نعم"

-" هل قال شيئاً عن أخباره؟ هل هو بخير؟"

-"لا، لا مزيد من الأسئلة، ضع سترتك وثيابك الداخلية في الحقيبة"

ستكون تلك هي المرة الأولى التي ينام فيها عند والده. لقد كان غابرييل يحلم بذلك.

-"تم جيداً" قالت هانا ثم أضافت " سيكون غداً يوماً هادئاً بالنسبة لي"

-" اغربي عن وجهي"

-"ماذا ؟"

-"إنه تعبير بالانكليزية يعني لتضيعي في أحلامك العذبة"

-" فهمت، شكراً، لتضيع أنت أيضاً وليباركك الله أيتها الوجنات النضرة طوال الليل."

-" وليبارك وجناتك النضرة هانا."

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني

في اليوم التالي وقف غابرييل بعد عودته من المدرسة خلف نافذة غرفة المعيشة ينتظر أباه وهانا تقف خلفه. أغلق عينيه وعندما فتحهما كان أبوه يقف عند الباب الخارجي.

" ها هو " صاح غابرييل "نعم، نعم! انظري هانا لقد جاء"

" لا ضجيج" قالت هانا وهي تراقب الأب بحذر.

ومع أنه يعرف أن الأم كانت في عملها، إلا أن أباه لم يدخل إلى البيت بل وقف على الدرج الخارجي وظهره إلى الباب يهز قدمه منتظراً غابرييل وهو يوضب أقلام الرسم ودفاتره في حقيبته.

كانت ذقنه قد طالت قليلاً، وكان يضع نظارات شمسية وقد أرخى قبعته الصوفية. تذكر غابرييل أمه وهي تقول له:" احذر سيظنك الناس لصاً. وسجلك عند الشرطة هو الشيء الوحيد الذي ستنجزه في حياتك!." "سأسرق مستودع أسلحتك على الفور " كان يرد عليها وهو يأخذها بين يديه مداعباً.

عندما يكون بمزاج رائق يكون عاطفياً وودوداً، يحب الملامسة والتقبيل والضم طوال الوقت. مع أن أمه كانت تقول دائماً بأنه أخرق ولا يجيد الملامسة.

Twitter: @ketab_n

تحت القبعة كان أبوه قد بدأ يصلع، وما تبقى من شعره كان معقوصاً إلى الوراء ومربوطاً بمطاطة، كان قد وجدها في الطريق.والباقي كان مجعداً ومشعثاً. بنطاله الجينز كان ممزقاً -" تهوية" كما كان يقول- وكان ينتعل حذاء يرفعه عن الأرض. كانت فكرته عن اختيار ما سيرتديه تتلخص باختيار الحذاء من أحد الصناديق المركونة في القبو.

-" لنذهب" قال أبوه وهو يستعجله في الابتعاد عن البيت.

كانت هانا تقف إلى النافذة وتقول له:

- " اغرب عن وجهي"

قال غابرييل:

-" لقد كنت متحمساً طوال النهار، سيكون لي منزلان عوضاً عن واحد كبقية الأولاد."

مر في ذهن غابرييل الأولاد الذين يشعر آباؤهم بالذنب لابتعادهم عنهم فيصبحون متساهلين دائماً ولا ينفكون يقدمون لهم الهدايا.

-"إنه شقة وليس منزلاً" قال الأب.

ولدهشة غابرييل لم يتوجها إلى منزل أبيه على الفور وإنما توجها إلى متحف فيكتوريا وآلبرت جنوب كيسنغتون وتمشيا حول الجرار والآنية القديمة بصمت مضطرب يدعوه أبوه:" صمت تأملي".

كان غابرييل معتاداً على مرافقة أبيه لرؤية آخر الأعمال التي أنجزها فنانون شبان يعملون في مناطق غير مرخصة، أو في مخزن أو مرآب مهمل. نظر غابرييل إلى رؤوس مصنوعة من دم وشعر وجلد قديم، كما رأى حيوانات مشرحة وصوراً فوتوغرافية غريبة لأجزاء متفرقة من الجسد. واللوحة الوحيدة التي رآها كانت خيمة تريسي إيمين.

Twitter: @ketab_n

لقد تعلم غابرييل بأن كل شيء يمكن أن يكون فناً. ولم يكن أبوه يخجل من قرع باب الفنانين الشبان الذين يعجب بهم ويبادر في خلق حديث معهم، خاصة وأنه يعلم بأنهم كانوا يرغبون بالحديث عن أعمالهم. لكن الفضول لم يكن مسيطراً عليه اليوم.

كان غابرييل قد بدأ يرسم بشكل جدي منذ سنتين مضتا، عندما كان أبوه دون عمل تقريباً ويمضي معظم الوقت معه في البيت. لم يكن هناك فنانون في العائلة، ولكن ربما اختار غابرييل الفن أو صنع الأفلام لأنها أشياء فكر أبوه بممارستها دائماً.

على عكس معظم الموسيقيين، كان أبوه يقرأ التدوين الموسيقي ويتقن العزف على عدة آلات. وكان المنزل مليئاً بالغيتارات، وساكسوفون وبيانو ومجموعة طبول أودعها في مرآب قريب. كما كان قد بدأ يصنع هاربسيكورد خاص به.

بدأ أبوه العزف منذ أن كان في الرابعة عشرة، بداية مع فرق موسيقية بشعور طويلة، ثم مع فرق بشعور قصيرة، والآن مع فرق تشرف على الصلع. كان يعزف بكل الأساليب ولكنه يغني بأسلوب واحد فقط. وكانت أمه تناديه باسم جوني الذي يكاد يصبح مشهوراً. أما أبوه فقد كان ذكياً كفاية ليدرك أنه ما لم يصب النجاح في مثل سنه، ويكن غنياً وله عدة محامين وتلاحقه الصحافة والمعجبون، كما جرى مع بعض أصدقائه السابقين، فعليه أن يجد شيئاً آخر يفعله. "والشيء الآخر هذا" كان بالطبع هو الاعتراف بالفشل، " الشيء الآخر" كان النهاية.

والأسوأ من هذا في رأي أمه هو أنه كان يلعب البليارد كل يوم في الحانة مع متقاعدين طويلي الشعر، ويرتدون الجينز القذر، ويرددون أن

Twitter: @ketab_n

الموسيقى لم تكن على مستوى جيمي وأريك مؤخراً. تلك المجموعة المتدهورة،كما دعاها غابرييل مرة ساخراً، كانت تتدبر أمرها بصعوبة لخلق حوار ذي قيمة. أما أمه فقد كانت تتذكر أنها عندما كانت تعيش في قلب عالم الروك كانت ترفض استقبال هؤلاء التافهين. في الليل كان أبوه يلتقي بأصدقائه في منزل أحدهم ليحتسوا المشروبات ويدخنوا الحشيش.

على الأقل لم يتوقف أبوه يوماً عن حبه للموسيقى. كل ما هنالك أنه لم يكن يحصل على أجر مناسب.

كان لا يزال يعزف مع هؤلاء الأصدقاء في الحانات أو الحفلات والأعراس، حيث لا أحد يستمع إلى الموسيقى وحيث يرقص متوسطو الأعمار وهم جامدون. عزفوا مؤخراً في أحد الفنادق بينما المدعوون يتناولون عشاءهم، كان الجو مصطنعاً، ولكنهم طلبوا عزف موسيقى السبعينيات. يومها ذهب معه غابرييل ليساعده في تجهيز المعدات وبما أن معظم أعضاء الفرقة كانوا متعبين فقد كانوا يرفعون آلاتهم الموسيقية بصعوبة.

كانت فرقة أبيه تعزف الألحان التي أحبها الملايين عندما كان مع فرقة ليستر جونز، ولكن الضيوف بدأوا يتسللون خارج الغرفة واحداً تلو الآخر حاملين أطباقهم وبعضهم لا يزال يمضغ طعامه ولم يبق سوى رجل عجوز ذي وجه أحمر يرقص أمامهم. وظل يرقص إلى أن انهار بين يدي طبيب كان يقف قريباً منه.

أحياناً كانت عزيمة أبيه توهن، أو كان يغبط الشبان فيصاب بالإحباط، شبان لا يكبرون ابنه بكثير يظهرون عبر محطات التلفاز في البلاد، وفي المجلات ويتجولون مع الكثير من المال حين يواتيهم الحظ.

Twitter: @ketab_n

تدرب غـابرييل على العـزف على الغـيـتـار والبـيـانو منذ أن كـان صغيراً، وكان أحد أعضاء فرقة المدرسة، وعزف موسيقى الروك لبضعة أسابيع. لكنه لم يتمكن من كتابة الأغنيات ولم يتطور كموسيقي.

كان الامتعاض يعلو وجه الأب - فقد كان يكره أن يسمع ابنه يعزف بشكل سيء - وكان غابرييل يفضل ألا يعزف. إضافة إلى أن الأب كان يكره أن يلمس أحدهم آلاته الموسيقية، وإذا كان يتابع غابرييل ويراقبه فذلك خوفاً من أن يوقع الفتى أفضل غيتاراته أرضاً. وعندما ينتهي العزف كان كل منهما يشعر بالراحة والانعتاق. كان الأب يفتقد وجود شيء ذي قيمة يهتم به.

في أحد الأيام أخذته أمه ليشاهدا معرضاً لرسومات قديمة وحديثة في المتحف البريطاني. بعد ذلك ابتاعت له أقلاماً ودفتراً للرسم. مثله مثل أبيه ما لبث أن صار لغابرييل أشياءه المقدسة يشتريها بسعر رخيص من بياعي الأشياء المستعملة في المنطقة: فرشاة للتلوين أقلام، أشرطة فيديو، آلة تصوير كوداك قديمة. وبدأ يأخذ أغراضه معه أينما ذهب يضعها في حقيبة الظهر. إذا وضع شيئاً كقلم أو كاميرا بينه وبين العالم فإن المسافة بينهما ستسمح لأفكار جيدة بالنمو. هو وأبوه كانا يعملان بشكل مواز أكثر من كونهما يعملان بشكل منافس.

عندما يكون الطقس جيداً وأبوه يشعر بالفضول كانا يركبان دراجتيهما على طول النهر وكان الأب يرفض الذهاب إلى المناطق التي تقع خارج لندن: بالنسبة له كان الريف عبارة عن أرض وعرة مليئة بحمقى وحثالة يعيشون بفقر وقذارة وإهمال. لحسن الحظ كانت أجزاء من الممرات المحاذية للنهر معزولة تماماً بحيث أنك تشعر وكأنك في الريف، وإنما على بعد أميال قليلة من هدير وضجيج المدينة.

Twitter: @ketab_n

أول المساء وقبل أن يذهب إلى الحانة كان أبوه يتمرن على آلاته الموسيقية، على الغيتار بالصوت المنخفض، والغيتار الكهربائي والماندولين وحتى على البانجو القديم. كان يقول بأنه يشعر بأنها تنظر إليه لائمة تشتاق لعزفه، ويكرس وقتاً لها جميعاً.

عندما كان أبوه يعزف عاقداً قدميه على الأرض يهمهم وهو يجرع الجعة، وتتكور أصابعه على ساعد الغيتار، كان لغابرييل عمل يؤديه كذلك. فهو يقوم برسم وجه ويدي والده، كما يرسم الغيتار ووجوه أصدقائه في المدرسة. ويجرب القلم الرصاص والحبر والفحم. كان كلاهما يغرق فيما يحب أن يفعله.

عندما وصلا إلى مسكن أبيه الجديد كان الظلام قد هبط. كان لدى غابرييل الانطباع بأن أباه قد تعمد ذلك. كان المكان عبارة عن منزل متهاو مقسم إلى مجموعة من الغرف الصغيرة.

-"بناء قديم رائع مليء بمظاهر الأصالة " قال أبوه

-"يساوي الملايين. غرفتي هي الحجرة التي فوق السطح في الأعلى"

أخرج غابرييل الكاميرا من حقيبة ظهره " قف هناك، هناك أبي إلى جانب هذا العمود"

-" فيما بعد، ضعها جانباً"

-"أبي"

-"ضعها جانباً قلت لك... ألا تلاحظ أن هناك نماذج غريبة هنا. ستتعلم الكثير إذا تحدثت إليهما، الأمر يشبه قليلاً أيام الستينيات."

-"رائع"

-" صحيح"

Twitter: @ketab_n

كان أبوه يتحدث عن الستينيات بإجلال، كمن يتحدث عن ملحمة: وكأنه زمن المآثر العظيمة والإثارة التي لا يمكن أن تتكرر. كانت كل النوافذ مفتوحة، و"بلحظة كونية" كانت أغاني ألبومه المفضل Sgt pepper تصدح لأول مرة. قد تبدأ الكثير من جمل والده: " في أحد الأيام في الستينيات... كما عندما يقول مثلاً " في أحد الأيام في الستينيات عندما كنت أعزف سكاربل مع كيث ريتشارد - كنت عنيداً ومغرماً بكلمة "صاعد"..."

فكر غابرييل أنه يستطيع أن يصنع فيلماً عن أبيه عنوانه في أحد الأيام في الستينيات، مع أنه كان يشك أن أباه كان شاباً في الستينيات، وأن تجاربه كانت أقل مما يدعي. لكن الآباء لا يحبون أن يشك أبناؤهم بكلامهم. إنهم يفقدون روح الدعابة عندما يتعلق الأمر بهم. في الرواق قال الأب " الآن خذ نفساً عميقا واخفض رأسك إذ لا يوجد مصعد ويسعدني أن أقول إنها فرصة لتمرين أحتاج إليه بشدة."

خفض غابرييل رأسه وصار يرى بدقة السجادة الممزقة والمبقعة التي تغطي الدرج وقد بهت لونها. عندما نظر إلى أعلى لاحظ بأن لكل طابق مراحيض ومياه للاستحمام. خارج الغرف كان يقف رجل ملتح يضع ثوباً وعمامة ويتحدث بلغة غريبة.

سار أبوه خلفه متلكئاً يتوقف ليلتقط أنفاسه عند كل منحنى. كان لديه عرجة خفيفة أو " إصابة حرب" كما كان يردد أحياناً أمام الغرباء، وأنه أصيب بها أثناء "النضال الثوري وهو يحاول جعل العالم مكاناً أفضل، حيث الطعام والماريجوانا بالمجان أينما ذهبت". والواقع أن سبب هذا الجرح كان أقل نبلاً مما ذكر وإن كان بالنسبة للبعض مسلياً أكثر.

Twitter: @ketab_n

عندما وصلا في النهاية إلى الطابق العلوي كان على الأب أن يتكئ إلى الحائط ليرتاح مما ترك بقعة بيضاء على معطفه، أخذ غابرييل المفاتيح من أبيه ليضعها في قفل الباب. ولكن القفل كان عالقاً والباب مفتوحاً، دخل غابرييل وأشعل الضوء:

-" مكان صغير دافئ" بدت أنفاس أبيه وكأنها تصفر في حلقه.

-" من الممكن أن يكون مكاناً لطيفاً جداً أليس كذلك؟ ما رأيك؟"

نظر غابرييل حوله.

لم يكن أبوه من النوع القذر ولكنه كان من النوع الذي إذا نظف البيت في تموز يفاجأ بأنه اتسخ في كانون الأول. كان هناك الكثير مما يمكن للمرء أن يحسنه في تلك الغرفة. فجأة ضربت النافذة رياح قوية وهدرت كما لو أنها حيوان يحاول الدخول. حوض المغسلة في الزاوية كان مليئاً برماد السجائر. والسرير الوحيد في الغرفة مد عليه غطاء من الريش وبطانية.

لم يستطع غابرييل أن يبعد عن ذهنه فكرة ما يمكن أن يكون رأي آرشي في كل هذا.

-" معالم مبتكرة هه؟ وماذا يوجد في الغرفة الأخرى؟"

-" أية غرفة أخرى؟ " سأل الأب ثم تابع:" لا يتوقف الإنكليز عن الحديث عن ممتلكاتهم. إن ثمن بيوتهم يساوي ثمن حياتهم. إنهم يبيعون أرواحهم من أجل غرفة جلوس. هل سبق ولاحظت أنني أتمسك بالممتلكات المادية؟ أنا أسألك غابرييل إلى كم غرفة تعتقد أن المرء يحتاج؟ "

-" حسناً واحدة كي يجلس فيها وأخرى كي..."

Twitter: @ketab_n

-" كن عملياً أيها الفتى. هذا أفضل ما استطعت الحصول عليه.. بالمال الذي أملكه."

-" هل زارتك صديقتك هنا؟"

-"لا، لم يزرني أحد. في الواقع لم أتمكن من دعوة أحد. لقد كنت مشغولاً بكتابة رسائل. لم أفكر عندما كنت أصغر سناً بأن الأمر سينتهي بي هنا. ولا يتعلق الأمر بكوني أحمق على نحو خاص، فأنا لا أستطيع تفسير حصول كل هذا حتى لنفسي."

-" لا عليك أبي"

-" إنه شعور مشوش جداً أن تدرك فجأة أن حياتك قد انتهت، وأن الوقت صار متأخراً لحصول الأشياء الجيدة التي كنت تعتقد أنها ستحصل معك."

-" أبي، ليس الأمر كذلك."

-" لا، لقد حاولت رؤية هذا الانفصال على أنه بداية لكن هذه الغرفة تشعرني بإلحاح بأنني سبق وكنت هنا."

-" أهي ظاهرة " سبق وأن رأيت هذا" deja vu أم أنها حالة تقمص؟ هل صرت تؤمن بالخزعبلات-؟"سأل غابرييل.

- "ماذا؟ لا. توقف عن التفوه بهذه الأشياء. قصدت أن هذا يشبه كل ما كان يحيط بي، عندما كنت طفلاً وقبل أن يتبدل العالم قليلاً..."

-" في الستينيات؟"

-"صحيح"

-" طيب"

من المفترض أن ثياب أبيه كانت في الخزانة. أما فيما يتعلق

Twitter: @ketab_n

بالموسيقى كان أبوه قد أحضر بضعة تسجيلات وغيتاراً، تاركاً ما تبقى من آلاته الموسيقية عند أحد أصدقائه خوفاً من أن تسرق.

-" ما الذي تفعله هنا ؟"

-" مـا الذي يفـعله أي كـان في أي مكان؟ أنت تعـرف أنني إذا احتجت إلى أغنية فإني أغنيها. أما الآن فعلي أن أطعمك وإلا فإن أمك ستتـهمني ب... بما لا يصح قوله. هل كانت عـصبيـة إذ سمـحت لك بالمجيء إلى هنا ؟"

لم يصرح غابرييل لأبيه بما قالته أمه الليلة الماضية عندما أيقظته كي تتحدث معه عن يوم غد. بدأت كلامها بأن أباه لم "يضبطه" كما ينبغي، فكانت نتائجه في المدرسة متدنية وكان في النهاية يحتذي نموذج أبيه السيء. وأنها أحضرت هانا إلى البيت كي تساهم بعملية الضبط هذه، وأنها إذا لاحظت علائم تراجع فإن إجراءات مباشرة وصارمة سوف تتخذ بهذا الشأن. ثم أوصته أن يتصل بها إذا بدأ الأب يشرب خلال الزيارة، قالت له: "سآتي لأخذك وإذا أحبطك أو تصرف معك بشكل سيء، اتصل بي وسأكون عندك على الفور."

وأضاف:

- " لا لم تكن عصبية أعتقد أنه لديها أشياء عديدة تقوم بها الآن"

-" مثل ماذا ؟"

-" لست متأكداً إنما هناك أشياء تشغلها"

" حسناً، هذا بالضبط ما أريده لنفسي أيضاً، لنأكل يا صديقي."

فوق الموقد لاحظ غابرييل علبة رافيولي مفتوحة وقد اسود أسفلها وبداخلها ملعقة وقد تكون لا تزال ساخنة.

Twitter: @ketab_n

" انتظر" قال غابرييل.

أخرج من حقيبته مسامير صغيرة وثبت رسم الكرسي الأصفر فوق سرير والده.

كان يأسف لكونها صورة منسوخة ويتمنى لو أنها لم تكن كذلك.

ولكن الكرسي الأصفر كان ملائماً تماماً، وذكره بأنه كان ينوي التحدث مع أبيه عن الهلوسة والرؤى الغريبة الأخرى وعن كوابيس تحتل حيزاً من تفكيره. لكنه أرجأ ذلك إلى وقت آخر فقد لاحظ أن أباه محمل بما يكفيه من الهموم الآن.

انتهى غابرييل من تثبيت الصورة ولاحظ أن عيني أبيه كانتا نديتين كما كان الحائط.

-" سحر" قال الأب بضعة أشياء أخرى من هذا القبيل ثم تابع:

-" أفضل أن أمسد عنقي لا أن أقطعه. أنت طيب معي يا ملاكي. أتمنى، مهما حدث، أن أبقى كما أنا معك. أعتقد أنه علينا أن نجد مطعماً."

-" طيب"

-" توقف عن تكرار هذه الكلمة"

في مطعم البيتزا لم يأكل الأب شيئاً بل اكتفى باحتساء البيرة ومراقبة غابرييل وهو يسأله عن المدرسة والأصدقاء. ترى هل فقد أبوه شهيته للطعام، أم أنه لا يحتمل مصاريف المطعم.

سأل غابرييل:

- " أين كنت طوال تلك الفترة؟"

-"معك، أنا آسف، كنت أحاول أن أبدأ من جديد"

Twitter: @ketab_n

-" لماذا لم تتصل؟ اعتقدت بأنك صرت شاذاً"

"شاذ ؟!!" نظر إليه أبوه مصدوماً. ثم ما لبث أن ضحك وقال:" تذكرت ما قلته لي مرة عما حدث لوالد صديقك زاك، من أنه استيقظ في أحد الأيام وقرر بأنه يريد أن يعاشر شباناً من جنسه. ولكن لماذا يحدث معي مثله؟ ألم تخبرني بأن والد زاك كان مهووساً بجمع أباريق الشاي قبل أن يعرف بأنه شاذ ! هل سبق أن مارست مثل تلك الأشياء كتجميع أباريق الشاي أو ما شابه من سلوك غريب؟ "

استعرض غابرييل والد زاك بذهنه، كان لديه خصل شعر شقراء وهو يرتدي قميصاً قطنياً أبيض ضيقاً ويقحم علبة سجائر مالبورو في كم القميص.

ربطت زاك وغابرييل صداقة متينة منذ اليوم الأول في المدرسة، عندما اكتشفا أنهما يحبان الأفلام نفسها وأن لهما الأعداء أنفسهم.

كانت أوضاع أهل زاك المادية جيدة. أبوه كان ناشر مجلة كومبيوترية وأمه صحفية. وقد أرسلوا زاك إلى مدرسة حكومية لا خاصة كموقف مبدئي. لأنه ربما لن يستطيع اكتساب أية معلومات ذات قيمة في المدرسة الحكومية لكن ستتاح له على الأقل الفرصة، وربما لمرة واحدة، في حياته لأن يحتك بأشخاص طبيعيين، وهذه بحد ذاتها تربية تستحق أن ينفق عليها. كان هناك بعض الأولاد بنفس الموقع، كان أهلهم إما سياسيين أو ممثلين أو يديرون دور السينما المحلية حيث كان يسمح لغابرييل وزاك بالدخول مجاناً. هؤلاء الأولاد كان الآخرون يكرهونهم لكونهم متكبرين. وكانوا إذ يرتادون هذه المدرسة يعتبرون الأمر تنازلاً أو خدمة يؤدونها لها. يأتون بعد أن يتناولوا طعام الإفطار مع ذويهم

Twitter: @ketab_n

وأولاد مشاهير آخرين إلى مقهى نوتينغ هيل حيث يتلقى نجوم السينما وعارضو الأزياء والمنتجون مكالماتهم الصباحية الأولى. وكان هؤلاء الأولاد الغلظاء يدركون تماماً أن الأهل الذين يتنازلون بإرسال ابنهم إلى المدرسة هم إما متميزون بشكل لا يجهله أحد أو معارضون سياسيون.

لم يكن زاك فقيراً أبداً. ولم يكن يعرف كيف يكون الفقر. وكان لأفراد الطبقة الوسطى مخاوف تختلف عن مخاوف أي شخص آخر. فهم لا يمكن أن يتوقوا يائسين إلى المال ولا يمكن أن يتحطموا نهائياً.

كان الآخرون ينظرون لغابرييل كما لزاك في بعض الأحيان. وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك مجال لإرسال غابرييل لأي مدرسة أخرى وأن أباه كان يأتي ليأخذه من المدرسة دون سيارة كما يفعل بقية الأهل وإنما على دراجته ينتظر خارجاً ومعه رزمة من أوراق الرسم وجريدة كان قد التقطها من إحدى حاويات القمامة، فقد كان لا يزال يعتبر أنه نجم موسيقى الروك لأنه عزف مع ليستر جونز الذي كان لا يزال مشهوراً. وكان هذا يعرضه للاستهزاء والإعجاب بآن واحد. كان الأولاد يغنون أغاني ليستر جونز في باحة المدرسة دون أن يعرف غابرييل ذلك.

قال غابرييل:

-" لقد كنت تتزين وتتأنق"

-"طبعاً، لقد كنت شاباً وكانت الأنظار موجهة إلي، إن الرجال الإنكليز يميلون بطبيعتهم إلى التأنق. وهذا يدعى إيحاء. وعلى كل حال أنا معجب بوالد زاك."

-"حقا؟"

-" إن تغيير كل حياته بالشكل الذي فعله يعتبر شيئاً رائعاً.

Twitter: @ketab_n

مضحك كيف أن الكل يعيشون حياة بوهيمية اليوم، إلا رجال الحكومة الذين يجب أن يبقوا قديسين، وأنا " قالها بإجلال " سبق أن وجدت عملاً".

-"عمل؟ " سأل غابرييل.

-" دهشتك تفاجئني!! أجل، عمل في الهواء الطلق، ويدر مالاً لا بأس به."

-" وأي عمل هذا ؟"

-" كانت مجرد فانتازيا، وقبلته بسهولة. عملت ساعي بريد على الدراجة"

-" وما الذي حدث؟"

-" كان ذلك مرهقاً جداً، مرهقاً جداً. مرضت. أنهكني العمل. المسافات عبر لندن كانت بعيدة جداً بالنسبة لي. لم يكن لدي فكرة بأن المدينة كانت... متموجة بهذا الشكل".

-" ماذا يعني هذا ؟".

-" يعني أنني كنت أشعر بأن صدري يكاد ينفجر من كثرة المرتفعات"

-" وتوقفت عن هذا العمل؟"

" لقد... انهرت نوعاً ما. أبحث الآن عن شيء يحتاج إلى عمل ذهني أكثر مما هو عضلي."

-"مثل ماذا ؟"

-" كفى أسئلة... كيف يسير الفيلم؟".

-" إنه جاهز للتصوير تقريباً " أجاب غابرييل كاذباً. " كل ما علي فعله الآن هو توفير ثمن الكاميرا".

Twitter: @ketab_n

-" أتمنى لو أني أستطيع مساعدتك. سوف أحصل لك على كاميرا من مكان ما، أعدك. ما نحتاج إليه هو ضربة- ضربة حظ واحدة، أخبرني ماذا حدث أيضاً في البيت؟"

-" أصبح لدينا مساعدة مشعرة في المنزل اسمها هانا".

-" أعرف رأيتها تراقبني. ما الذي كانت تفعله سابقاً؟ إشعال البنزين في اوشويتز؟"

" الواقع أنها مهاجرة، ضاعت في حلم مزعج، ومعظم الوقت لا تعي أين هي."

-" نعم، نعم، أنا آسف لهذا، وهذه المرأة تتكاسل متراخية على تلك الأرائك الجلدية التي اشتريتها بثمن جيد؟ أرجو ألا تكون قد أفسدتها."

-" على الإطلاق لأن أمي بدلتها بأريكة جديدة."

-"بدلتها ؟ ألم تحاول منعها ؟"

-"أنت تعرف كيف تكون عندما تقرر عمل شيء، لقد انتهى أمرها!".

أطرق الأب وهو ينظر بعيداً.

-" إنها تعمل نادلة الآن. هل عندك علم بذلك أيضاً؟".

-" هل جاء أحد؟"

-" عفوا؟"

-" إلى المنزل؟"

-" فقط أصدقاء أمي- نورما تلك المرأة البدينة التي تردد دائماً "قل أيها الأحمق". والنساء الأخريات - آنجي وما شابه - من تلك النسوة اللواتي يرتدين معاطف كبيرة ويضعن أوشحة عديدة."

Twitter: @ketab_n

-" ألم يأت أشخاص لا أعرفهم؟ غرباء؟"

هز غابرييل رأسه مجيباً:

-" لا لم يأت غرباء"

شرب الأب جعته ثم قال:

- " أخشى أن تجد صعوبة في العيش بدوني. وإذا اتصلت طالبة رأيي في شيء ما قد لا أستجيب لها. سوف تدرك أن النساء تستسغن ذلك الوهم بأنهن قادرات على العيش من دوننا - ولكننا نؤمن لهن..."

-" ماذا ؟"

-"إيه... الاستقرار"

دفع غابرييل طبقه بعيداً قائلاً:" لم أعد أريد المزيد"

أنهى أبوه ما تبقى من البيتزا ثم مسح فمه بكم قميصه.

-" لماذا تنظر إلى هكذا ؟" سأل غابرييل.

-" في ما عدا شعرك فأنت تشبه أمك كثيراً. كما أنك تتحدث مثلها."

-" أنا لا أستطيع تغيير ذلك."

-" لا طبعاً لا. هيا لا عليك"

في الغرفة جلس غابرييل على حافة السرير. نظر إلى غيتار أبيه وتولد لديه شعور بأنه لم يلمسه منذ فترة.

-" أبي هل لك أن تعزف قليلاً"

-" لا أعتقد. أعتقد أننا إذا لعبنا لعبة الأصفار والصلبان فستتمتع أكثر، لقد كنت مغرماً بهذه اللعبة".

وفكر غابرييل- ربما كان ذلك بعد وفاة آرشي بعدة سنوات- ثم سأل أباه " ولماذا الأغنيات؟"

Twitter: @ketab_n

-" بالإضافة إلى أشياء أخرى، إنها تحسن وضعنا عندما تكون الأمور صعبة".

تلك الملاحظة ذكرت غابرييل بفائدة الترويح عن النفس.

قال:

- "أريد أن أرسم رجلاً يعزف على الغيتار. هناك لوحة أريد نسخها. وإذا عزفت... فإنك تساعدني على التركيز".

-"حقاً؟"

-" أرجوك هيا.."

كانت تلك لوحة بيكاسو عازف الغيتار الأعمى، التي تصور شخصاً نحيلاً ذا أطراف طويلة ووجه أزرق، لا يعزف على غيتاره وإنما ينحني فوقه حزيناً.

وبينما كان غابرييل يدرس اللوحة، ذهب أبوه ليحضر علبة البيرة وسجائره، وبدأ يعزف لحناً حزيناً وعيناه مغمضتان. عزف وهو يشرح بطريقته المحببة وبتباه لا مفر منه بأن هذه الأغنية هي إحدى أقدم الأغنيات في الموسيقى الحديثة.

-" عليك أن تستقر في حيز عميق جداً منك عندما تعزف البلوز"

-" صحيح، أرى ذلك"

فتح غابرييل دفتره وبدأ يرسم. أحياناً عندما ينسخ شيئاً كان يبدل قليلاً من الصورة الأصلية، وفي هذه المرة رسم العازف أكثر فرحاً وأعطاه مظهر المتمتع بما يفعله.

سمع صوت ضرب شديد على الحائط.

-" توقف صرخ أحدهم."

Twitter: @ketab_n

-" من هذا ؟" سأل غابرييل.

-" توقف"

-" إنهم رجال مجانين " قال الأب " يقطنون في الغرفة المجاورة مكان يخلو من الألفة، مليء بالشخصيات المجنونة"

-" إننا نصلي!"

سأل غابرييل:

-" رجال من الستينيات؟"

-" من أي زمن كان" قال الأب. " لن يستمروا في الوجود إلى القرن القادم." ثم صرخ " صل أيها الحقير"

بدأ وجه أبيه يتغضن. وعندما سمع صوت الضرب على الحائط مجدداً توقع غابرييل شراً. في البيت كان أبوه يلقي الأطباق والكتب والتسجيلات هنا وهناك ولأنها لم تكن أشياء ثمينة فقد كان يظل عابساً لأيام، أو يتجول في الشوارع غاضباً لساعات. كان قادراً على العثور على من يتشاجر معه بعد أن يسير خمس خطوات في الشارع، ولو كان امرأة لقيل عنها: إنها مزاجية. بينما اعتبر هو مزاجي، وهو ما تماشى مع شخصيته لسوء الحظ بسبب طابعه الفني. وفي كل مرة يقال عنه ذلك كان يرفع ياقة قميصه ويبحث عن مرآة لينظر إلى نفسه فيها. كان غابرييل يحب تقليد هذه الحركة التي كانت تسر أمه وهو يقول "جيمس دين، هامرسميث" وكان هذا يسليها دائماً.

ومع ذلك كان أبوه دائماً في أفضل حالاته عندما يكونان معاً. لقد كان غابرييل الشيء الوحيد الذي يفتخر به بشكل أكيد.

وضع أبوه الغيتار جانباً، خلع حذاءه، وبدأ يضرب الحائط به.

Twitter: @ketab_n

-" اتركنا وشأننا " صرخ بصوت عال وهو يقوم ويقعد " إذا كان لديك ما تقوله تفضل وواجهني في الرواق يا ابن القحبة"

-" اذهب إلى الجحيم" صرخ الجار.

-" وأنت أيضاً، هيا قابلني في الرواق".

حاول غابرييل أن يصرف اهتمام والده إلى شيء آخر فقال له:

-" انظر أبي انظر ماذا فعلت"

وكان ممسكاً بدفتره.

جلس أبوه ورأسه بين يديه. ثم نظر إلى الرسم أخيراً وابتسم.

-" جميل ! أنت تتحسن كثيراً. لنبتعد عن هذا القرف".

-"إلى أين؟"

-" ربما علينا مشاهدة التلفاز إيه؟ بضع ساعات من الغباء يمكن أن تهدئ أعصابنا، أعصابنا مشدودة مثل أوتار بيانو".

-" ليتني أحضرت معي بعض أفلام الفيديو."

ظلا يشاهدان الأفلام معاً لسنوات. وكان فيلم "الخريج" أحد أفلامهما المفضلة، وهما يحبان الموسيقى فيه. أما فيلم "أداء" فقد كان يسمح لغابرييل بمشاهدته فقط عندما لا تكون أمه في البيت، وشاهدا فيلم "العراب" مرات عديدة، وكذلك معظم أفلام وودي آلان، وخاصة فيلم " العبها ثانية، سام"، و" صيف مع مونيكا" و"حياتي ككلب" وأي فيلم للوريل وهاردي، وأفلام تاركوفسكي، كانا قد حفظاها كلها عن ظهر قلب. وكان غابرييل يردد الحوار وهو يخفض صوت الفيلم تماماً كما لو كان يؤدي وظائفه المدرسية. وإذا كانت كل لقطة من الفيلم تروي قصة فقد كان يشاهدها مرة تلو الأخرى إلى أن يحفظها في ذاكرته، ثم يبدأ بتخيل المشهد بشخصيات جديدة يخترعها وهو يردد الحوار.

Twitter: @ketab_n

نظر غابرييل حوله باحثاً عن التلفاز وجهاز الفيديو.

" أين التلفاز؟"

" في الطابق الأرضي الغرف غير مزودة بتلفاز، إنه ترف، والترف لا وجود له هنا"

في غرفة مليئة بالدخان في الطابق الأرضي تابعا برنامجاً حول تنسيق الحدائق مع مجموعة من الرجال الغرباء يحدقون بالتلفاز الذي كان مثبتاً على الجدار بقفل وساعد حديدي.

بعد وقت ليس بالطويل شعر غابرييل بألم في عنقه وهو رافع رأسه ناظراً إلى أعلى.

كاد ينطق بكلمة" هذا ممل" عندما انتبه إلى أن أباه لا ينظر إلى الشاشة وإنما بدا كالآخرين منقطعاً عن كل ما حوله.

دخل الغرفة رجل يرتدي ثوباً أبيض طويلاً وخفاً يرتفع في مقدمته مثل علامة استفهام وقال "هاتف".

" أبي " هز غابرييل أباه الذي كان ينظر شارداً إلى الرجل ذي البرنس.

" هاتف " كرر الرجل.

" من ؟" التفت الأب إلى غابرييل متسائلاً " ولكني أعرف أن لا أحد يتصل بي"

"لعلها أمي " قال غابرييل.

" وما الذي تريده؟ هل تريد تفقدك؟ أنت بخير هنا ألست كذلك؟ ألم أرعك بشكل جيد؟"

"نعم" أجاب غابرييل

Twitter: @ketab_n

قال الرجل:"ليستر"

وقف الأب:" ليستر ؟ هل قلت ليستر؟"

" نعم، أعتقد أنني كررت الاسم عدة مرات"

أمسك الأب بيد غابرييل.

" غابرييل بني إنه ليستر - ليستر جونز يطلبنا على الهاتف الآن !"

لحق غابرييل بأبيه إلى الباب وراقبه وهو يكاد يطير عبر الردهة. "إصابة الحرب" التي ألمت به عندما كان مع ليستر قد شفيت بأعجوبة.

من الباب تفحص غابرييل والده وهو يتحدث بحيوية مع ليستر. لاحظ بأن الرجل الذي نادى أباه إلى الهاتف لم يكن قد ذهب بل وقف يراقب أباه من الجهة الأخرى للردهة.

أنهى أبوه الحديث ووضع السماعة في مكانها.

" غابرييل" ناداه

توجه الرجل ذو الخف المعقوف إلى أبيه، أمسكه من كتفه ودفعه نحو الحائط ولوح بأصبعه مهدداً، وحين حاول الأب التخلص منه لطمه على أذنه. ولم يتركه الرجل إلا عندما دخل شخص آخر.

وقفا للحظة يزمجر كل منهما بوجه الآخر، هم غابرييل بضرب الرجل بقدمه وبلكمه لكن أباه أمره أن يبقى حيث هو.

" لا تذكر أياً مما حصل لأمك" كان وجهه شاحباً، يرتعش، دفع غابرييل بعيداً " إذا أخبرتها فستقلق، عدني بأنك لن تفعل"

" حسناً ولكن ما الذي كان يريده؟"

" انس الموضوع ! اسمع: لقد كنت أعرف أن هذا سيحدث. لقد كان ليستر على الهاتف. ليستر - يتصل بي!"

Twitter: @ketab_n

عندما يكون أبوه حبوراً كان يتحدث عن الزمن الذي جال فيه العالم وهو يعزف الباص مع فرقة ليستر جونز، فرقة "الخنازير الريشية"، منذ أكثر من خمس وعشرين سنة مضت.

كان يفتح علبة أحذية مليئة بالصور الفوتوغرافية وصوراً مقصوصة من المجلات والصحف له ولليستر جونز معاً. في ذلك الوقت كان أحد أكبر نجوم موسيقى البوب شعبية، له ملايين المعجبين في العديد من بلدان العالم وكانت فرق موسيقية عديدة تقلد أغنياته وأسلوبه. ومثله مثل العديد من نجوم البوب كان ليستر عنيفاً في أدائه، إضافة إلى أنه لم يكن لا فتى ولا فتاة، كان يتبدل باستمرار كما كان يردد، ويضيع في التنكر.

في أيامه، قبل مولد غابرييل، كان الناس يقومون بأشياء غريبة أكثر مما يفعلون اليوم. كانت الحياة مسلية، ينام في ممفيس ليستيقظ في سان فرنسيسكو. كان يلبس بذلة فضية مفتوحة من الأمام لتظهر صدراً أشعث تتدلى عليه ميدالية ثقيلة، ويضع على كتفيه حشوة يتدلى فوقها شعره الأشعث الكثيف حتى أن غابرييل كان يتساءل من أين حصل أبوه على هذا الشعر المستعار. وكانت ظلال عينيه غامقة وتبدو تقريباً كقرطي جدته. وكان ينتعل حذاء ذا نعل عال.

أمه التي كانت قد أنهت دراستها للتو في مدرسة الفن، كانت تساعد الفرقة في تجهيز الملابس. وهناك تعرف أبوه وأمه، وأحبها عندما كانت جاثية على ركبتيها تأخذ مقاسه من داخل الفخذ لتصنع له بنطالاً من الساتان الأحمر مع أنه طلب سترة لماعة فقط.

أما المصيبة الأكبر فهي حذاؤه ذو الكعب العالي الذي دعوه" برج

Twitter: @ketab_n

ايفيل" والذي له أضواء على الكعب تنطفئ وتضيء. كان ليستر وفرقة الخنازير الريشية يقيمون حفلاً في مدينة شمال فنلندا. وفي إحدى الأمسيات كان المسرح معتماً وبلغت حماسة ريكس أشدها عندما قامت امرأة من بين الجمهور بتعرية وسطها أمام الإضاءة الخافتة. لم يكن ريكس يتحرك كثيراً عادة عندما يعزف، فقد كان ليستر يقوم بما هو أكثر من كاف نيابة عن الفرقة كلها. لكنه في هذه المرة قفز فلوى كاحله وبينما كان يجاهد ليحافظ على توازنه رأى ليستر يرمقه مبتسماً، وكان يعتقد أن ريكس يرقص. لكن ريكس ما لبث أن وقع بسبب حذائه العالي ووجد نفسه منبطحاً على أرض المنصة كحشرة مصابة. هرع إليه المسؤولون عن الفرقة. ولكن عوضاً عن حمله بسرعة إلى المستشفى، حاولوا إعادته إلى المسرح كي يتابع العزف، وأسندوه وكأنه جزء من الديكور بين مكبرات الصوت.

تبين في ما بعد أن قدم ريكس وكاحله كانا مكسورين. واقترحت الفرقة أن يتابع ريكس العزف معلقاً من السقف كما في مسرح العرائس لكنه اعترض على هذه الإهانة. وبينما تابعت الفرقة جولاتها عاد هو إلى البيت.

في الوقت الذي شفي فيه ريكس كان ليستر قد انتقل إلى نوع من الموسيقى تتطلب أحذية غير عالية وألحاناً أكثر ابتكاراً وتجديداً، وشعراً داكناً.

عندما طلب ريكس من ليستر أن يعيده إلى الفرقة أكد له الأخير بأنه يريد صوتاً مختلفاً وموسيقيين أقل شعراً، ومع أن ريكس وعد بأن يحلق شعره إلا أنه لم يعمل مع ليستر ثانية أبداً.

Twitter: @ketab_n

بدأ والدي رحلاته مع الفرقة عندما كان يافعاً ولم يمض وقت طويل عندما بدأ يعزف أمام الجمهور. أحب الخوف وحالة الترقب التي ترافق الظهور على المسرح، كما أحب ضجيج الجمهور وحبه. أحب المدن والصالات. وبدأ يفهم حاجة الممثلين إلى الظهور على المسرح، وأدرك أنهم لا يكررون أبداً الشيء نفسه كل ليلة. وآمن أن الجمهور كان يفهم حالات الاختلاف، أو الصعوبة، أو التهكم التي كان يعكسها في عزفه، كما كان يفهم متى يؤدي ما هو مطلوب منه.

بعد حفل جيد كانوا يقيمون حفلاً يمارسون فيه كل الحماقات خفية.

" عندها تصبح أنت ما تتعاطاه، وتستمر الشمالة عدة ساعات، ولا يمضي وقت طويل قبل أن تعيد الكرة" هذا ما كان يقوله أبوه. أراد أن يعيش حياة "بحار"، مبتعداً عن تعقيدات الحياة اليومية المرهقة مثل تحضير الطعام أو إنشاء علاقات لن تدوم لأكثر من يوم واحد.

بعد الحادث بسنة بدأ جولاته مع فرقة تشارلي هيرو وهو من أتباع ليستر جونز ويعزف موسيقى بالأسلوب نفسه. لكن الأب كان قد بدأ يكبر، وكان عليه أن يقف جانب المسرح، في الظل، مع أنه من بين جميع أعضاء الفرقة كان الأفضل في العزف، وكان يصاب بالبرد مما يضطره لوضع جوارب سميكة. ولم يكونوا يصورونه في أفلام الفيديو لأنه كان بشعاً، وعملياً أصبح أخيراً خارج الفرقة.

قبل الحادث كان يعرف باسم فريد ذي الوقفة الحرة. وعلى عكس الكثير من الموسيقيين نادراً ما كان يشرب الكحول أو يتعاطى المنشطات. وإذا تعاطاها كانوا يسمونه ريكس المضطرب، ويعتقدون بأنه لن يتمكن من الوقوف ثانية دون مساعدة أو دون مشروب بيده.

Twitter: @ketab_n

بعد مكالمة ليستر الهاتفية، اشترى الأب بعض البيرة ليحتفل. صعدا الدرج مسرعين دخلا الغرفة وتمددا جنباً إلى جنب على السرير.

-"أحب السرير القاسي" قال الأب

-" إنه جيد للظهر"

-"تماماً"

-" أبي أذنك تنزف" ذهب غابرييل وأحضر منشفة مبللة ليمسح أذن أبيه." والآن ابق ساكناً"

-" لقد كان ذلك ليستر جونز حقاً، لقد استلم رسائلي"

-" أنت تكتب له؟"

-" لطالما فعلت، حدث أن أمضيت أنا ومديره ليلة في السجن معاً. أنا أطلع ليستر على ما يجري في العالم الحقيقي... وما إلى هنالك"

-" وكيف تعرف أنت نفسك هذا ؟".

-" لا تكن وقحاً".

-" لم أكن أعرف أنك تكتب له".

-" هناك الكثير الذي لا تعرفه عني. أنا أذهب إلى المقهى مع رجال آخرين، وأكتب أي شيء، لا يطلع الأبناء إلا على جزء يسير من حياة ذويهم."

-" أوه، وهل سأصاب بصدمة ؟ هل سأكتشف أنك مريض نفسي؟"

-" لقد سبق وشهدت شيئاً من هذا يا صديقي. عندما يجن الأهل، فإنهم يدفعون أولادهم إلى أريكة المحلل النفسي. أليس هذا ما حدث مع زاك؟"

-" نعم، عندما خرج العجوز - إلى غداء يوم الأحد- أرسل زاك

Twitter: @ketab_n

إلى مستشار نفسي فصار يسأله أسئلة قذرة وطلب منه أن يعبر عن نفسه."

-" وهل عبر عن نفسه؟"

" جداً لدرجة أن أمه منعته من الذهاب وطلبت من الطبيب النفسي أن يستشير طبيباً نفسياً. لقد اعتقدت أن هذا سيحسن حال زاك لا أن يجعله متمرداً."

ضحك الأب

-" من حسن حظك أننا لا نستطيع تحمل نفقات مثل هذه الأشياء. ثم أنت ولد جميل يا ملاكي، ليستر يعمل على كتابة سيرة ذاتية. المشكلة الوحيدة هي أن رأسه مليء بالفجوات. أما أنا فكل ما خسرته هو شعري، بينما يحتاج هو لمن يذكره بمدى عمق الصداقة التي كانت تجمعنا، وكيف ساعدته على إنجاز تلك التسجيلات. أنا الذي كنت أدفعه لأن يكون جريئاً كنت أقول له:لا تتوقف استمر اذهب أبعد وأبعد كنت أحثه دائماً. كن مجنوناً بقدر ما تستطيع. لقد كان يذكرني دائماً باورسون ويلز".

-" عذراً ويلز الكبير أم الصغير؟ ومتى ستراه؟"

-" تقصد متى سنراه؟"

-" هل ستأخذني معك؟"

-" غداً صباحاً"

-" ولكن يفترض بي أن أكون في المدرسة"

تردد الأب لحظة ثم قال:

-" لقد تلقيت تعليماً أكثر من كاف. ليستر أهم من الجبر. عدني

Twitter: @ketab_n

أنك لن تخبر أمك. لا تخبرها بأي شيء عني سوى أنه هناك أشياء مثيرة في حياة أبيك العجوز."

كانوا قد ذهبوا قبل ثلاث سنوات لرؤية حفل ليستر في ملعب كرة قدم هو وأمه وأبوه. أمضوا النهار وهم يبحثون في الخزائن والأدراج عما يرتدونه، أرادوا لبس ثياب تعود إلى السبعينيات على طريقة ليستر، ثياب براقة، ورغبت الأم بوضع زينتها. طبعاً ليستر كان يصعد إلى المسرح لابساً بذلة غامقة وحذاء بكعب عال. يومها آلم غابرييل أن يرى أباه ينضم إلى الذين يروجون لبيع التذاكر دافعاً جمهوراً هستيرياً، وقدمه تغوص عميقاً في القذارة التي على الأرض، يحيطه أناس يرتدون قمصاناً عليها وجه ليستر، بينما يعلم أنه يمكن أن يكون واقفاً الآن على المسرح يعزف مع الفرقة.

-" أبي، هل تستطيع أن تخبرني من كان ذلك الرجل؟"

-" أي رجل؟"

-" ذاك الذي دفعك إلى الجدار. ما الذي كان يريده؟"

-" لا تسأل. يريد...مالاً فقط. كان طيباً فأقرضني بعض المال منذ بضعة أيام، عندما كنت مرتبطاً مع الشركة،اعتقدت بأني سأكون قادراً على ردها له."

-" وهل ستفعل؟"

-" أعتقد بأننا سنكون بحال جيد الآن"

-"كيف؟"

-" ليستر سيهتم بنا. أنا متأكد من هذا. سأخرج من هنا خلال بضعة أسابيع.وربما خلال بضعة أيام. سنعيش حياة رخية ! أفكر باصطحابك إلى نيويورك لبعض الوقت"

Twitter: @ketab_n

-"نيويورك؟"

-" سنلج أفق البهجة ! فلنأو الآن إلى أسرتنا."

خلع غابرييل وأبوه ثيابهما واستلقيا في سرير ضيق. عندما كان طفلاً كان غابرييل يحب النوم بين والديه، هارباً من سريره البارد. أما الآن فيتمنى لو يندس في سريره الخاص، لأنه مع شخير أبيه، والغازات، واضطراب نومه، وسحبه الغطاء كان يغطي غابرييل مجرد شرشف رقيق.

كان أبوه يتساءل بصوت عال عما إذا كان ليستر سيعطيه عملاً في جولات فرقته أم أنه يريد سماع إحدى أغنياته الجديدة، أم أن يكلفه بكتابة واحدة له. ويتحول أبي إلى رجل حالم عندما يدخن.

ثم قفز إلى تخيل شكل المنزل - بناء كبير حيث هناك بواب - الذي سيشتريه من الأموال التي سيدرها عليه هذا العمل.

-" ما أريده في أحد الأيام هو أن نعيش أنا وأنت معاً مرة أخرى."

-" تعني أنك تفكر بالعودة إلى البيت؟"

-" لماذا؟ هل ذكرت أمك أنها تريدني أن أعود؟"

-" ليس تماماً"

-" حسناً. ما أريده هو أن يكون لي منزلي الخاص وأن أعود من جولة ما عارفاً أنك قد تكون هناك من حين لآخر يا بني، أكاد لا أستطيع انتظار تحقيق ذلك."

حاول غابرييل أن يبعد أباه عن هذه التخيلات فغير الموضوع باتجاه الموسيقى، لكن الأب ما لبث أن حوله إلى حوار ذاتي حول البيتلز، وجيمي هندريكس وفرقة دور وعن الموسيقى الروحية، وآريثا فرانكلين،

Twitter: @ketab_n

ونينا سيمون وفرقة السوبريم، وشرح كيف أن الكلمات والموسيقى يعملان جنباً إلى جنب في سياق العمل السياسي والثقافي.

غفا أخيراً وهو يتمم متسائلاً:" لم تكون الآلات النحاسية في إحدى التسجيلات أفضل منها في تسجيل آخر؟" استطاع غابرييل أن يسترخي أخيراً. فكر في الرسم وبديغا وبفتيات ديغا. لم يستطع أن ينام بسبب الانتصاب، استمنى بسرعة حريصاً على ألا يلوث أباه. ثم انسل من السرير.

سمع أبواباً تصفع في العمق وأحدهم يضحك لفترة طويلة ثم اعتقد بأنه سمع نافذة تكسر وجرذاً يخربش خلف اللوح الخشبي. رأى تحت الصحف مجلة صور عارية كتب عليها: " ما وراء الحزن". مر بذهنه شخصان فقدا أميمهما، لينون وماك كارتني كانا يكتبان الأغنيات طيلة ما بعد الظهر مع غيتارات في حضنهما في غرفة بول الأمامية متوقعين أنهما الأفضل. همس لآرشي ولكنه لم يجب.

كل شيء نائم، كل شيء بأمان. ولكن ليس غابرييل، ليس هذه الليلة، ومعه كل هذه الأشياء ليفكر بها.

فتح النافذة،ودخن بقايا لفافة الماريجوانا التي تركها أبوه ثم ألقى بها إلى الشارع مراقباً الشرار الذي تطاير وتلاشى في العتمة.

جلس على حافة النافذة، قرب كأس الحليب، ورنا إلى الخارج، إلى غرب لندن، ثم أخذ دفتر الرسم والقلم وشرع يرسم أباه وهو نائم، فمه مفتوح، يشخر قليلاً وكأن فقاعات تخرج من فمه لتنطلق في الغرفة الباردة. في نفس الوقت وفي مكان آخر من المدينة ليس بعيداً جداً من هنا كان ليستر جونز يعيش ويتنفس مفكراً بريكس. غداً سيلتقي بهما.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث

استيقظ غابرييل وحده في الغرفة، سحب الستارة القذرة ثم مسح بقعة من زجاج النافذة. كانت الشمس ساطعة والجو منقشعاً.

خمن أن أباه قد نزل مبكراً ليحلق ذقنه ويستحم قبل أن يقف الآخرون منتظرين دورهم لدخول الحمام. انفتح الباب ودخل أبوه يحمل شاياً ساخناً وخبزاً محمصاً بارداً أكله غابرييل بسرعة وهو جالس على السرير.

كان قد نسي تقريباً أصوات التأوه والسعال والدمدمة والشتائم التي أطلقها أبوه على نفسه قبل أن ينهض من السرير.

بدأ غابرييل يحزم أغراضه بينما أبوه يقص سالفيه بمقص كليل أمام مرآة مغبشة. لاحظ بأن يدي أبيه ترتجفان. لقد حل القلق مكان حالة الغبطة التي اعترته ليلة أمس. كان لا يتوقف عن حك أنفه أو أذنه أو مد لسانه كالحرباء.

قال فجأة وهو يحدق في المرآة: "انظر إلى حب الشباب، هنا تحت أنفي، لدي الكثير منها. لقد وصلت إلى سن التقاعد ولا يزال لدي حب شباب أكثر منك."

كان أبوه يوتره.

Twitter: @ketab_n

-" كما لو أننا ذاهبان لزيارة ملك أو أمير." قال الأب.

-" أجل، فيما عدا أن ليستر حصل على مكانته بجهده الخاص لا بجهد الآخرين. حين تفكر بأن شخصاً يمكن أن يعيش حياة مثل حياته."

-" ماذا تعني؟"

-" كإنسان قادر أن يبتاع منزلاً في أي مدينة في العالم. وأن ينظر إلى جبال الجليد أو إلى الصحارى في أي وقت يشاء. وأن يقابل أي إنسان يريد، علماء، موسيقيين، وأطباء نفس كلهم سيهرعون إليه إذا طلب منهم ذلك. ولماذا كل هذا؟"

-"لماذا؟"

وبدأ الأب يشرح بشكل ممل بأن ليستر يمتلك الشيء الذي يتمناه الجميع، القوة التي تكمن في مركز العالم والتي تخلق أشياء ثمينة وهامة. إنه خياله أو موهبته. هذا هو عطاؤه.

لم يستطع أحد أن يدرك حتى هذا اليوم كيف تعمل أو تنشأ مثل هذه الإمكانيات أو القوى. مثلها مثل الحب، لا يمكن قسرها أو حصرها، أو تحويلها إلى شخص آخر، كما يصعب فهمها وتحليلها. ومؤكد أنه إذا استطاع شخص ما أن يتوصل إلى خلقها أو تنميتها فسيكافأ أكثر من أي إنسان آخر في التاريخ.

كيف يمكن للأب وغابرييل ألا يتوترا؟

-" ماذا هناك أبي؟"

كان الأب يتفحص غابرييل

-" أدخل قميصك. ألم يكن بإمكانك إحضار ثياب أفضل؟"

-" لقد جئت إلى هنا لأراك فقط"

Twitter: @ketab_n

مسد الأبَ شعر غابرييل قائلاً:

-" أنت لم تمشط شعرك."

-" أنا لا ألمس شعري أبداً أنت تعرف هذا، فأنا متطير !"

-" مشطه" قال الأب.

مرر غابرييل مشط أبيه في شعره الأشقر ونظر إليه.

قال الأب:

- " لكنه لا يبدو مختلفاً"

-" ضع سيجارة الماريجوانا هذه، ما الذي ستقوله أمي الآن أنت تعرف أنها تحذرني دائماً من مثل هذه الأشياء."

-" معك حق، قال الأب وهو يخبئها خلف حقيبته " من الأفضل أن نذهب الآن"

ذهبا ليأخذا دراجة أبيه حيث كان يربطها بسلسة وركب غابرييل الدراجة وحقيبته خلف ظهره. لطالما ركب على دراجة أبيه، أو تبعه وهو على دراجته.

-" إلى الأمام حتى الصباح" قال غابرييل كما لو أنه كان سعيداً أن يركبا معاً.

-" استعد ستفقد شاربك" قال الأب.

لقد صار غابرييل ثقيلاً، وكان على الأب أن يقف على الدواستين ليتمكن من الاقلاع.فكر غابرييل أنه كان من الممكن أن ينطلقا بسرعة أكبر فيما لو بدلا مكانيهما. ولكن الوقت لم يكن مناسباً لإحباط أبيه.

سارا بين الزحام إلى أن وصلا إلى منطقة من المدينة أكثر أناقة، حيث السيارات أسرع وخطوط الأبنية أكثر انحناء، والناس يرتدون ثياباً أنيقة وقصات شعرهم أكثر حداثة وثيابهم أغلى.

Twitter: @ketab_n

ركن الأب الدراجة أمام عامود كهرباء في نهاية الشارع. ثم تابعا سيراً على الأقدام، أو ترجلا على حد تعبيره، لم يرغب أن يراه أحد قادماً إلى ليستر على دراجة عتيقة، ولكن غابرييل تساءل من الذي يمكن أن يراهما؟ لا أظن أن أبي يتخيل بأن ليستر سيكون واقفاً في الشارع خارج فندقه ينتظرهما.

-" هذا هو المكان" ارتسمت على وجه الأب علامات التساؤل. "انظر هناك لقد قلت لك."

نظر غابرييل إلى الجهة التي ينظر إليها أبوه في نهاية الشارع. كان هناك حشد على الرصيف أمام ما كان يفترض أنه الفندق الذي يقيم فيه ليستر.

-" تعال" قال الأب " لنبدأ".

لاحظ غابرييل وهما يقتربان بأن الحشد مكون من رجال ونساء من مختلف الأعمار يرتدون الزي الذي تباهى به ليستر منذ حوالي أكثر من عشرين عاما كما لو أن الله يطارد ليستر مدى الحياة بمن يقلده تقليداً ساخراً لكي يكبح كبرياءه.

أقل غرابة ولكن أكثر تهديداً كان عدد المصورين مع عدتهم المحمولة، بعضهم كان يقف على صناديق لكي يحصل على الموقع الأفضل لتصوير ما يبدو أنه حائط من الآجر.

على الرغم من أن الأب كان متفاجئاً بكل هذا كما كان غابرييل إلا أنه كان مسروراً به.

-" هكذا كانت الأمور في الماضي " كانا يقتربان." حيثما ذهبنا كان هناك حشد من الناس يلوحون ويصرخون ويحاولون لمسنا."

Twitter: @ketab_n

-" حتى أنت؟"

-" حتى أنا مع الأسف أيها الأحمق. لقد كنت فتى ناجحاً أنا أيضاً. في سن الخامسة والعشرين كان لدي كل ما يمكن لفتى أن يحتاج، والكثير مما لا يتمكن الفتيان من الحصول عليه."

تردد غابرييل وأبوه قليلاً وهما يقفان بعيداً عن الحشد. التفت المصورون وبدأوا يصورون والد غابرييل ارتفعت كاميرات النيكون والكانون وبدأت العدسات تظهر.

-" عفوا" قال الأب

لم يتحرك أحد. كان هناك شيئ غريب.

-" هل هو شخص مهم؟" سأل صوت

-" هل هو؟ هل هو؟ " قال الآخرون

-" لا، لا أحد" قال الجواب الحاسم أخيراً

-" لا أحد؟" كرر أحدهم

-" لا، لا أحد"

وندت عن الجمع تنهيدة إحباط.

-" نحن مهمون" قال الأب وهو يضع يده على يد غابرييل ثم همس لغابرييل:" إذا سألك أحدهم أي شيء أجب فقط: " لا تعليق، اتفقنا؟"

-" لا تعليق " كرر غابرييل.

-" نعم. وعندما نراه... ليستر"

-" نعم؟"

-" لا تتفوه بالكثير"

-" هل أصمت ؟"

Twitter: @ketab_n

-" حسناً، قل القليل". كانت بشرة أبيه يعلوها العرق مثلها مثل جدران غرفته. " يا إلهي" صاح. " لقد مضى وقت طويل، طويل جداً"

-" هل هذا هو الفندق؟"

رأى غابرييل جداراً طويلاً داكناً له باب أخضر. وكانت مطرقة الباب على شكل رأس قرد.

-" طبعاً هذا هو."

عبرا الحشد. لاحظ غابرييل بأن المعجبين لهم وجوه تشبه وجه ليستر مع بعض التعديل، كما لو كان ليستر قد أورثهم وجوهه القديمة بعد أن انتهى من استخدامها.

-" بدون تعليق" كرر الأب

-" بدون تعليق" ردد غابرييل

لم يسألهما أحد أي سؤال

فتح الباب، ظهر رجل يلبس ثياباً رمادية.

-" هارولد ستيبتو؟" قال الأب.

-" هارولد ينتظر" قال الرجل

همس الأب لغابرييل:

-" هذا هو الاسم السري الذي يستخدمه ليستر في الفنادق عادة."

أدخلهما الرجل ثم أغلق الباب.

إلى جانب أبيه وجد غابرييل نفسه يقف في مكان شبه فارغ.

يسود سكون عميق في الفندق. كان المكان يتسم بذوق رفيع بحيث بدا أنه ليس هناك أي شيء يمكن أن يشوه البساطة الرفيعة التي تكسوه، كل شيء في مكانه، باستثناء إناء أبيض فيه زهرة بيضاء موضوعة على رف غير ظاهر للعيان.

Twitter: @ketab_n

عن بعد ظهر أشخاص صغيرو القامة يرتدون بيجامات بلون الفحم وينتعلون أحذية خفيفة ثم بدؤوا ينحنون بهدوء مثل المندرين (موظف كبير في الصين القديمة) كما لو كانوا قد استفاقوا من تنويم مغناطيسي.

أحدهم كان فتاة صغيرة بدأت تتجه نحوهما.

" ليستر ينتظركما" قالت.

كانت شاحبة وصلت إليهما ونفسها يكاد ينقطع، وعندما اقتربت بدت أكبر سناً.

-" من هنا".

بينما كانا يتبعانها فكر غابرييل أنه من السهل أن يضيع المرء في مثل هذه المتاهة إلى أن لاحظ بأن الفتاة تتبع خطاً من الحصى الرمادية مصفوفة على الأرض. حين اقتربت من حائط أبيض انعطفت يساراً فجأة وعبرت تحت قوس وسارت في ممر حيث يلتقيان بين حين وآخر بحراس شخصيين يرتدون الأسود ، يحمون ليستر من المجانين الذين يريدونه أن يكون إلهاً.

طرقت الفتاة باباً ثم ذهبت.

فتح ليستر الباب بنفسه، مرتدياً كيمونو حريرياً أخضر.

تعانقا هو وريكس

-" كيف حال كاحلك؟"

أدخلهما إلى الغرفة ثم التفت نحو غابرييل وسأله:

-" هل أخبرك ريكس كيف حدث الأمر؟"

-" عدة مرات".

بدأ الأب يقفز على ساق واحدة.

Twitter: @ketab_n

-" كل شيء في مكانه الصحيح! لقد أصبحت قوياً كزرافة ومستعداً للتجوال ثانية!"

أمسك غابرييل بيد أبيه ليهدئه.

-" حسناً " قال ليستر " أما أنا فغير مستعد"

كان وجهه حاداً ولامعاً كنصل. وإحدى عينيه بنية والأخرى زرقاء، يحيط به هالة صفراء.

رأى غابرييل في غرفة أخرى أمرأة شابة متعرية الساقين تجلس إلى مرآة ويقوم رجلان بتسريح شعرها يلفان على خصرهما رداء ماليزياً برتقالي اللون ويمسكان دبابيس الشعر بفميهما.

أشار ليستر إلى طاولة في الزاوية.

-" دعني أستفد من مخك الهرم أيها المعلم، أحاول استعادة بعض الذكريات والنزوات التي عشتها، عليك أن تتذكر ذكرياتي الآن..."

تحدثا عن الزمن الماضي وكان ليستر يسجل ملاحظاته. أخذ غابرييل دفتر رسوماته وتابع العمل على رسم والده الذي كان قد بدأه الليل الفائت.

وكان يسترق النظر إلى ليستر بشكل سري وسريع.

كيف يمكنه أن يكتب أغنيات يعرفها الناس في كل أنحاء العالم؟ لماذا يستمر الناس في شراء تسجيلاته؟ لماذا عندما يعزف في الحفلات ينتظر الناس في صفوف طويلة طوال الليل لكي يروه؟ كيف يكتسب الناس مثل هذه القوة؟ هل كانت قوته في شعره الذي كان حتماً رائعاً ومصبوغاً بلون قرمزي ؟ أم يكمن السحر في أصابعه الطويلة البيضاء وأظافره المدورة النظيفة ؟

Twitter: @ketab_n

في الوقت نفسه كان ليستر ينصت إلى ذكريات أبيه، منحنياً إلى الأمام بداية ثم تراجع أكثر وأكثر إلى الوراء. كان أبوه قد بدأ يحكي قصة حدثت في إحدى الليالي في شمال المدينة، عندما تقيأ شخص في حقيبتهم. ليستر الذي بدا أنه أثير من الداخل كان يبحث عن وحي ما.

-" هاي هاي " قال فجأة." اسمع ريكس أنت تعرف، لقد أنهيت للتو تسجيلاً جديداً وأعتقد أنه الأفضل منذ سنوات."

-" أعرف كل أعمالك، وأتلهف لسماع هذا." قال الأب.

-" هل تريد سماعه الآن؟"

نظر الأب مرتبكاً وقال:

-" ليس قبل أن تكون مستعداً على أي حال."

-" لقد حجزنا للتو أنا وعازف الغيتار في هذا النزل ووصلتنا أمانة كبيرة من عشبة سماوية." ثم تابع: " لم يسبق أن كنت جاهزاً أكثر مني الآن. لدي تسجيل هنا!" ثم وضع الشريط في آلة صغيرة على الطاولة.

-" لا يوجد قائمة بأسماء الأغنيات" ثم أخذ ورقة وقال: " أعرف ماذا سأفعل، سأكتب عناوين الأغنيات وأنت ستكتب أفكارك تحتها."

-" فكرة ممتازة"

بدأ أبي يشعر بالانزعاج ولكن ما الذي يستطيع أن يفعله؟

ترك ليستر الأب جالساً إلى جانب الشريط واضعاً طرف القلم في فمه، ثم اتجه نحو غابرييل. ولكن طريقه لم يكن مستقيماً لأن أوراقاً من مختلف القياسات والألوان كانت ملقاة على الأرض مملوءة بالخربشات، والرسومات، والأشعار.

تذكر غابرييل ما قاله أبوه مرة عن أن ليستر كان رساماً قبل أن يتحول إلى مغن وقد تابع الرسم وكان يعرض أعماله.

Twitter: @ketab_n

-" الطاولات لا تتسع لي، أفضل استخدام الأرض حيث يمكنني الوصول إلى كل شيء ". شعر غابرييل بعيني ليستر مختلفتي اللون تنظران إليه وسأله:

-" ما الذي كنت ستقوله؟"

احمر وجه غابرييل.

-" كنت أفكر بأن هذا يذكرني بغرفة طفل."

توقع أن ينزعج ليستر. عبر الغرفة رأى غابرييل وجه أبيه وقد امتقع من الإحراج والخوف.

ضحك ليستر وقال:" نعم، لقد تربيت لكي أكون مرتباً، ولكني استطعت أن أعلم نفسي كيف أكون فوضوياً وغير منظم، وضاجاً وصاخباً. وتطلب ذلك بعض التعلم ! الأطفال الصالحون لا ينجزون شيئاً! هذا ما أفعله في الحياة - أملأ بعض الأوراق. انظر، انظر" قال وهو يركع على ركبتيه ويشير إلى إحدى الورقات.

-" وجدت هذه الأقلام الجديدة. هذا ما كنت أفعله ليلة البارحة."

-" ولكن هذا بالضبط ما أفعله أنا."

-" ما الذي تعنيه؟"

وقف غابرييل وأحضر دفتر رسوماته " انظر"

نظر ليستر إلى الصور.

-" ماذا لديك هنا أيضاً؟"

قدم غابرييل الدفتر إليه. تصفحه ليستر صفحة صفحة.

شرح غابرييل قائلاً: " أكتب على الصور، كما كنت تفعل. وبعضها كانت صوراً فوتوغرافية. "

Twitter: @ketab_n

تفحص ليستر إحدى الصفحات.

-" رسمت هذا النرجس من أجل أبي ثم وضعته قرب الفوتوغراف. ثم كتبت قصيدة النرجس بينها ألوان مختلفة لكي يعرف أبي ما الذي قصدته، هكذا تركب الأمر كله معاً في ذهني".

-" وهل وضعت كل شيء في الصورة ؟"

" نعم"

تابع ليستر:" أنا أكتب أغنيات ولكني لا أعرف كيف. عندما يخطر شيء ببالي أكتبه وأضعه في أغنية. ثم يأتي الخيال لإتمام ما ينقص؟"

-" هذا يحصل لي كثيراً." قال غابرييل ثم تابع:" أحياناً أعتقد بأني سأجن من كل هذه الأشياء".

-" أوه كلنا مجانين. ولكن بعض الأشخاص يستطيعون القيام بأشياء مهمة بجنونهم". كان ليستر ينظر إلى غابرييل.

- " أنت موهوب" قال له." أنا أقول لك هذا الآن وسوف تدركه فيما بعد. اسمع صوتي واحمل معك هذه الكلمات أينما حللت."

-" لا أعرف، أنا أجلس كل يوم وأبدأ..."

-" هكذا يتم الأمر. قد تكون الموهبة عطاء ولكنها تحتاج إلى رعاية. المخيلة مثل النار أو الأتون، لا بد من تغذيتها ورعايتها. لا بد من شيء يبقيها مشتعلة. يبقيها مستمرة."

قال غابرييل ووجهه يحمر:" كل ما فعلته هو أنني كنت أنسخ صور فنانين آخرين. لا أعرف لماذا... إنها تلهمني على ما أعتقد. هل هذا خطأ؟"

Twitter: @ketab_n

-" إن ما تفعله بالأشياء المسروقة مهم. إذا أخذت شيئاً واستخدمته، فالأمر يستحق المحاولة. أما إذا نسخت وحسب بقصد التكرار فلن تكون قد فعلت شيئاً".

أثار الحديث غابرييل فسأل:" كيف تبدأ؟"

-" هكذا."

أخذ ليستر قلماً ورسم خطاً على الورق ثم تبعه بخط آخر. كتب كلمة، ثم تبعتها كلمات أخرى.

-" أنت لا تستطيع أن تحدد حلمك أو دوافع إثارتك. ولكنك تستطيع أن تأوي إلى السرير مثلاً.

أية أمور مجنونة ترد إلى ذهني أكتبها. خنازير برية، غيتارات، وجوه... في الأحلام يجري الربط الأكثر جنوناً! إذا كنت أعرف وجهتي فكيف أتوه عن الطريق؟ وإذا فعلت فسأتلاشى وعندها لن يكون هناك أنا. لأنني لن أعرف من أكون. بالمقابل أنا أرسم وأغني كي أضيع. وإذا لم أتلاش فكيف يمكنني أن أفعل أي شيء ؟ وهكذا أعيش مرتين. أعيش في العالم، ثم في الذاكرة والخيال. إذا استمعت لأعظم موسيقى مثل" حقول التوت البري" أو موسيقى لموزارت أو قرأت أعظم الكتب، مثل هاملت، سترى مدى غرابة أو مدى تفوق هذه الأعمال على الطبيعة ومدى شبهها بالأحلام."

تابع ليستر كتابته، وتلوينه ورسمه كانت يده البيضاء تختفي بين الأوراق الناصعة.

-" أنت تعمل بسرعة."

-" بالسرعة التي أقدر عليها هذه الأيام لأحافظ على نفسي أمام اجتياح السأم."

Twitter: @ketab_n

بدأ ليستر يحدث نفسه ووجهه قريب من غابرييل كيف كان وهو شاب يواجه صعوبة في أن يبقي إيمانه بنفسه حياً حين لم يكن هناك من يؤكده له،هذا قبل أن يصبح معروفاً وناجحاً، إنه الوقت الأصعب لأي فنان.

بعد برهة انتبه غابرييل إلى أن أباه يراقبهما عبر الغرفة. كان غابرييل مستغرقاً جداً بحيث لم يدرك كم من الوقت قد مر.

نهض أبوه وكأنه قد صحا من حلم.

" ما رأيك ريكس ؟" سأل ليستر.

-" بماذا ؟"

-" بالألحان الجديدة؟ لقد عملت عليها وقتاً طويلاً. أردتها أن تكون جيدة بحق. هناك تقدم، أليس كذلك؟ كما في السابق، ولكنها مختلفة تماماً، ألا ترى معي ذلك؟ لقد سئمت من الناس الذين يقولون إنها لا تصل لمستوى ما فعلته عندما كنت في الخامسة والعشرين. قل لي ما رأيك."

تفاجأ غابرييل لكون ليستر قلقاً كما لو كان هذا تسجيله الأول.

بدأ الأب يتمايل: " إنها جيدة كأي شيء آخر كتبته. إن لم تكن أفضل. هكذا تبدو لي! نعم."

-"شكراً"

أخذ ليستر الورق، نظر إليه،ووضعها جانباً ثم سأله:

- " ألم تسجل أية ملاحظة؟"

-" لا، لا. لقد كنت مستغرقاً."

-" بأي مقطع بشكل خاص؟"

Twitter: @ketab_n

-"جميعها...كلها أذهلتني".

-" المقطع الثالث - حيث آلة الترومبيت، ثم المقطع حيث البيانو، هذا هو المفضل لدي " قال ليستر." وأنت؟" سأل وهو ينظر إلى ريكس.

تردد الأب.

-" أحببتها كلها. الثانية والثالثة والرابعة بشكل خاص. ولكن أعتقد أن الخامسة هي أفضلها. أنا نفسي لا زلت أكتب، ألا تريد سماع واحدة من أغنياتي الجديدة ؟"

-" فقط إذا كان هناك حضور ووقت كافيين."

-" طبعاً، على كل، أنا لم أحضر غيتاري معي، سأرسل لك شريطاً إلى المكان المعتاد". ومد يده مصافحاً ليستر: " من الأفضل ألا نأخذ المزيد من وقتك. شكراً على كل شيء."

-" لا بأس يا صديقي. لقد سررت بوجودكم. انتظر لدي شيء أعطيك إياه."

-" حقا؟"

ابتسم أبي ابتسامة عريضة ثم قال:

" ما كان ينبغي أن تفعل. أعرف أن الأمور ستتحسن بعد فترة. أنا نفسي أعمل على دراجة - عفواً قصدت مجموعة- أغنيات موضوعها الحياة والموت وعودة الحياة. إنها تربيتك، ولكني متأكد أنه حتى لو كان المرء ناجحاً مثلك يمكنه أن يتذكر ماذا يعني أن يمر الإنسان بفترات عصيبة..."

قاطعه ليستر:

-" إنها لإبنك."

Twitter: @ketab_n

-" للفتى؟ حسناً، حسناً أي نوع من الأشياء هي؟"

أخذ ليستر ورقة كبيرة عن الأرض:" هذه"

-"أوه."

-" كان علي أن أضع لها عنواناً. ما رأيك غابرييل؟"

-" لا أعرف."

كتب ليستر:" طقس غريب" على الصورة وقعها وكتب عليها إهداء ثم لفها وربطها بمطاط ودفعها تحت يد غابرييل.

-" ضعها على الجدار أو في أي مكان تريد. قد تنظر إليها الآن أو فيما بعد وستتذكر هذا اليوم. بعض الأشياء التي قلتها لك قد تنفعك. وإذا لم يحدث، فلا يهم."

قال غابرييل:" سأتذكر ما قلته."

وضع ليستر يده على كتف الأب.

-" ريكس إنه جيد، ابنك هذا، هل تمضي معه وقتاً كثيراً؟"

-" لقد فقدت ابناً منذ فترة بعيدة ولا يمكنني أن أتحمل فقدان الآخر. ولذا تمضي الكثير من الوقت معاً. أنا أشرف على تعليمه السياسة وعلم الفلك وأشياء أخرى مماثلة. إنه يتبعني دائماً."

-" حتى وقت قريب." علق غابرييل.

-" ماذا تعني ؟" سأل ليستر.

تحركت عينا الأب في محجريهما وشرح:

-" كان علي أن أترك البيت... لبعض الوقت."

-" يا إلهي، يؤسفني أن أسمع هذا. أذكر كريستين جيداً. ألم يكن هذا اسمها؟ حتى أنني قبلتها مرة."

Twitter: @ketab_n

-" هل فعلت؟"

-" قبل أن تتعرف عليها طبعاً."

-" حسناً."

-" لن تخذله، أليس كذلك؟" سأل ليستر.

وعندما رأى أن أبي قد أخذ على حين غرة، أضاف: " عندي ابنة، ولكني نادراً ما أراها وهي تكبر. لقد كنت دائماً بعيداً جداً، أعمل."

-" لا يمكن أن يحدث هذا معي." قال أبي.

بدا ليستر غارقاً في أفكاره ثم قال:" أحياناً أفكر بأني أصبحت فناناً لأنها الطريقة الوحيدة التي مكنتني من تجنب والديّ. كانا يتشاجران وكان علي أن أنسحب إلى الغرفة الخلفية وأقرأ قصصاً فكاهية وأرسم وأسمع الموسيقى. ريتشارد الصغير " She`s got it " بدأ ليستر يغني " أيتها الفتاة العذبة التي تسكن في نهاية الشارع / أنا مجنون ولكني أقول بأنها عذبة... لديها السحر."

شعر غابرييل بحرارة في داخله. ليستر جونز يغني لهما!

تابع ليستر:" لسبب ما لم أتوقف عن ترديد هذه الأغنية ! وعن الرسم! وعن ارتداء السترات الإيطالية مع بنطال الجينز الأبيض. هذا إذا لم نذكر حذاء التشيلسي وظلال العين التي تناسب لون الجوارب التي أضعها."

بدأ ليستر يضحك. وضحك معه غابرييل وأبوه، كزوج من رجال الحاشية الأذلاء، مع أنهما لم يكونا متأكدين ما المسلي في كل هذا. كان غابرييل يعرف أن أباه يغبط ليستر على انغماسه بذاته، وعلى أنه قادر على الحديث عن نفسه، بثقة بحيث ينصت الآخرون إليه. كموسيقي

Twitter: @ketab_n

كان لأبيه في أحد الأيام شأن، ولكنه فيما بعد في منزله الخاص، على الأقل، صار عليه أن يعنى بالآخرين ولكن حتى هذا افتقده الآن.

بدأ ليستر يطرق أصابعه على الطاولة " هيا، هيا انطلقا."

فتح الباب ودخلت الفتاة التي ترتدي الرداء الأسود.

لوح ليستر بيده واستدار مبتعداً.

أسرع الأب وغابرييل عبر أروقة الفندق.

عندما وصلا إلى الردهة، أخرج غابرييل تفاحة من جيبه كان قد أخذها من صحن الفاكهة في غرفة ليستر. وضعها على الأرض وسط حلقة من الحصى. بقعة اللون هذه قد تبهج الناس. مر هو ووالده بين حشد المصورين والمعجبين وطئا الأرض بقدميهما وانطلقا في البرد. استدار غابرييل ليرى عدة وجوه بلا لون تركض باتجاه التفاحة الفوضوية.

تساءل غابرييل ما إذا كان والده قد تسلى مثله بهذه الزيارة. كان من عادته أن يتمتع بأي شيء خارج الأطر. في إحدى المرات لبس أبوه ثياب سانتا كلوز وأخذ غابرييل ورفاقه في المدرسة إلى متجر كبير في الناحية الغربية من المدينة وبدأ يوزع الألعاب على الأطفال. ولم يمض وقت طويل قبل أن يطرده رجال أمن المتجر هو وأباه وبقية الأولاد الذين لحقوا بهم غاضبين لرؤية سانتا كلوز الطيب محتجزاً. وفي الخارج ضحكوا ملء أشداقهم.

اليوم لم يكن هناك فرصة للتسلية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع

عندما بدأا يتدافعان وسط الحشد الضاج - وكان هذا أمراً أسهل على غابرييل مما على الأب لكونه أصغر حجماً- نظر إلى الوراء يبحث عن أبيه فرأى أحداهن تعيقه عن التقدم.

إنها إحدى معجبات ليستر، امرأة عجوز أمسكت بساعد الأب وجذبته نحوها.

-" من فضلك" قالت " دقيقة واحدة من فضلك يا سيد."

" لا تعليق " ردد الأب بشكل ببغائي محاولاً الانسلال من الحشد.

كان على غابرييل أن يقفز عدة مرات ليتمكن من رؤيته ممسكاً لوحة ليستر بإحكام.

-" أبي أبي - هيا."

تقدم إليه وكاد يمسك يده ليحرره منها، لكن المرأة التي كانت تبحث بانفعال عن شيء في ذهنها قالت فجأة " ولكن ريكس - ريكس"

-" من أنت ؟" صرخ الأب وهو يحدق في وجهها العجوز كما لو أنه يحاول أن يعثر خلف ملامحها على شخص آخر أصغر سناً: " لم أعرفك."

-" لقد كنت هناك، أنا التي رأت... رأت."

Twitter: @ketab_n

-" أين كنت؟ وما الذي رأيته؟"

-" في فنلندا، حين وقعت على المسرح. لقد كنت أتبع الفرقة إلى كل مكان وكنت أنت عازف الباص."

-" نعم لقد كنت ذلك الرجل."

-" وكنت متميزاً بعزفك ألحان الباص."

-" هل لاحظت ذلك؟"

-" كنت أراقبك عندما لويت كاحلك. وسمعتك تصرخ. ثم هويت على الأرض." يا إلهي لقد أصيب " فكرت وأردت أن أهرع إليك وأقبلك قبلة الحياة و...."

كان صوتها يتصاعد بين ضجيج الحشد " إنه عازف الباص في فرقة ليستر،

إنه أحد أعضاء فرقة الخنازير الريشية"

-" إنه ريكس، إنه حي."

-" لقد عاد من أيسلندا."

-" لقد جاء لمقابلة ليستر لقد لمسه!"

-" ريكس، ريكس."

-" انظر إلي يا سيد ريكس" الخنزير" صرخ أحد المصورين " ابتسم لألتقط صورة لمعجبيك!"

-" ابتسم، ابتسم، ابتسم."

التفت الناس إلى والد غابرييل يتدافعون نحوه ليتمكنوا من رؤيته بشكل أفضل. وبعضهم صار يصعد فوق أكتاف الآخرين. وكان غابرييل يتأمل أباه دون أن يعرف هل هو مسرور أم منزعج من هذا الاهتمام.

Twitter: @ketab_n

تابعت المرأة:

-" لقد كنت الخنزير الأكثر جاذبية. كانت عيوني دائماً عليك- بعد ليستر " أضافت.

فرد الأب:

-" وهل تتذكرين ردائي المخروطي المغطى بالريش وحذائي الفضي ذا القلوب؟"

-" نعم، نعم أذكر، يا لذلك الحذاء الفضي."

-" والساتان الأحمر..."

أدرك غابرييل بأن المعجبين لا ينافقون وبأنهم كانوا يريدون لمسه كما لو أنه سيشفيهم أو ينقذهم من بلاء ما. وبدا له لوهلة كما لو أن ثيابه مصنوعة من أياد.

-" أرجوك أعطني توقيعك" فوقع أبوه مباشرة على دفتر التواقيع ثم انحنى وقبلها. عندها بدأ المعجبون الآخرون يلوحون بدفاتر التواقيع وهجموا عليه بطريقة مخيفة. وللحظة اختفى الأب تحت الحشد.

-" اركض" صرخ غابرييل عندما ظهرت صلعة أبيه " اركض أبي اركض"

عندما تأكد أن أباه ينط ويعدو خلفه، أسرع غابرييل في الركض، مخترقاً الحشد نحو حرية الشارع العادي بمخازنه ومكاتب العمل. ولم يتوقف أي منهما إلى أن وصلا إلى نهاية الشارع.

كان الأب شاحباً يرتجف، وضع يده على صدره ووجد صعوبة في الكلام:

- " اعتقدت أنهم سيلتهمونني ثم يبصقوني."

Twitter: @ketab_n

-" كما في الأيام الماضية؟"

-" الكثير من هذا، ولو أنه أقل مردوداً الآن."

-" أمر مسل مع ذلك. انتظر حتى يسمع الناس بما جرى."

-" لا تخبر أمك"

-" ولم لا؟"

-" أعتقد أنها فكرة غير جيدة. أتعدني ؟"

حرر أبوه الدراجة من السلسلة بينما كان غابرييل ينظر إلى الفندق.

ظهرت سيارة ذات نوافذ معتمة من خلف الجدار الآجري واتجهت نحوهما وأزيز إطاراتها يوحي بأنها تكاد تلمس الأرض. أوقف معجبو ليستر والمصورون السيارة وبدؤوا يتدافعون خلفها ووقع بعضهم بعد أن تعثروا، أقلامهم ودفاترهم تتطاير من أيديهم. على الأقل لم يعد لديهم أي اهتمام بأبيه.

مرت السيارة ولوح أبوه.

- " ها هو ليستر ذاهب إلى المطار."

-" إلى أين سيتوجه؟"

-" إنه يمتلك جزيرة حيث تحميه أسلاك شائكة وقوارب مسلحة. هو ليس أحمق. لقد عرف دائماً أن الشهرة هي مجرد فقاعات، كما أدرك دائماً أنها ليست صنبوراً تفتحه وتغلقه حسب رغبتك. ولكنها كانت ثمناً كان عليه أن يدفعه لما كان يرغب بفعله. ليستر لا يستطيع أن يتجول في الشوارع مثلنا." نظر الأب إلى الشارع من أوله إلى آخره ثم تابع: " لم يفته الكثير."

لم تكن الشهرة هي ما حذر ليستر غابرييل منها عندما جلسا على

Twitter: @ketab_n

الأرض معاً. بل الحسد، والذي دعاه ليستر أحد أشرس القوى عند البشر: الغيرة وكراهية الآخرين. على أي حال إذا حاولت الاختفاء أو العيش متنكراً فإنك ستحرم نفسك من مواهبك، قال ليستر، كما أنه من المهم أن تجد الناس الذين يدعمونك ويساندونك ويلهمونك والذين لا يسخرون من آمال الآخرين وأحلامهم، وأن تعيش بينهم.

أسرعت السيارة من بعيد وفكر غابرييل بالوجه الشاحب المنعزل الذي دمدم من خلال الرسم بنوع من الرضا: " إنك تمتلك الموهبة"

قال أبوه فجأة:" أين الصورة؟"

-" هنا إنها بأمان."

-" جيد جيد، سأتمسك بها على ما أعتقد. لقد كان الاجتماع بليستر مهماً جداً. لنذهب إلى المقهى ونتحدث هناك."

ذكر غابرييل أباه:" من المفترض أن أكون في المدرسة."

-" لقد نسيت الأمر. هل لا زلت ترغب بمزيد من التعلم."

-" لقد أخذت كفايتي اليوم."

أخذ أبوه الرسم ووضعه تحت معطفه. ثم توجها إلى مقهى قريب مسح الأب الطاولة بطرف كمه، نزع ربطة الرسم المطاطية وبسط الرسم. ولكي يبقى منبسطاً وضع غابرييل علبة الخردل عليه من طرف وعلبة الكتشاب من الطرف الآخر.

" لا بأس بها، لا بأس." قال الأب بعد أن وضع نظارته ونطق بصوت تاجر أثريات في برنامج تلفزيوني يقدر ثمن تحفة قديمة. ثم تابع " لم يتح لي أن أنظر إليها كما ينبغي. " إنها عمل هام ظننت إنها مجرد اسكتش في البداية:"

Twitter: @ketab_n

" لا، إنه ليس كذلك " قال غابرييل وهو ينحني فوقه.

مثله مثل أبيه رأى غابرييل بأن الرسم كان كاملاً متماسكاً لا خربشات أو تجارب من هنا وهناك. لا بد أن ليستر عمل طويلاً وهو يرسمها.

-" إنها مهداة لك وعليها توقيعه، لقد كان ليستر ودوداً جداً كما توقعت، لقد كان دائماً هكذا معي."

-" هل استمتعت بألبومه الجديد؟"

" نعم، نعم لقد استمتعت." قالها الأب بقليل من الاستخفاف " لا يمكن أن يكون قد استمع إليه الكثيرون لقد كنا محظوظين بهذا الالتماس المشرف"

اتجهت النادلة نحوهما وأخذت تنظر إلى الرسم.

" هل رسمتها أنت؟" سألت غابرييل ثم أردفت:" إنها جميلة."

-" نعم إنها كذلك."

-" أتمنى لو أنني أستطيع أن أرسم هكذا."

متأملاً أباه تساءل غابرييل ما الذي ليس على ما يرام، لقد بدا وكأنه يكشر ويدمدم

" نحن أخوان" قال الأب وهو يشير إلى غابرييل." وهو الأكبر."

عضت شفتها ثم سألت:" ماذا يمكنني أن أحضر لكما ؟"

-" ماذا تعتقدين بأنني أريد؟"

-"لقد عجزت، هيا أخبرني"

-" ما بالك ألا ترين نحن فنانان "

-" طز على الفنانين."

Twitter: @ketab_n

-" هذا طريف، قوليها مرة ثانية، هيا قوليها."

لم يتوقف الأب عن النظر إليها. طلب غابرييل شوكولا ساخنة وحلوى لكل منهما.

راقبها الأب وهي تبتعد ثم قال:

- " ما علينا أن نفعله هو هذا، علينا أن نثمن الرسم."

-" ماذا تعني؟ ماذا نثمن."

-" أعتقد أننا أمام صفقة، يمكننا أن نحصل منها على سعر جيد."

-" سعر جيد لهذا الرسم؟"

هز الأب رأسه بالإيجاب

-" ألم يعطك ليستر مالاً؟"

-" هل تريدني أن أهين نفسي وأطلب مالاً؟ أنا موسيقي ولست متسولاً.ولكننا نستطيع أن نفعل شيئاً بهذا." ثم فرك جبهته بيده " لكي أكون صادقاً معك غابرييل إن هذا الانفصال عن أمك أوقعني في بعض المشاكل المالية."

تذكر غابرييل الرجل الذي دفع أباه إلى الحائط وهدده فأصيب أبوه في رأسه وأذنه. قد يفعل الشيء نفسه اليوم.

قال أبوه:" منذ سنوات مضت كنت أعمل في فرقة مع رجل عنده الآن مطاعم مليئة بتذكارات الروك - اسطوانات ذهبية، توقيعات، غيتارات وأشياء كثيرة أخرى من هذا القبيل. قد يهتم الشباب ببنطال نجم روك قديم. هذا الرسم حديث وأصلي. أعتقد بأنه سيدفع مبلغاً كبيراً ثمناً له. سنذهب إليه الآن لنرى ما سيقول."

وبدأ الأب يلف الرسم.

Twitter: @ketab_n

سأل غابرييل:" الآن؟"

-" أعتقد بأنه سيكون هناك، ونحن لا زلنا هنا- هكذا هي الحياة- هناك بعض الفرص لا يمكنك أن تفوتها."

"اسمع" قال غابرييل وهو يتكئ بيديه على الطاولة."اسمع أبي"

نظر إليه أبوه متفاجئاً:" ماذا هناك يا ملاكي؟"

كان الموقف صعباً ولم يكن غابرييل يعرف ما الذي عليه أن يفعله. خطرت على باله فكرة، لو اتصل بأخيه آرشي فهو حتماً سيمده بحل يرضي كلاً من غابرييل والأب.

للحظة أغلق غابرييل عينيه ولكنه لم يسمع شيئاً.

لمس الأب وجه غابرييل وسأله:

-" هل أنت مستيقظ؟"

-" نعم... ولكن انتظر".

لعل غابرييل كان يحاول بصعوبة كبيرة. بعد لحظة سمع صوت أخيه الواضح الهادئ. أصغى غابرييل ثم أومأ برأسه، يمكنني الاعتماد على آرشي أحياناً.

كان الأب يعيد الشريط المطاطي ليربط الرسم.

-" لنذهب لا يبعد المطعم كثيراً عن هنا".

-" لا، أبي"

نظر إليه أبوه:" ماذا ؟"

-"الرسم لي"

-" لك طبعاً، إنه لك، ولكن ألم أمنحك أنا كل شيء؟ ما الذي تعتقد أني أحاول عمله هنا ؟؟"

Twitter: @ketab_n

-" ليستر أعطاني هذا الرسم"

رفع الأب أكمامه:" انظر إلى تلك الخدوش. لقد كدت أقتل وأفقد الرسم! لقد أراد ذلك الحشد أن يمزق ثيابي، أن يلتهمني!"

-" لم يعطه لك".

كان ذلك أصعب نقاش خاضه غابرييل في حياته. ثم قال بصوت آرشي:" سأحتفظ به لبضعة أيام".

-" بضعة أيام!"

-" أريد النظر إليه، أعطني فرصة لأستمتع به".

كان أبوه ينظر إليه منزعجاً. وفي النهاية هز رأسه وأعطى الرسم لابنه.

-" ستعيدها إلي، لا يمكنك أن تترك مثل هذا الشيء الثمين مركوناً في البيت، لم أكن أنوي بيعه إذا كان هذا ما اعتقدته".

-" ماذا كان في نيتك أن تفعل إذن؟"

-" أردت أن أعرف قيمته، هذا كل شيء".

-" سأعيده لك، أعدك."

-" هذه شهامة منك" قال الأب ساخراً ثم تابع:" ولا يغب عن ذهنك أننا ما كنا سنكون في هذا الوضع المزري من الفقر الآن لو لم تقل الكثير لليستر عن رسوماتك الثمينة. لقد أجبرت الرجل المسكين أن يدعي بأنه مهتم"

-" إن ليستر هو الذي فعل." قال غابرييل " هو الذي تحدث إلي."

-" أنت الذي جررته إلى ذلك لقد كان تصرفاً شائناً وبغيضاً، ليتني لم أصطحبك معي أيها الأحمق الصغير!."

Twitter: @ketab_n

-" هدئ نفسك أبي "

-" لم يتحدث معي بأكثر من كلمتين. وسأكون محظوظاً إذا ما ذكر حتى اسمي في سيرته! كانت تلك فرصتي الكبيرة وماذا حدث؟ خرجنا برسم بال لا تريدني حتى أن أحصل عليه!"

نهض غابرييل وتوجه إلى الحمام عندما عاد كانت الصورة لا تزال على الطاولة. ولم يكن الأب في مكانه.

تراجع مع النادلة التي كانت لا تزال تحمل صينية ثقيلة إلى زاوية وكان يتحدث إليها وهو يكتب شيئاً على ورقة دسها في جيب مئزرها. كانت تنظر حولها بقلق، كما لو كان أبي سياجاً شائكاً يقع عليها، تحركت لتترك مسافة بينهما ما لبثت أن مرت عبرها.

-"أبي" صاح غابرييل.

التفت أبوه إليه وابتعدت المرأة

-" حسناً أنا في مزاج أفضل الآن " قال الأب " لقد أخذت رقم هاتفي ! هناك شيء واحد تحبه النساء "

-" وما هو؟"

-" إنهن يعجبن بالرجال الذين يرغبون بهن، والذين لديهم عواطف تجاههن. تذكر هذا. ألم تلاحظ مدى اهتمامها بي؟"

-" هل أنت متأكد بأنها لم تكن على وشك الاتصال بالشرطة؟"

-" ما الذي يدفعك لقول هذا؟ ما الذي تريد قوله؟ أنني عجوز قذر أحمق؟"

-" أبي..."

-" أليس كذلك؟ " وبدا وجه أبيه وقد تبدلت سيماؤه تماماً. كان أبوه قادراً على المغازلة ولكنه لم يكن جذاباً ساحراً

Twitter: @ketab_n

- " معك حق أنا مجرد عجوز !"

-" نوعاً ما."

-" هل صار هذا واضحاً جداً ؟"

-" الآن ودائماً"

-" فقط لأن النور ساطع هنا."

-" أبي"

وضع الأب أصابعه على بطنه وسحب كتلة الشحم المتراكمة عليه " أترى؟ هل يتوجب علي أن أقوم ببعض التمارين الرياضية؟"

-" على الأقل."

-" ما الذي سيطر علي فجأة ؟ إنه الأمل ! الأمل السخيف ! لقد كنت وحيداً جداً مؤخراً!"

-" هل تشتاق إلى أمي؟"

-" إنها تستمع إلى حواري الذاتي كما كانت تدعوه. لقد كنا معاً طوال الوقت لقد كان لديها على الأقل نصف أذن تستمع فيها إلي. لدي الكثير لأقوله لها... لكنها لا تريد الإصغاء لقد سئمت من وجودي !"

رمق الأب النادلة التي أصبحت الآن آمنة خلف منضدتها والتي كانت تنظر باتجاه آخر دون أي التفات.

- " أعتقد أن معظمنا يمضي جل حياته وهو يحاول ضبط رغباته نحو الآخرين."

أمسك غابرييل بيد أبيه وقال:

-" سأرى ماذا يمكنني أن أفعل مع أمي."

-" أجل، شكراً، لدينا على الأقل هذا الاحتمال." قال الأب وهو يربت على الصورة.

Twitter: @ketab_n

اقترب منهما مدير المطعم وهما يهمان بالمغادرة مقدماً الفاتورة

-" أنت لم تدفع بعد يا سيدي."

جفل أبي وبدأ يربت بيديه على بنطاله كما لو كان يعزف إيقاعاً غريباً.

-" هذا البنطال ليس له جيوب. "

لحسن الحظ كان لدي غابرييل بعض المال كانت أمه قد أعطته إياه يوم أمس.

في العشية أوصل الأب غابرييل إلى البيت وما أن وطئا العتبة حتى فتحت هانا الباب ووقفت تنظر إليهما.

-" مرحبا" قال الأب

-" سيد بانش جميلٌ يومٌ"

-" قل لها شيئاً آخر أبي، شيئاً ما طريفاً."

-" لماذا ؟"

قبل غابرييل أباه. كانت رائحته مزيجاً من صابون الحلاقة ورائحته الخاصة، مزيج ألفه غابرييل طوال حياته. يذكره بأبيه عندما كان يأخذ قدميه ويفركهما بذقنه الواخزة فيبدأ بالصياح وهو يضحك ويتلوى.

-" إلى اللقاء أبي."

-" آمل ذلك. أنا معك غابرييل."

-" وأنا كذلك."

أحاط الأب غابرييل بيديه وقال هامساً: " أرجوك لا تنس- سأكون في غرفتي أنتظر الرسم. انظر إليها جيداً الآن، واتصل بي قريباً- ربما غداً- عندما تنتهي منها. ما عداك أنت، إنها كل ما لدي الآن."

Twitter: @ketab_n

كان أمراً استثنائياً أن يودع أباه خارج منزله ثم يدخل لتعتني به امرأة لا يعرفها الأب، امرأة غريبة.

عندما سار أبوه مبتعداً لاحظ غابرييل أنه برغم جهوده التي بذلها هذا الصباح فقد بدت ثيابه غير مغسولة، وشعره المشعث قد طال. وبدا وكأن مشاكله تسبب له تحدباً بسيطاً. تمنى غابرييل أن يكون أبوه بخير.

كان يفكر بما يمكن أن يفعله ليساعده.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الخامس

ما أن ولج البيت حتى بدأ غابرييل بالكلام، ناسياً بأن هانا لا تفهم إلا القليل مما يقول.

أراد أن يريها الرسم على الأقل.

كان متوتراً ومتعباً، كانت أحداث اليومين الماضيين مثيرة جداً، هزته وشعر وكأنه قد مر عبر سنتين من عمره في آن واحد، ودون أن يتمتع بأي احتفالات.

-" أين أمي؟"

-" ماذا"

-" أمي، المرأة التي تعيش هنا. أين هي؟"

-" العمل، كي تأتي لك بالطعام لتأكل أيها الكسول."

-" لقد نسيت، هل ستأتي مبكرة أم متأخرة؟"

-"متأخرة."

لم يكن قد اعتاد بعد على عدم وجودها في البيت. ولم يرد أن يجلس مفتقداً وجودها فلديه الكثير لينجزه.

أخبر هانا بأنه سينجز وظائفه المدرسية. صعد إلى غرفة أمه وبدأ يبحث عن الثياب والزينة التي كانوا يلبسونها كزي لفرقة ليستر. لم

Twitter: @ketab_n

يجدها، ولكنه وجد رداء قديماً مهترئاً لا يشبه الرداء الذي كان يلبسه ليستر. لم يكن رداء شتوياً وكان عليه أن يلبس قميصاً قطنياً تحته. ولكنه صار يشبه ليستر أكثر. ثم توجه إلى غرفته كي يسمع تسجيلات ليستر ويدرس اللوحة. رسم ليستر، وكتب في دفتره كل ما استطاع تذكره مما قاله، أشياء مثل، " إذا كنت أعرف إلى أين أنا ذاهب، فكيف يمكن أن أضيع الطريق ؟"

رسم رسماً يعبر عن هذا القول. كان يعرف بأن هذا لم يكن كافياً لتبجيل ليستر، كهؤلاء المعجبين الذين يعتقدون بأنهم يمكنهم استحضار قوة ليستر عن طريق تقليد لون شعره. إذا كان على غابرييل أن ينجز أي عمل بنفسه فإن هذا سيكون أكثر من صبغ شعر. عليه أن يتبع ليستر كمثل يحتذى ويسلك طريقه الخاص. حين استيقظ كان شعرها يدغدغ وجهه. كانت دائماً تفعل هذا عندما كان طفلاً صغيراً، كانت تدغدغه بشعرها وهي تضحك وتثير جنونه.

-" كيف جرت الأمور؟" سألته

بينما كان يستمع إلى صوت الموسيقى الآتي من الطابق السفلي، أدرك غابرييل بأن أمه قد أحضرت أصدقاءها إلى البيت، وكانت رائحة شعرها كما لو كان منقوعاً في لجة من دخان السجائر.

-" كيف جرت الأمور؟"

لم يكن ناعساً جداً لكي لا يتمكن من استخدام الدفاع الكلاسيكي للمراهقين: التجاهل، النكران وتجنب الحقيقة.

-" أنت تعرف عما أتكلم، زيارتك لبيت أبيك."

جلست على حافة السرير رفعت الغطاء وبدأت تدغدغه.

Twitter: @ketab_n

-" أمي أرجوك لا تفعلي هذا."

-" ما هذا الذي ترتديه؟"

-" مجرد ثياب وجدتها هنا."

-" أنت دائماً تحب ارتداء الملابس الغريبة، والآن أخبرني ماذا حصل؟" قال بشكل عادي قدر استطاعته،" لقد سررت بالزيارة."

-" هل رتب أموره هناك؟"

-" ليست مرتبة تماماً."

-"لا، إذن... الأمور ليست جيدة."

-" ليست سيئة"

-" ماذا تقصد ؟"

-" لا أعرف." أجاب غابرييل متفادياً نظراتها

-" ما الذي سيفعله أبوك إذن؟"

-" تعرفين أن لدى أبي بعض العلاقات."

قهقهت أمه:" علاقات مع عمال البارات في ناشفيل؟"

كان هناك عمل في متجر الكحول في نهاية الشارع.إنهم يعرفونه هناك. ظننت أنه سيأخذ مالهم كذلك قبل أن يعيده لهم. ولكن هل يفعل هذا ؟ هل كان أبوك يشرب؟" سألته وهي تنظر إليه.

-" ليس تماماً."

-" مخدرات؟"

-" تعرفين لقد توقفت عن تعاطيها."

-" أيها الأحمق الصغير !" وتظاهرت بأنها تصفعه على وجهه قائلة:" لا تمزح في مثل هذه الأمور."

Twitter: @ketab_n

-" عفواً."

-" وإذا فعل شيئاً كهذا عندما تكون معه فسأمنعه من رؤيتك."

كان غابرييل يسمع صوت آرشي، لكنه منع نفسه من التواصل معه.

بعد هذه التجربة التي يخضع فيها للاستجواب من قبل والديه، تساءل غابرييل ما إذا كان صالحاً ليكون دبلوماسسياً. كان والدا زاك انفصلا حديثاً وكان غابرييل قد سمع عن المحنة التي يعاني منها الوسيط بين المطلقين. الشيفرة بين أطفال المطلقين بشكل عام، عندما يتوجه عليهم الضوء الكاشف، ضوء فضول الأهل، والذي يشبه ما يستخدمه البوليس مع المجرمين أثناء التحقيق، تلك الشيفرة كانت:" لا تقل شيئاً، لا تدل بشيء- كل ما ستقوله سوف يستخدم ضدك فقط ".

آخر شيء يريده الأهل هو الحقيقة وقد يعاقب الطفل إذا أدلى بها. كان يتعلم، إلا أن الموقف كان لا يزال جديداً بالنسبة له.

وجد نفسه يقول،" ليس هذا هو كل ما يتعلق بأبي، لقد كان ليستر سعيداً برؤيته."

-" ليستر من؟ ليستر جونز؟" سألت

-" لقد أهداني رسماً قام هو برسمه."

-" ليستر لم يلتق بابيك منذ سنوات، هل تخترع قصصاً؟ أتذكر أنك أخبرت المعلمة في المدرسة مرة بأنني وقعت في بركان."

-" ألم تقعي؟"

-" نوعاً ما، وكيف عرفت بأن ليستر كان مسروراً؟ لا تقل لي بأنكما ذهبتما معاً."

Twitter: @ketab_n

-" نعم"

-" أين كان ليستر يقيم إذن."

بدأ غابرييل يصف الفندق غير المرئي تقريباً لكن أمه لم تكن مصغية؛ كانت تنظر إليه بإمعان.

-" أعرف أنك رأيت ليستر،لا زال عالقاً على عينيك بعض من الظلال التي يستخدمها في التبرج. أليس هذا صحيحاً؟"

-" الأخضر هو لوننا على ما أعتقد."

-" ليس ذلك الأخضر المبتذل" قالت " لا يمكن أن يكون جميلاً."

-" ربما ولكنه قال بأني موهوب."

-" الناس الذين يعملون في مجال الاستعراض يتفوهون دائماً بمثل هذه الترهات. لقد قالوا الشيء ذاته عن أبيك في أحد الأيام. أصابع خارقة. أصابع من زبدة هذا أصح."

-" لا أعتقد بأنه كان يحاول فقط أن يكون لطيفاً معي." قال غابرييل بهيبة مدير مدرسة.

-" أوه لا تعتقد. أي رسم تتحدث عنه؟ أرني إياه. أين هو؟"

-" كرستين، نادى صوت من الطابق السفلي." نريد المزيد!"

-" من هذا ؟" سأل غابرييل.

-" صديق، علي أن أذهب."

قفز غابرييل من السرير وبسط الرسم. أمسكه كي تراه ونظرت إليه لفترة طويلة.

-" إنه له. أين ستحتفظ به؟"

-" لقد أحبه أبي كثيراً سأعطيه إياه لكي يبهج غرفته."

Twitter: @ketab_n

-" وهل تحتاج إلى بهجة؟"

-" ليس لديه أية صور ولا حتى صورة لآرشي."

-" ليس لديه؟ لست متأكدة ما إذا كان يفكر بآرشي الآن."

" الجدران زلقة جداً عنده أشك أن يلتصق أي شيء عليها."

" لا يمكنك أن تضعها هناك إذن، لا، لا، لا."

" ولكني سأضع لها إطاراً أولاً."

-" قلت بأن الحائط أجرد هناك أليس كذلك؟"

-" كريستين." نادى صوت آخر.

-" من هذا؟"

-" صديق آخر."

-" أمي ألا تستطيعين الذهاب إلى منزله وتنظفيه قليلاً؟"

-"آه طبعاً " قالت ساخرة، " سأفعل هذا أول شيء في الصباح لدي الكثير من الوقت أليس كذلك؟"

-" ألا ترغبين برؤيته؟"

-" ولماذا أرغب بذلك؟"

-" وضعه سيء، أعتقد أنه يرغب برؤيتك."

-" لا يزال دون عمل، أليس كذلك؟"

" لا يعمل في الوقت الحاضر، إنه مشغول... بالتفكير."

بدت وكأنها تغص وسألت:" إنه ماذا؟"

كرر غابرييل:" يفكر بما جرى."

" يفكر ! ها، ها، ها" ضحكت بشدة. وكررت الكلمة عدة مرات. "يفكر!" وفي كل مرة كانت تكررها كانت تزأر بشكل غير طبيعي.

Twitter: @ketab_n

في النهاية أخذت الرسم." سأستعير هذه."

-" أمي..."

-" أريد أن أريها لأصدقائي، هل لديك أي اعتراض؟"

-" أبي يساعدني بالتفكير بما علي أن أفعله بها."

-" أراهن على ذلك، وأي اقتراحات لديه؟"

-" لا أعرف بعد."

-" لن يفعل بها شيئاً هذه الليلة، بالتأكيد. ولا في أي يوم آخر إذا تصرفت حسب طريقتي."

-" ماذا ؟"

-" أرجوك دعهم يرونها."

-" بشرط ألا يتنفسوا فوقها."

-" لا تقلق، هؤلاء الأشخاص هم بالكاد أحياء."

أخذت الرسم وغادرت الغرفة.

وضع غابرييل خفه وركض خلفها.

كانت غرفة المعيشة معتمة تقريباً لكن غابرييل استطاع أن يميز بأن صديقي أمه كانا يفرغان الزجاجات في جوفيهما وعلى قمصانهما بالسرعة التي يقدران عليها.

كان باب المطبخ الصغير مفتوحاً وكان وهج تلفاز هانا الأبيض والأسود يضيء حوافها وهي تجلس متدثرة ببطانية.

كان الرجلان يتجادلان

-" كل ما في الأمر هو أن...." كان أحدهم يقول فيجيبه الآخر:

-" ليست هذه هي الحال هنا على الإطلاق، والواقع أن كل ما تقوله عبارة عن ترهات..."

Twitter: @ketab_n

-" سوف أقنعك جورج، اجلس ساكناً واستمع إلي الآن." قال له وهو يمد قبضته إليه.

مَثلها مثل مدرسة تتوجه إلى طلابها عرضت أمي الصورة عليهما.

"انظرا أيها المغفلان، انظرا إلى هذا. لقد رسمها ليستر جونز، نجم البوب المعروف. لقد كنت أعرفه. وكنت قد صممت له بنطالاً، في تلك الفترة التي يدعونها مرحلة " المطعم الهندي".

" ولكن اسمعي " قال الرجل الذي يدعى جورج.

فقاطعه الآخر:" أعرف تماماً ما الذي ستقوله، وإذا كنت ستقوله فسأقاتلك حتى الموت كي أمنعك من ذلك."

أوقفت أمي الموسيقى ورفعت صحون السجائر والكؤوس عن الطاولة ثم بسطت الرسم.

أشارت إلى غابرييل.

-" هذا هو، هذا ابني."

قال أحد الرجلين:" ما الذي يرتديه بحق الله؟"

-"إنه كيمونو، لا تبال بذلك. والآن غابرييل لقد رسم ليستر جونز هذا الرسم من أجلك أليس كذلك؟"

-" ليس تماماً، إن أبي هو صديق قديم لليستر الذي أخبرني بأنه كان أحد أبرع الموسيقيين الذين عملوا معه. لقد كان أبي يخلق صوتاً خاصاً به بحق. كان ليستر قد بدأ برسم الصورة وعندما دخلنا أنا وأبي..."

-"حسناً، حسناً أنت لست بصدد إلقاء محاضرة الآن في صالة تيت. هل تعرفون بأن ليستر جونز كان له علاقة معي في وقت مضى، منذ سنوات. أعتقد بأنه أرادني بأن أكون صديقته."

Twitter: @ketab_n

" كان عليك أن تتزوجيه." قال أحد الرجلين.

-" على الأقل ما كنت سأضطر عندها لدفع ثمن مشروبي."

-" وما كنت لتضيعين وقتك معنا." تابع الآخر.

-" والآن انظرا إلى الرسم أنتما الاثنان."

محاولين أن يكونا مطيعين ركز الرجلان نظرهما على الصورة وقام أحدهما بفرك عينيه من أجل رؤية أوضح.

بعد قليل من التأمل سأل أحدهما:" وما الذي يقوله الرسم؟"

فأجاب الآخر:" لا يهم - لا بد أنه يقول شيئاً يتعلق بالغناء."

-" انظرا إلى الرسم بحق السماء هذا كل ما أطلبه منكما."

وكز أحد الرجلين الآخر بكوعه ليسكته. ثم حدقا بالصورة بتأثر ولم يقولا شيئاً إلى أن وقع رماد سيجارة أحدهما، كورقة شجر جافة،على الرسم. قفز غابرييل الذي كان يراقبهما إلى الأمام وأبعده عن الصورة قبل أن يفسدها وطار الرماد على حضن الرجل الآخر.

ندم على ذلك، كان من الممكن أن تحترق الصورة. وكان من الممكن أن تصيبه النار أيضاً. وعندها سيتوجب على أمه أن تلفه بشرشف وتخرجه من المنزل كمومياء. وكان سيحصل على أسابيع راحة طويلة في السرير. ما الممتع في التفكير بتدمير أكثر الأشياء قيمة؟

-" حسنا" قالت الأم وتابعت:" هذا يكفي، إلى المرة المقبلة!" ثم التفتت إلى أصدقائها وقالت:" إنه موهوب كما تعرفون."

-" ليستر يستطيع الغناء لا شك في ذلك" قال مهرجاً. " ليس هو أجاب الرجل الآخر". كان غابرييل يشم رائحة الحرق في بنطال الرجل. فاستطردت الأم:" أقصد غابرييل !"

Twitter: @ketab_n

"من؟" سأل الرجل ذو البنطال المحروق، وكانت عيناه قد اتسعتا وهو يربت بيد على الأخرى.

-" هذا الفتى - هذا الفتى الذي يقف أمامنا!"

نظر الرجلان إلى غابرييل. عادة عندما تغضب أمه كان هو وأبوه يخافان. أما هذان الرجلان فقد كانا غير مباليين وكانا ينظران إليها ببرود.

بدا وكأنهما قد تعاطيا شيئاً ما وليس مجرد الكحول، مما جعلهما لا يفهمان ما الذي يجري، الأمر الذي أربك غابرييل، فهو يعرف شيئاً عن المخدرات - كل فتى يعرف هذه الأيام-ولكنه كان يجهل لماذا يرغب المرء بتعاطيها.

التفتت أمه إليه وقالت له:" هيه خطرت في بالي فكرة أرهم مدى موهبتك! ما رأيك أن تقوم برسمنا؟ نعم كلنا- هنا الآن! اذهب واحضر أقلامك وما يلزم. يا لها من فكرة رائعة!"

-" لا أشعر برغبة في ذلك، أنا متعب ويجب أن آوي إلى سريري كي أنهض باكراً إلى المدرسة."

-" هذه أول مرة تقول فيها مثل هذا الكلام، لا تقطب هكذا"

-" ألا يمكنني أن أغني أغنية بدلاً من الرسم ؟"

-" لماذا تغني، لدينا موسيقى هنا، هل صرت تعتبر نفسك الآن أفضل منا بكثير بعد أن امتدحك ليستر؟ "

-" هيا." قال واحد منهم

ضحك الآخر وقال:" لديك عمل أيها الفتى."

صعد غابرييل إلى غرفته وأحضر معدات الرسم.

Twitter: @ketab_n

عندما عاد جلس في إحدى زوايا الغرفة، وسرعان ما نسيته أمه وأصدقاؤها، يشربون ويتصايحون ويترددون على الحمام، يفعلون أشياء سرية.

رسم بسرعة كما يحب بقلم الرصاص ومسح الرسم بإصبعه كي يعطي انطباع جو الغرفة المليء بالدخان، ولسبب ما، ذكره المشهد بفنان يحبه، تولوز لوتريك، الذي كان وهو في عمر السادسة عشرة قد أكمل خمسين لوحة وثلاثمائة رسم. تذكره غابرييل ذلك وتذكر بأنه كان النموذج الذي يحتذي أسلوبه.

بعد فترة تذكرته أمه استدارت نحوه وقالت: " لنلق نظرة، هل هي جيدة؟"

أخذت الدفتر وتحركت عبر الغرفة لتشعل ضوءاً إضافيا.

نظرت إلى الرسم تتفحصه، امرأة في أواسط العمر متعبة، تضع جوارب سوداء وتنورة قصيرة، بينما يرتدي رجلان بدينان شاعران بأهميتهما سترات ضيقة ويتبادل الجميع الملاطفات.

عندما وقف غابرييل قربها لاحظ بأنها لا تضع الخاتم الهندي الذي كان أبوه قد أهداها إياه. لم يكن خاتم زواج تقليدياً على الطريقة البرجوازية، فهما لم يكونا من جيل يسعى إلى الزواج. وقد اشتراه الأب عندما ذهبا إلى تاج محل. وكانت الأم تعلق: " ليس تاج محل ذلك المطعم، وإنما ذلك الصرح في الهند". لم يسبق لغابرييل أن رأى أمه وقد نزعت الخاتم من إصبعها وكاد يسألها عنه عندما قال أحد الرجلين: "التشويق يقتلنا دعينا نلق نظرة."

توجه نحو أم غابرييل وأحاطها بيده، لم تعجب غابرييل الطريقة التي لمس بها أمه ولكنه كان مهتماً بما سيقوله الرجل عن الرسم.

Twitter: @ketab_n

ضحك الرجل والتفت إلى غابرييل:" ألم يكن بإمكانك أن تجعلني أكثر وسامة، أيها الشيطان الصغير؟ أبدو وكأنني خنزير بري."

-" أعجب لماذا تبدو كذلك؟" عقب الرجل الآخر.

-" انظر كيف رسمك ؟ شكلك يذكر ببيتزا خارجة للتو من الميكروويف."

أخذت أمه الرسم، طوته ووضعته على الطاولة.

-" ألا تريدين أن تنامي؟" سأل غابرييل أمه.

-" بلى، بلى، بعد قليل."

اصطحبت غابرييل إلى الطابق العلوي، إلى غرفة نومه ونسيت أن تقبله لأن شيئاً آخر كان يشغلها.

-" ما كان أبي يحب هؤلاء الناس."

-" هذا ليس من شأنه، لا شيء يعنيه الآن."

بعد وقت ليس بالقصير سمع غابرييل صوت الباب يغلق وصوت رجل في الشارع، ثم صوت تكسير زجاج. ذهب إلى غرفتها وعاد كل شيء إلى هدوئه ثانية.

عندما سمع صوت أنين خرج غابرييل من غرفته ورأى باب غرفتها مفتوحاً.

رآها جالسة على سريرها المرتفع لا ترتدي سوى حذائها. لا بد أن أمه كانت مرهقة فقد كانت تقف بصعوبة وإحدى يديها تستند إلى السرير والأخرى بين فخذيها.

سمع غابرييل صوتاً ولكنه لم يدرك في البداية مصدره. أخيراً أدرك أن أحد الرجلين كان يجلس على الأرض ورأسه على صدره يدمدم بأغنية ويحاول خلع قميصه.

Twitter: @ketab_n

شجعه غابرييل على النهوض.

" هذا من نمط جورج" قال الرجل وهو يشير إلى السرير. سأتسلقه بقفزة واحدة ولكني أريد الذهاب إلى الحمام أولاً."

-" من هنا " قال غابرييل" أعطني قميصك"

-" شكراً أيها السيد، أنت لا تنوي سرقته على ما أرجو؟"

-" لا "

قبل أن يدرك الرجل أين هو، قاده غابرييل إلى الطابق السفلي فتح باب المنزل ودفعه إلى الخارج إلى الشارع البارد. أقفل الباب بسرعة وأطفأ الأنوار.

راقب غابرييل الرجل وهو يفك أزرار بنطاله وسط الشارع فصاح غابرييل عبر صندوق الرسائل." يوجد مرحاض في الخارج! هناك إلى اليسار ! لا تنس أن تفتح المياه بعد أن تنتهي ! احذر السيارات خلفك!"

لم يسبق أن رأى أمه وقد أثر عليها المشروب بهذا الشكل. وعندما حاولت التوجه نحو غابرييل كادت تقع على الأرض. صعد غابرييل الدرجات أحاطها بيده ودفع بجسدها الثقيل إلى السرير. لم تلاحظ أنه ألبسها منامتها ولكنه عندما بدأ بتزريرها بدأت تقبله وتناديه " حبيبي"

-" ولكني غابرييل " قال لها.

كان فمها مفتوحاً وكانت تتنفس بثقل.

كان بإمكانه أن يرسمها. لم يفعل ليس لأنه كان يحتاج إحضار دفتره وإنما لأنه مشهد لن ينساه.

ألقى غابرييل الغطاء عليها وقبلها وذهب.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل السادس

في صباح اليوم التالي استيقظ غابرييل قبل أمه وكان يتهيأ للذهاب إلى المدرسة، بينما هانا تحضر له البيض المقلي وتحمص الخبز.

" كيف حال الصورة؟"

اتصل أبوه منذ الصباح الباكر، ومن حيث كان يقف غابرييل رأى قميص رجل معلقاً على ظهر الكرسي.

-" جيدة"

-" هل انتهيت منها ؟"

-" ليس بعد."

-" هل رأتها أمك؟"

-" نعم"

-" وكيف حصل ذلك؟"

-" إنها فضولية، تعثر على الأشياء."

-" أجل " رد الأب:" وهل أعجبتها ؟"

-" لا بأس."

-" ماذا قلت لها ؟ هل ذكرت ليستر أمامها ؟"

-" نعم هل عندك مانع؟ لقد تأثرت بذلك."

Twitter: @ketab_n

-" أنا متأكد، ولكنك لم تقل لها أشياء سيئة عني؟"

-" مثل ماذا؟ لا."

تنهد أبوه:" أنت تحافظ على اللوحة، هل هي هناك إلى جانبك؟"

-" أجل إنها هنا. في الواقع... أنا أنظر إليها."

-" أخبرني عندما تكون جاهزاً قد أمر بعد الظهر لآخذها بعد المدرسة"، ثم سأل الأب بتهذيب: " موافق؟"

أجاب غابرييل:

-" وأي شيء آخر ستفعله اليوم؟"

-" لا أدري بعد، سنرى ما الذي ستتفتق عنه الأمور."

-" أين صورة ليستر؟" سأل غابرييل هانا وهي تقضم شطيرة من زبدة الفستق، هل رأيتها؟"

نظرت إليه باستغراب فهي لم تكن تعرف عن أي شيء يتحدث.

في آخر مرة رأى فيها غابرييل الصورة كانت على الطاولة في غرفة المعيشة. ولكنها لم تكن هناك. لعل أمه وضعتها في مكان آمن في غرفتها. وستغضب إذا دخل إلى الغرفة يبحث عنها فقد يوقظها.

توجه إلى المدرسة لكنه لم يتمكن من التركيز على الدروس. وبدأ يفكر بأنه صار أكبر من أن يذهب إلى المدرسة، أو أن المدرسة متخلفة، أو أنها صارت بالية بالنسبة له. لم تكن المدرسة تشغله بما يكفي. فما أن يبدأ بالتركيز على عمل مدرسي حتى يدرك بأن أموراً أكثر أهمية تجري في مكان آخر.

في هذا الصباح استولت عليه أفكار بدأ يسجلها على دفتر ملاحظاته قبل أن ينساها، أخذ المدرس الدفتر منه قائلاً:" لماذا لا تركز معنا غابرييل بانش؟"

Twitter: @ketab_n

-" ليس هناك ما يثير الاهتمام ليجلب انتباهي سيدي " أجاب دون أن يفكر.

-" ليس هناك ما يثير اهتمامك! وفي رأيك ما كل هذا.... تسلية؟"

-" لو فقط سيدي، لو فقط"

كان التلامذة يضحكون

قال المدرس:" سأنقض عليك ككومة حجارة؟"

فصاح تلميذ من الطرف الآخر:" الزبون دائماً على حق سيدي."

وتبعه آخر:" قياس واحد يناسب الجميع!"

-" اتبع التعليمات دائماً."

-" لا تجرب هذا في المنزل."

-" انظر بعيداً الآن!"

-" نحن في طريقنا إلى ويمبلي!"

وتحول المكان إلى مشفى للمجانين.

نظر غابرييل إلى المدرس وأجاب:

-" هذا هو أنت سيدي، كومة كبيرة من الحجارة."

" كرر ما قلته بانش."

وكان ذلك هو الأمر الوحيد الذي قام به غابرييل وأدخل السرور إلى قلبه.

تمالك الأستاذ نفسه وكان من المفترض أن يطرد غابرييل لمدة أسبوع كعقاب له على وقاحته، لكنه لم يطرده بل أخرجه من الصف. وكان زاك، الذي يقرأ كثيراً ويستخدم كلمات صعبة (حتى أنه يستطيع تهجئة كلمة

Twitter: @ketab_n

ناشئ) يقول له:" لا تقلق، فالنظام يفتقر إلى الخيال وهو نظام قسري بحيث أن الفشل هو امتيازه الوحيد، والانسجام معه هو شكل من أشكال الموت". وكما أشار أبوه مرة، من المفترض أن تكون المدرسة مدرسة لا مصحاً عقلياً، وحتماً ليس سجناً.

طرد غابرييل من الصف، ووقف وحيداً في الرواق، ككلب أجبر على انتظار صاحبه خارج المتجر.

-" فاشية" قال زاك متشدقاً وهو يمر من جانبه " اتصل بي" أجابه غابرييل:" سأفعل."

في المدرسة صار هو وزاك في صفين مختلفين الآن، ونادراً ما كانا يجتمعان. ولكي يبتعدا عن المشاكل لكونهما في صفوف الدرجات المتوسطة كان على زاك أن يعمل في المكتبة. الكتب التي اكتشفها كانت مناسبة كي يختفي خلفها. البالغون يحترمون الكتب، مع أن أحداً لم يفسر السبب.

كان زاك لامعاً يستوعب الأمور. كما كان بارعاً في حل مشاكله أيضاً." الأهل طريفون." قال مرة. " ما الذي يريدونه منا؟ احترامنا وإصغاءنا لهم. ولكن هل يكترثون باحترامنا لهم؟ وكم عدد المرات التي يصغون فيها إلينا ؟ أو يفكرون بما نريده نحن؟"

لم تكن المدرسة تثير اهتمام زاك كذلك. كان يذعن لأنه كان يعرف بأنه مجرد عابر. ويدرك كم من الأشياء لا زالت أمامه.

نادراً ما التقى غابرييل بزاك خارج المدرسة منذ أن غادر أبوه البيت. وكان زاك على علم بما جرى - الشيء نفسه حصل له، كما حصل مع العديد من زملائهم في الصف. أن تكون فرداً من عائلة متكاملة

Twitter: @ketab_n

يعني أنك تنتمي إلى أقلية. لكن غابرييل لم يكن يرغب بالتحدث عن هذا الانفصال. الكلمات خطيرة كخطر القنابل، هذا ما اكتشفه غابرييل عندما أقسم أمام أمه. الكلمات لا تصف وحسب، إنها تفعل أشياء لأناس آخرين، أو تحرض على حدوث بعض الأمور، وما كان يحدث الآن هو أكثر مما يحتمل.

وفي النهاية فإن الأولاد يفهمون الاستبداد، بما أنهم يعيشون مع هؤلاء الرؤساء المزاجيين الشريرين الذين يدعون الأهل، في ظل نظام يقيد أفكارهم ونشاطاتهم بصرامة.

بينما الأولاد فوضويون ومنشقون ويعملون في الخفاء، مجتمعين في خلايا سرية، محاولين إيجاد خصوصية لا يمكن انتهاكها.

في تلك اللحظة لم يكن يشعر كفوضوي منتصر.

مر أستاذ لم يسبق أن تحدث إليه بأكثر من بضع جمل، توقف للحظة وقال:" أنا أتذكرك بانش. هذا هو اسمك أليس كذلك؟"

-" نعم سيدي."

عندما أتيت إلى هنا كنت مليئاً بالثقة والآن تبدو خائفاً طوال الوقت." لمس الأستاذ وجهه قائلاً:" تلك الرفة العصبية قد عادت إليك."

-" هل عادت سيدي؟"

كان لدى غابرييل رفة في إحدى عينيه فكانت تغمض وكأنها فتحة كاميرا. عندما كان يلاحظها كان يشعر وكأن وجهه مسكون بعناكب وحشرات تتحرك تحت جلده.

-" انتبه لنفسك " قال له الأستاذ.

-" شكراً سيدي."

Twitter: @ketab_n

سوف يعتني بنفسه. لقد نقلته تجربته مع ليستر إلى عالم آخر، إلى حيث يبدو أنه ينتمي. كان يتوق إلى تأمل اللوحة وتفحصها جيداً.

بعد الظهر عندما عاد إلى البيت لم يعثر عليها في أي مكان، لا في غرفة أمه ولا في غرفته.

قلب محتويات الخزانة وبحث في الأمكنة نفسها مرات ومرات، ثم توجه إلى حيث كانت هانا تقف خارج الحمام.

قال لها بنبرة رجل أعمال: " عذراً هانا علي أن أخرج، عندي اجتماع وسأكون شاكراً إذا أبقيت عشائي ساخناً."

" سأسخن مؤخرتك خلال دقائق!" عند الضرورة كانت هانا تعثر على الكلمات المناسبة. تمكنت من إنشاء صداقات مع أخريات في مثل وضعها ؛ صار هذا ممكناً مع ازدياد غنى لندن وعودتها لأن تكون فكتورية أكثر من السابق. لا بد أن أصدقاءها كانوا يدربونها.

- " إنه وقت الحمام، الماء في كل مكان"

وأشارت إلى حوض الاستحمام المليء بالماء.

-" هيا ادخل إلى هنا، عليك أن تغتسل!"

وتفاجأت عندما رأته يضع معطفه ويأخذ قميص الرجل من على الكرسي ويخرج من المنزل قائلاً:" إنه مساء جميل للنزهة."

وقف أمام الباب الخارجي فصاحت بإنكليزية معقولة " انتظر انتظر، أنا مسؤولة عنك!"

"أنا ذاهب لرؤية أمي، أنا لست طفلاً."

وعندما نظر إلى الخلف رأى أنها كانت تعتزم الانطلاق وراءه ولكنه استطاع أن يضيعها.

Twitter: @ketab_n

كانت أمه تعمل على مبعدة بضعة أزقة فوصل إليها سريعاً.

يصبح جو البار قاسياً بعد انتهاء الناس من العمل، فيمتلئ بالعمال ذوي الثياب السوداء. عند الباب حاولت نادلة إيقافه قائلة:" أنت أصغر من أن تدخل."

" زجيني في السجن."

رأى أمه عبر الردهة تقف إلى طاولة قرب رجل عرفه ولم يتذكر أين رآه. شيء غريب إنها المرأة الأهم في حياته، وهي غير ذات أهمية هنا، مجرد نادلة بين النادلات الأخريات. والأسوأ أنها لم تكن تفكر به في تلك اللحظة.

-" أمي." ناداها وهو يقف على رؤوس أصابعه.

عندما سمعت صوته التفتت إليه. لقد استطاع بشوان أن يستحوذ على اهتمامها. إنها قوة رائعة. أسرعت إليه:" هل هناك خطب؟"

-" نعم"

-"ماذا هناك؟ أخبرني ! هل أصابك مكروه؟" ووضعت يدها على جبينه " حرارتك مرتفعة؟"

-" طبعاً حرارتي مرتفعة! أين لوحتي؟ تلك التي أعطاني إياها ليستر."

-" أوه، تلك. ألهذا السبب أتيت إلى هنا؟ ما هذا الذي بيدك؟"

-" قميص تركه أحد الرجلين المتعرقين البارحة."

أخذت القميص وطوته بشكل مرتب أكثر مما يعجبه. وقالت:" لقد وضعت اللوحة في مكان أمين."

-" شكراً ولكنني أريدها ألان."

Twitter: @ketab_n

-" لماذا ؟"

-" هذا أمر يتعلق بي."

-" لا ترفع صوتك. أنا أم عزباء ورأسي يؤلمني!"

-" أعجب كيف تمكنت من الوقوف على قدميك أصلاً."

كانت ترسم على وجهها تعابير الأسى لتشعره بأنه مسؤول عن ذلك وبأن طلبه غير معقول.

توجهت النادلة التي حاولت إيقافه لدى دخوله قائلة:" كريستين هناك زبون ينتظر."

-" أنا قادمة" ثم التفتت إلى غابرييل وقالت له:" اذهب إلى البيت."

فأجابها:" أريد أن أراها."

-" لا تفسدها. سوف تفسد إذا شرع كل واحد يمسكها وينظر إليها."

-" تقصدين أبي؟"

-" ذلك الرجل هو هيبي قديم، وهو ينتمي إلى جيل لم يقدر قيمة الأشياء. لماذا تعتقد أننا بقينا فقراء كل تلك السنين؟ لأن أباك امتنع عن أن يكون "مادياً ".

لقد وضعت الصورة في مكان آمن. يمكنك الحصول عليها بالطبع يمكنك الحصول عليها - عندما تكبر."

-" أكبر! هل سأصبح يوماً في السن المناسب؟ لقد كنت كبيراً بما يكفي عندما أعطاني الصورة. إنها لي وهذا أمر واقع."

-" أمر واقع؟ أمر واقع! " وضحكت:" ولكننا عائلة"

Twitter: @ketab_n

-" عائلة!"

-" بإمكاننا أن نحافظ عليها كعائلة، عندما أقول ذلك."

-"أريد أن يراها أبي أحياناً هو أيضاً."

-" سوف أفكر في الأمر. لقد رحل. إنه لا يريدنا. لماذا تعتقد أنه تركنا؟"

كان غابرييل يرتعش، كرهها وكان خائفاً من غضبه. لقد رفضت أن تفهمه، أو أن تأخذه على محمل الجد. بل وكانت غاضبة لكونه غاضباً.

قالت وهي ترافقه إلى الباب: " ما لاحظته هو أنك تأتي إلى هنا فقط عندما تحتاج شيئاً لنفسك، لماذا عندما رأيتك ظننت بأنك قادم لترى كيف تسير أموري!"

-" وكيف تسير أمورك؟"

-" ماذا؟ بخير، أنا أحب هذا المكان، لقد قال لي أبوك مرة بأن لي عقلية نادلة، لعله كان على حق!"

نظر ليرى صندوق بريد هانا معلقاً على الباب

-" أنت فتى سيء سيء جداً "

كاد يتعثر واتكأ على الطاولة.

-" شكراً هانا" قالت لها الأم وعادت إلى عملها.

-" فتى تعال إليّ"

أخذته إلى الخارج وحاولت أن تجره إلى الطريق كما لو كان طفلاً صغيراً. تعثر خلفها وتذكر كيف كانت أمه تجره وتصفعه على رجله عندما كان طفلاً.

على حافة الرصيف توقف وسحب يده منها، إذا لمسته فسوف يبطحها أرضاً مهما تكون النتائج.

Twitter: @ketab_n

كانت هانا تنظر إليه: لا بد أن عينيه تقدحان شرراً، واعتراها الخوف.

-"حسناً حسناً " قالت "اتبعني" وذهبت في اتجاه ثم ذهبت في آخر.

-"أوه لا أعرف أين نحن؟"

-"نحن في لندن يستحسن أن تتبعيني أنت."

عبرا زاوية شارعهما فرأى غابرييل أباه يقف خارج البيت. أمسك غابرييل يد هانا ودفعها خلف السيارة.

"سأظل هنا" همس لها " اذهبي أنت إلى البيت، دعيه يرك."

احتارت هانا في أمرها ولكنها فعلت ما طلب منها. عندما رآها أبوه تقترب سار مبتعداً دون أن ينظر إلى الوراء.

بحث غابرييل عن الصورة لكنه لم يجدها. وانزعج أكثر وأكثر من أمه وقرر أن ينتظر عودتها، ويسألها فيما بعد. ولكنها عندما جاءت سمع صوت رجل وقرر أن ينتظر إلى أن يسمع صوت الباب الخارجي يغلق. وبما أنه كان متعباً غفا.

Twitter: @ketab_n

الفصل السابع

استيقظ فجأة كما لو أن أحداً يهزه. أضاء النور ونظر حوله. لم يكن هناك أحد في الغرفة. هل كان يحلم بالموت، كعادته. لكن الأمر لم يكن كذلك: فهو لم يكن متعرقاً ولا خائفاً.

تهيأ له أنه سمع صوتاً من بعيد. في البداية ظن أنه صوت أبيه يقف خارج المنزل منتظراً أن يسمح له بالدخول. لكنه عندما أصغى جيداً عرف أنه آرشي يناديه. كان عند آرشي ما يعلنه.

" ماذا هناك آرشي؟ " سأله غابرييل هامساً." أنا هنا إذا كان لديك ما تقوله لي فالأفضل أن تنطقه فأنا غير متوفر دائماً."

بدأ آرشي يتكلم.

أخبر غابرييل أين توجد الصورة وأنه يجب أن يحضرها. وبما أنهما كانا اثنين فقد كان عليهما أن يقوما بمغامرة، كما قال آرشي، كالتوأمين في قصص إينيد بليتون. سوى أنه كان هناك مشكلة صغيرة. فقد أخبر آرشي غابرييل بأن رسم ليستر مخبأ في غرفة نوم أمه وطبعاً أمه نائمة.

لكن يبدو أن آرشي لم يكترث لذلك. فالأرواح لا تكترث بالعقبات العادية.

ما إن أعلن آرشي عن مكان الصورة حتى أدرك غابرييل أن أخاه

Twitter: @ketab_n

على حق، لا بد أنها هناك. كان عليه أن يخمن ذلك. ليس لدى أمه خيال حين يتعلق الأمر بتخبئة الأشياء، أو لعلها تستخف بتصميمه وعزمه.

أي عزم وتصميم؟

كان يجلس هناك في العتمة والبرد، والصوت الوحيد المسموع هو صوت شخير هانا. كان الهواء أو تنفسها المضطرب يمر عبر فتحة الباب ويبرد كاحليه. أراد أن ينسل تحت غطائه ويعود إلى النوم. ولكن رغم أنه لعن حس آرشي الفكاهي إلا أنه لم يستطع أن ينكر قوة بصيرته.

كان على غابرييل أن يتبع صوت ملاكه الحارس إلى حيث يقوده.

دخن نصف سيجارة حشيش، فتح باب غرفته، خرج ووقف في الردهة. اعتادت أمه أن تترك باب غرفتها مواربا. كانت تفعل ذلك منذ أن كان هو وآرشي رضيعين كي تسمعهما إذا بكيا.

دفع الباب وخطا إلى العتمة. أصبح داخل غرفتها ويستطيع سماع تنفسها. خطا خطوة أخرى قبل أن يرتطم بجدار غير مرئي ووجد نفسه معلقاً في الفراغ. فنزل إلى الأرض.

مد يده وأدرك بأنه اصطدم بحذاء، حذاء كبير وكأنه قط خشبي. لم يكن ذلك حذاء أمه كانت تضع أحذيتها كما يعرف جيداً تحت النافذة.

استلقى على أرض الغرفة، ساكناً كالموتى، وقريباً من حالة البهجة، أمسك أنفاسه. كان وجهه متجهاً نحو الأرض بحيث إذا فتحت عينيها لن تراه مع أنها يمكن أن تشمه.

حين أصغى جيداً أدرك أن هناك شخصاً ما معها في السرير. وكان من الممكن أن تستيقظ هي أو الشخص الآخر - كائناً من يكون- وسيكون هناك أربعة عيون غاضبة تدينه.

Twitter: @ketab_n

كان الضوء كافياً ليستكشف طريقه ويجر نفسه نحو دعائم السرير. كان يعرف طريقه في تلك المنطقة. دائماً يلاحظ الأطفال الأشياء التي تقع في الأسفل مثل أقدام العسكر والخدم، إنهم يرون العالم من أسفل، موقع جيد لملاحظة كيفية عمل الأشياء.

كانت الأدراج المعدنية مقفلة، ولكنه كان يعرف سر القفل، كل ما عليه أن يفعله هو أن يسحب ويدير في الوقت نفسه. كان عليه أن يقوم بهذا العمل دون إحداث أي ضجيج. قام بذلك بأكثر ما يمكنه من البطء والهدوء والحذر لكن الدرج لم ينفتح. شعر برغبة في البكاء. كيف يمكنه أن يعرف سر القفل؟ بقي ساكناً أخذ يفكر قبل أن يحاول ثانية - كما نصحه آرشي على ما يبدو- ثم وضع الأرقام الأربعة الأخيرة من رقم هاتفهم. لكن الدرج لم يفتح. وضع رقم سنة ميلاده هو وآرشي. أليست كل الأمهات عاطفيات؟ فتح الدرج. كان الرسم هناك.

أجل كان الرسم هناك، كما قال آرشي. أخذه غابرييل وكل ماكان عليه أن يفعله الآن هو الخروج من الغرفة دون أن يوقظ أحداً. لم يكن ذلك بالأمر الصعب.

عندما هم بالتحرك صدرت أصوات مكتومة وحتى قهقهة، ثم بدأ نابض السرير يهتز بشدة. فكر بأنه لن يتمكن من عبور الغرفة والوصول إلى الباب دون أن يوقفه أحد ما، كان عليه أن ينتظر، فجأة بدأت أرجل السرير الخشبية تقرقع، وبدت وكأنها تصر صريراً وتكاد تتصدع تنهار، كان من الممكن أن ينهار كل شيء عليه وهو تحت السرير ! وضع يديه على أذنيه. كان الأمر مروعاً ولكن آرشي كان هناك معه في داخله.

اثنان فوق السرير واثنان تحته، حياتهما في خطر هذه الليلة؛ والأب ليس بعيداً من هنا كان في غرفته. هل كان مستيقظاً هو أيضاً؟

Twitter: @ketab_n

عندما ساد الصمت مجدداً وعاد تنفس الاثنين إلى إيقاعه الطبيعي، زحف غابرييل خارجاً ممسكاً بالرسم توجه إلى غرفته وبسطه على الطاولة.

ما الذي رآه فيه؟ وجه كبير ثم آخر، وجوه صغيرة، حيوانات، خطوط، ألوان، حركات. أشياء معتمة تحاول أن تصبح مضيئة. كانت مليئة، فيها الكثير، كما في موسيقى ليستر التي يتقدمها لحن جميل يمكن لأي كان أن يتذوقه.

كانت تلك طريقة جيدة لرؤية لوحة، أو أي عمل فني آخر، كما لو كنت أنت الذي قمت به.

توجه إلى خزانة أدواته الفنية.

مر الليل. بقي صاحياً حتى الصباح يعمل. كان عليه أن يغطي المرآة ثانية لأنه عندما كان ينظر إليها لم يكن يرى انعكاس صورته وإنما صورة آرشي، وجه كوجه غابرييل ولكن يختلف عنه بطريقة لم يتمكن من تحديدها، مع أن عيني آرشي كانتا متباعدتين أكثر من عيني غابرييل ربما. تذكر غابرييل قصيدة للشاعر باث كان قد قرأها في المدرسة اسمها "مرآة"." أنا لست شريراً، كانت فقط، صادقة / عين إله صغير، ذات حواف أربع."

لكي يبقيه مستيقظاً كان آرشي يغني ألحاناً لموزارت وسيناترا وإيللا وجو كوكر. قام بنسخ الصورة مرتين ويد آرشي تحيطه. كان غابرييل يتقن نسخ اللوحات ويتمتع بذلك. والآن أمامنا الكثير من العمل والفن ولن نترك شيئاً وراءنا.

في الصباح، نادته أمه كي ينزل:" غابرييل الإفطار"

Twitter: @ketab_n

كان هناك رجل يجلس إلى الطاولة في غرفة المعيشة ينفض رماد سيجارته في الصحن. كان على غابرييل أن يجلس.

" هذا جورج " قالت أمه ثم توجهت إلى جورج قائلة:" جورج هذا غابرييل ألا تذكره؟"

تصافحا.

كانت الأم تهمس لجورج عن أمور حصلت لها في العمل وعن بعض المشاجرات بينها وبين الناس هناك. ثم أرسلت هانا إلى السوق وذهبت لتستعد.

-"هل هناك مزيد من الشاي؟" سأل جورج

في هذه الإضاءة كان جورج يبدو أصغر مما يتذكره غابرييل وهو في بداية الثلاثينات، بشعره الغامق الطويل وملامح الرفاهية والرخاء التي ترتسم على هيئات المنتمين إلى الطبقات العليا.

أجاب غابرييل:" أعتقد ذلك"

-" هل لك أن تحضر لي قليلاً منه، فأنا لا أشعر أني بخير. كدت أصاب بذات الرئة البارحة."

-" وكيف ذلك؟"

-" لا أذكر"

ذهب غابرييل إلى المطبخ وصنع له شاياً. كان متعباً، كانت ليلة طويلة وكان عليه أن يذهب إلى المدرسة.

رفع صوت المذياع، تنحنح، رفع رأسه قليلاً إلى الوراء ثم بصق في فنجان جورج. ومع أنه أضاف الحليب والسكر وحركه، إلا أن الشاي الأخضر كان لا يزال يبدو كريهاً.

Twitter: @ketab_n

كان جورج متعباً جداً، أحنى رأسه وكاد يلمس الطاولة. قدم له غابرييل الشاي وجلس قبالته.

-" ماذا ستفعل اليوم يا جورج؟"

-" أوه لا أعرف، أنا رسام ولذا ما علي إلا أن أجلس وراء لوحتي. ألا تحب الفنانين؟"

-" أمي تقول دائماً بأنهم أشخاص غير جيدين."

-" لم تذكر لي شيئاً من هذا أبداً."

-" ليس بعد، هناك أشياء كثيرة لا يقولها الناس في البداية. إنها تكره القيود مثلاً، وتحب حريتها أكثر من أي شيء آخر. كما أني فتاها المفضل."

أجابه جورج: " المرأة المسكينة إنها متعبة، لقد عانت الكثير مؤخراً."

-" حقاً؟ هل أعجبك الشاي؟"

-" شكراً، نعم."

-" مزيداً من السكر؟"

-"لا"

-"حليب؟"

رن الهاتف

-" كيف حالك أبي ؟" سأل غابرييل

-" أمك موجودة؟"

-" هل تريد التحدث إليها؟"

تردد الأب قليلاً ثم قال:" لا مانع."

Twitter: @ketab_n

-" إنها تأخذ حماماً."

بدا أن الأب ارتاح:" إذن بإمكاننا أن نتكلم بحرية. هل أستطيع أخذ الصورة؟"

-" لقد انتهيت منها تقريباً."

-" حسناً سأمر لآخذها."

كم يصبح الناس حازمين عندما يريدون شيئاً

-" نعم، في أي وقت تشاء ولكن قطعاً ليس الآن. ليس قبل أن أقول لك."

رشف جورج شايه ثم بدأ يسعل ويتنحنح:" يا إلهي لا أستطيع التنفس!"

-" من هذا؟" سأل الأب

-" هانا"

-" وهل لدى هانا صوت باريتون ؟"

-"أجل"

-" لنر، دعني أتكلم مع هذا الرجل."

-" لا تكن أحمق أبي."

-" اسمع عليك أن تساعدني. لا تتأخر في إعطائي الصورة."

-" ما المشكلة؟"

-" بما أنني مفلس تماماً، فليس لدي وقت كثير للبقاء على قيد الحياة."

-" هل أنت مريض؟"

-" حالتي تسوء، وأنا أنحدر إلى الصفر."

ثم أقفل أبوه الخط

Twitter: @ketab_n

قال غابرييل لجورج:" كان هذا أبي إنه قادم."

-"الآن؟"

-" ممكن، إنه موسيقي".

قهقه جورج قائلاً:" كان موسيقياً".

-" لا يفقد المرء موهبته أبداً- هذا إذا كان محظوظاً ولديه موهبة".

عندما جاءت أمه قال جورج: "إن غابرييل يشرح أموراً عن الموهبة".

-" أوه طبعاً، إنه ملم بهذا الأمر".

-قال غابرييل:" كان لدى أبي موهبة هائلة ولكن شيئاً مريعاً حدث له."

-" نعم سمعت أنه وقع أرضاً على وجهه، كل الناس تعرف ما حدث له."

قال غابرييل:

" وهل أخبره عن حلم أبي حين ناداه صوت لينضم إلى فرقة رولينغ ستون؟ "

-" لندع هذا الأمر الآن، إن جورج فنان تشكيلي."

كان جورج يبتسم لها. " سوف أرسمك عزيزتي."

-" لا أعرف."

-" سبق وأن وافقت."

-" ليس لدي ثقة كافية بنفسي."

-" يبدو أنك امرأة خجولة ألست كذلك؟"

-" أجل خجولة جورج أنت تعرف ذلك."

-"أعرف، ولكنك لست خجولة دائماً عزيزتي، البارحة مساء عندما..."

Twitter: @ketab_n

-" كفى الآن أرجوك."

-" انظري إلى هذا " قال جورج

-" جورج إنه صغير على هذا."

-" هراء، الشباب في مثل عمره لديهم خبرة أكثر من خبرتنا. لا زلت أذكر هذا فأنا لست كبيراً جداً لأنسى!"

تناول جورج حقيبة وأخرج منها بعض الصور الشرائح. أخذها غابرييل وتوجه إلى النافذة ممسكاً بها أمام الضوء ليراها جيداً. كانت لوحات لنساء شبه عاريات ونساء عاريات بشكل فاحش بأسلوب مرحلة ما قبل رفائيل، حيث الشعر ممزوج ومنفوش في لوحات من هنا وهناك.

" إذن أنت تمارس الآن ميولك في مجال العلاقات العامة؟"

-" ما الذي تقوله غابرييل؟ " سألته أمه ثم التفتت إلى جورج قائلة:" إنه دائماً يتفوه بأشياء غريبة ومضحكة."

-" ما قبل رفائيل." قال غابرييل " ولكن هناك الكثير من الألوان"

-" هل تعجبك؟" سأل جورج

-" أحب التمعن بالأشياء" أجابه غابرييل

-" هل تحب الفتيات؟"

-" أحياناً."

-" لديك صديقة؟"

-" كان لدي خمس صديقات، أما الآن فليس لدي أحد."

-" ولماذا؟"

-" لم يسمح لي الوقت بأن أنشئ علاقة لها معنى."

-" جورج لا تغيظه، جورج يعمل في إيطاليا. في قلعة تقع على تلة. لقد دعانا إلى هناك ويمكننا أن نبقى بقدر ما نرغب." قالت الأم

Twitter: @ketab_n

-" وادي التيبر لا يبعد كثيراً عن الموقع الذي يسقط فيه الجيوتو على رؤوس الكهنة. غرائب الخالق على ما أعتقد. المنطقة التي أعيش فيها مليئة بالفنانين والكتاب. مساء عندما تهدأ ضجة النهار نجلس في الساحة الصغيرة. يضع نجار الحي شاشة ونعرض أفلاماً تحت السماء ونحن ندخن ونشرب ونتجادل حتى آخر الليل."

هز غابرييل رأسه.

-أشار جورج إلى الجدار." يبدو وكأن بعضاً من هذه الصور القديمة بقيت معلقة هناك منذ فترة طويلة. من هذا الفتى الآخر؟"

-" لقد توفي منذ زمن بعيد، كان توأم غابرييل." ردت الأم.

-" يا إلهي إذن كان هناك اثنان منهما؟" قال جورج

-" نعم كان" أجابته الأم ثم تابعت وهي لا تكاد تنطق الكلمات: "أما الآن فلم يعد ".

-قال غابرييل:" ألفيس كان له أخ توأم. ثم اندمجا وصار بضعف حجمه."

-"حقاً؟" ثم التفت إلى كريستين وسألها هل تريدين رسماً لك؟"

-" اوه نعم." أجابت الأم

-" غابرييل وأنت ؟"

-" على أن تتناسب مع لون ورق الجدران"

ضحك جورج

قال غابرييل:

- " هل ترسم أم تزين؟"

تبدل لون جورج. نظرت الأم إلى غابرييل ثم قالت له:

Twitter: @ketab_n

-" أعتقد أنه يجب أن نتحدث قليلاً."

-" أنا جاهز."

-" كريستين، ألم نكن ذاهبين لتناول الفطور ؟"

-" حسناً" ثم التفتت إلى غابرييل:

-" لم أكن أعني حالاً، عليك أن تذهب إلى المدرسة الآن، سوف نتحدث مرة أخرى."

-" سأسجل هذا في دفتري." أجابها غابرييل.

-" إنه طويل اللسان." قال جورج ثم تابع:

-" لو كان عندي شريط لاصق لأطبقت شفتيه به "

-" نعم كفى الآن غابرييل."

-" كفى ماذا ؟"

-" كفى من أي شيء تحاول فعله."

عندما غادر جورج البيت بصحبة أمه- وكان غابرييل يراقبهما وهما يبتعدان يتحدثان ويضحكان - عاد إلى نسختيه. كان مسروراً بالعمل الذي قام به لقد حقق ما كان ينوي عمله.

ولكي يحتفل، أخذ المسجلة الكبيرة إلى الحديقة وضعها على سور الحديقة وبدأ يغني ويرقص إلى أن وقع أرضاً.

بعد ذلك أخذ إحدى النسختين، لفها بعناية ووضعها تحت سرير والدته ثم أعاد القفل. ثم وضع النسخة الأصلية في خزانة لا يستعلمها أحد مليئة بألعاب وكتب قديمة.

ظن أن أمه لن تلقي نظرة تحت السرير بما أنها مشغولة جداً بعملها وبجورج وبأصدقائها.

Twitter: @ketab_n

في ذلك المساء دخلت غرفته.

-" أعلم بأنك قلق على صورتك الغالية يا ملاكي، لكنني أتيت إلى البيت عندما كنت في المدرسة أخذتها من مكانها الذي وضعتها فيه وأخذتها معي إلى العمل."

-"إلى البار؟"

-" لكي أريها للناس."

-" لكي تتباهين." همس

-" عفوا؟"

-" وهل أحبوها؟"

-" قالوا بأنها رائعة."

-" والألوان... هل أثنوا عليها؟"

-" أخبرتهم أنني صممت للبستر بنطالين، وحدثتهم عن الأشخاص الذين كنت أتسكع معهم في المقاهي والمطاعم آنذاك في تشيلسي. معظمهم أصغر من أن يتذكروا أسماء أعضاء الفرقة الذين كنت أعرفهم طبعاً. وكالعادة لم أعط نفسي ما تستحقه.بعضهم اقترح اقتراحاً جيداً حول ما يمكن عمله بالصورة."

-" ماذا تقصدين؟"

-" كيف يمكن الاستفادة منها للحد الأقصى. وبنفس الوقت سوف أخفيها ثانية".

وبدت مرتبكة عندما نظرت إليه وتابعت:

-" لن تبدأ الآن إحدى نوبات المشاكسة والغضب أليس كذلك؟"

-" لا، طالما أنها في مكان أمين، هذا كل ما يهمني. أعرف أنك تعرفين كيف تعتنين بالأشياء."

Twitter: @ketab_n

-" نعم " قالت بنوع من الريبة ثم ودعته.

خفق قلبه بالكبرياء. الجميع ينظر إلى الصورة. لقد كانت تلك النسخة التي رسمها وقد نالت استحسانهم في البار. لقد نجح. لم يشك أي أحد بشيء. الكل سعداء، هو وأمه.

لقد صار بشكل من الأشكال فناناً يقدره الآخرون، مع أنه لا يزال مجهولاً.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثامن

عندما اتصل أبوه ثانية شرح له غابرييل أنه درس الصورة جيداً وفكر بأمرها. وهو مستعد الآن لكي يعيره إياها:

-" سأحضرها لك بعد المدرسة، أستطيع أن أتذكر أين تعيش."

-" إياك أن تتجول هنا وهناك ويبدك هذا العمل الفني. قد تضيعه ! ابق حيث أنت سآتي أنا لآخذها، والآن هل أنت متأكد بأنك درستها بشكل كاف؟"

" حسناً أعتقد أنني.."

قبل أن يكمل غابرييل كلامه كان أبوه قد أغلق السماعة. بعد قليل في ذلك الصباح كان الأب يقف مبتسماً أمام باب البيت.

سأله غابرييل وهو يسحب الصورة ويقدمها لأبيه:" ماذا ستفعل بها؟ " كان غابرييل يشعر بالذنب والاعتزاز في نفس الوقت.

" سأعلقها على الجدار! غابرييل أنت ملاكي!" بسط الأب الصورة ونظر إليها:" أراها الآن حتى أفضل مما أذكرها."

قبل أبوه الصورة.

قال غابرييل:

-" ألا تريدني أن أساعدك في تأطيرها وتعليقها؟"

Twitter: @ketab_n

-" لا شكرا."

-" ولكن ليس لديك مطرقة".

-" لا تقلق بهذا الشأن - سأتدبر أمري."

-"ولماذا أنت مستعجل هكذا؟ ألا تريد أن نتحدث قليلاً؟

-" في ما بعد. يبدو أن الأمور بدأت تتحسن.إلى اللقاء".

راقب غابرييل أباه وهو يبتعد على دراجته والصورة في سترته.

لم يتصل به مجدداً، وفكر أن أباه لا بد مشغول بترتيب حياته الجديدة. على أية حال، بعد بضعة أيام قامت هانا بتعليمات من أمه باصطحاب غابرييل إلى بيت أبيه حيث كان عليه أن يمضي وقت ما بعد الظهيرة.

بدت هانا التي وقفت أمام الباب الخارجي بردائها الأسود الفضفاض وحذائها الثقيل وقبعتها كأنها شخص آت من عصور أخرى. ولكنها تتمتع بكبرياء عربي، وباحترام الذات، فكر غابرييل. صار الناس الآن وحتى الأكبر سناً يشبهون فرقة متسلقي جبال تائهة بثيابهم الخفيفة والمناسبة لكل الفصول والمغطاة بالجيوب والكتابات والعلامات.

" هيا تعالي" قال لها وهو يساعدها على نزول الدرج وانتبهي جيداً لئلا ألتقي في الطريق مع أي تاجر مخدرات. نادراً ما ذهبت هانا إلى أمكنة أبعد من الأسواق في الجوار. عندما أخذها غابرييل إلى موقف الباص ورآها حذرة ومتنبهة أمام جموع الناس اللامبالين وتعدد لغاتهم، صار يتحدث إليها دون توقف. وكانت هي لا تزال مصرة على إمساك يده. لا لكي تقوده كما استدرك وإنما خوفاً من أن تضيع.

عندما رأى ما حوله من وجهة نظرها هي ـ بدا له لوهلة أنه من

Twitter: @ketab_n

الأفضل أن يتخيل بأنه في كلكوتا ـ لاحظ أن الحافلة التي كان عليهم أن يستقلوها بصعوبة لا تتوقف إلا عند إشارات المرور إذ يبدو أن سائقها لم يجد أي سبب آخر للإبطاء، وكان يقودها رجل ممسوس لا يتوقف إلا عندما يصرخ أحد الركاب طالباً ذلك، بينما الآخرون يستمعون إلى الموسيقى بسماعات يضعونها على آذانهم، أو يتحدثون بصوت عال على هواتفهم النقالة، وما تبقى من الركاب كانوا يدمدمون بين حين وآخر. انعطفت الحافلة عن مسارها المعتاد بسبب ورشة صيانة الطريق وبدا أنها اتجهت إلى غرب لندن بينما كان الركاب يصرخون في كل مرة يرون فيها إشارة كتب عليها "تحويلة".

كانت هانا تفتقر إلى الليونة في حركتها، وعندما صارا في الشارع كانت تتلكؤ في سيرها وتكاد تتعثر بينما كان كل الآخرين يسرعون مع تيار المشاة، وكان أي تردد يمكن أن يوقعها فتداس بالأرجل. حاول غابرييل أن يقف بينها وبين هذا الاحتمال.

في الوقت الذي وصلا فيه إلى منزل أبيه بدا عليها الانهاك. ولكنها عندما سمعت أناساً يتحدثون بلغتها وهم يهمون بالدخول أشرق وجهها وبدأت تتبعهم إلى الداخل فطلب منها غابرييل أن تبقى حيث هي.

-" لماذا-؟" سألته

-" قد يكون أبي بمزاج سيء" شرح لها

تراجعت حزينة. لم يرد غابرييل أن ترى أباه خوفاً من ألا تستطيع مقاومة إخبار أمه بأنه كان يشرب البيرة، محاطاً بصحون السجائر والأطباق القذرة وممتلكاته الوحيدة وهي صورة أحد نجوم الروك القدامى.

Twitter: @ketab_n

أخذها إلى موقف الباص ورافقها إلى الداخل وطلب من أحدهم أن يخبرها متى عليها أن تنزل من الحافلة. ثم عندما بدت مضطربة وكان سعيداً بأنه لم يكن في مكانها انحنى وقبل وجهها. كانت يدها في يده فردت له القبلة بامتنان. لوح لها وهو يقف على الرصيف وابتعد وجهها الخائف واختفى في الطريق.

أخيراً وجد نفسه يدفع باب غرفة أبيه.

-" ها هو الابن قد جاء ! صاح الأب بمرح كان مستلقياً في السرير بكامل ثيابه ما عدا البنطال يقرأ الصحيفة. " الغالي الصغير!"

-" أنت مبتهج اليوم." قال له غابرييل " ماذا سنفعل؟ إلى المتحف أم السينما ؟ هناك فيلم أرغب برؤيته." ثم وضع يده في جيبه وتابع لا تقلق لقد أعطتني أمي بعض المال"

-" لماذا ؟- هل تعتقد بأني لا أملك أي مال؟"

-" إنها تعرفك أبي"

-" وتعتقد بأني عديم الفائدة. إذا كنا سنذهب إلى السينما فيمكننا ذلك، يمكننا أن نذهب إلى أي مكان نريد - تقريباً."

-" وكيف ذلك؟"

-" سترى ، أعطني بنطالي، هل لاحظت بأنه جديد؟"

كان غابرييل يبحث حوله:

-" أين صورة ليستر؟"

نهض أبوه بنشاط ولكنه انزلق فوق بضعة زجاجات بيرة ثم عاد إلى السرير.

ساعده غابرييل على النهوض وقال له:

Twitter: @ketab_n

-" على مهلك أبي، وفر سقوطك لخشبات المسرح."

-" عندما سأعثر على الأرض وعلى حذائي سأريك أين هي الصورة."

-" هل علينا الذهاب إلى مكان ما لنجدها؟ لقد قلت لي بأنك ستعلقها على الجدار."

-" إنها على الجدار، ليس هذا الجدار بالضرورة ولكنها حتماً على جدار، الجدار هو جدار أليس كذلك؟ أم أنك متطلب فيما يتعلق بجدرانك؟"

-"أجل أنا متطلب فيما يتعلق بها، وأنا أحب أن تعلق ممتلكاتي على جدران أعرفها."

-" هل تريد رؤيتها أم لا؟"

-" صرت أقل حماساً الآن."

كان الأب يرتدي بنطاله:

-" يا لله مزاجك بائس."

-" لقد وضعتني أنت في هذا المزاج ".

-" ستكون بأحسن حال بعد قليل. هل لديك أي حشيش؟"

-" أبي لقد توقفت عن ذلك."

-" هل أجبرتك أمك على هذا؟"

-" لقد جعلني الحشيش أهلوس، صرت أرى أشياء غريبة. كراس وأشياء أخرى."

-" أجل لقد أصبت بذلك في شبابي. مع أنه لم يكن هناك كراس. ما كنت لأريد ذلك. كراس؟ وهل تعاطيت الحشيش الذي تحصل عليه من المدرسة أم الذي أزرعه في البيت؟"

Twitter: @ketab_n

-" من هذا وذاك. كنت أفقد توازني وأحياناً أشعر بأنني لن أصحو أبداً، كما لو أنني..."

-" هيا الآن لدينا عمل نقوم به."

عندما خرجا لاحظ غابرييل الرجل ذا الخف المعوج الذي هدد أباه يتكئ على الحائط. أومأ برأسه وهما يمران كما لو أنه يعرف كل شيء عنهما.

بعد أن سارا مسافة قصيرة أوقف الأب دراجته ووضع عليها القفل وسارا باتجاه مطعم هامبورغر يعلو واجهته ضوء نيون مكتوب عليه اسم المطعم:" سبليبتز"

الفتاة التي كانت واقفة بالباب بدت وكأنها صديقة الأب وهي تحييه وتقبله على وجنتيه.

-"أي نوع من الأمكنة هذا؟ ما الذي نفعله هنا؟"

-" سبيدي مدير المكان وصاحبه هو صديق قديم من أصدقائي. كان من المقربين إلى الفرقة. عندما كنا نذهب في جولات كان يطهو لنا الطعام. كان بطيئاً جداً لأنه كان لا يستطيع التوقف عن الكلام ولذا سمي سبيدي أي السريع. انظر إليه الآن يمرغ قفاه الطري الهرم بالكريما بينما نحن بالكاد تكسونا أي كريما!!!"

نظر غابرييل إلى سواح وشبان يمضون النهار في لندن يأكلون الهامبورغر الكبيرة ككرة ركبي، والمثلجات المكسوة بالكريما التي تملأ الصحن وكأنها جبل جليدي.

" ولكن أبي..."

قال الأب:

Twitter: @ketab_n

-" هاي سبيدي."

كان سبيدي يسرع باتجاههم، رجل في أواسط العمر له وجه شاب أميل للشحوب. أسنانه جميلة ويرتدي الثياب التي يرتديها المراهقون الأمريكيون.

-" هذا هو ابني." قال الأب

-" وأخيراً." قال سبيدي ثم أخذ يد غابرييل بيده ذات الأظافر المطلية وربت عليها. " إنه أشقر، وأشقر جميل وهذه الوجنات إنها ذباحة! من أين له بها ؟"

-" ليس مني طبعاً." أجابه الأب.

-" وصديق ليستر كذلك! بإمكاني أن أفهم لماذا."

ضحك سبيدي دون أن يصدر صوتاً فاتحاً فمه ودافعاً رأسه إلى الأمام فوق عنقه المجعد. أدرك غابرييل أن سبيدي كان يضحك دائماً بحكم المهنة، وتلك الوضعية كانت الأقل انهاكاً.

-" كيف حال العزيز ليستر." سأل سبيدي

لاحظ غابرييل وهو يتفحصه عن قرب أن رأس سبيدي يبدو وكأنه نموذج مصغر، لملامح ذبلت عبر السنين.

-"المتمرد اللطيف نفسه" قال الأب ثم أردف:" أخبرتك بأنني كنت قد رأيته منذ بضعة أيام عندما أعطاني ذلك الشيء... كما أخبرتك".

-" الشيء ؟"

-" الشيء المعلق على الجدار".

-" نعم، نعم ذكرتني، لدي ما أخبرك به، انتظرني دقيقة".

" باخوس بوجه مشدود " همس الأب بينما اختفى سبيدي فجأة ليستقبل وجهاً جديداً بشفتيه

Twitter: @ketab_n

عندما عاد قال سبيدي:" تعالا إلى طاولة العمليات."

صعدا درجاً ليصلا إلى طاولة وضعت في علية يراقب منها المكان، مغطاة بأوراق ومجلات وبطاقات دعوة وأقراص كومبيوتر، أحضرت لهما نادلة الحليب بالفواكه وبيرة.

" والآن " قال سبيدي وهو يفرك يديه معاً سأريكما. " فرغ صبري قال الأب.

- " أنا لم أرها بعد لم أرغب بالنظر إليها في غيابك".

-" سوف تعجبك " قال سبيدي،" فهذه الصورة جيدة !"

-" عفواً؟" قال غابرييل

-" هدوء " قال الأب وهو يتناول كأس البيرة " انتظر من فضلك غابرييل وسترى." ثم قال لسبيدي " إنه لا يتحلى بالصبر."

-" هذا أفضل، ولو سألتني فليس هناك ما تكون مضطراً لانتظاره يستحق الحصول عليه."

توجه غابرييل إلى جدار علقت عليه أقراص ذهبية وسترات حفلات، قد يكون بعضها من صنع أمه. كما كان هناك صور فوتوغرافية وشاب يلبس ثياب يوم السبت المبهرجة، يهدد شباناً كانوا أبطالاً مرة بنظر فتية آخرين.

كان هناك صور لفرق أمريكية ولأفلام، صندوق موسيقى قديم، وعصارات فواكه قديمة وأرانب تتزاوج في إناء زجاجي يدور باتجاه عقارب الساعة.

على عمود داخل إطار فضي كبير وجهّ إليه ضوء علقت اللوحة وكتب تحتها " عمل فني حديث - ليستر جونز - رسم ليستر.

Twitter: @ketab_n

لقد اكتسبت أيضاً عنواناً جديداً:" إلعق الصحن نايجل"، هكذا سموها لسبب مجهول.

كان ذلك هو معرض غابرييل الأول: لأول مرة يعلق عمل فني له ويراه الناس. لكن غابرييل ما لبث أن شعر بنوع من عدم الارتياح وخامره شعور بأن الفن يمكن أن يظهر أسوأ ما عند البشر.

-" إنها معلقة بشكل جيد أليس كذلك؟ إنه عمل فني." قال سبيدي

رد الأب وهو يحيط سبيدي بذراعه:

-" عمل فني رائع".

-" طبعاً كل شيء في سبليتز هو فن، وأصلي" تابع سبيدي ثم أضاف:" لكن هذه أصلية أكثر من بقية الأشياء الأخرى والتي هي أصلية أيضاً، إنه شيء مدهش. هنا، ومعنا غابرييل" قال سبيدي وهو يلتفت إلى الفتاة لتي تحمل الكاميرا والتي حيتهم قرب الباب.

صورت غابرييل وسبيدي والرسم معاً وبما أن الأب أراد أن يكون هو كذلك بالصورة فقد صورت الأب وغابرييل والرسم معاً.

قال الأب:

-" هل ستضع إحدى هذه الصور هناك سبيدي؟"

-" قد أفعل إذا كانت الصور جيدة."

-" لديك الكثير من الصور. ما تحتاجه هنا هو رسم بالأسلوب القديم لك وأنت تنظر بروعة وجمال وجدية." قال الأب

-" هذه فكرة رائعة يمكن لأي كان أن يتصور ولكن من أين أحصل على رسم لي ؟" قال وهو يتخذ وضعية أخيرة :

Twitter: @ketab_n

-" ابتسموا الآن مرة أخرى يا شباب."

خلال هذا الحوار بقي غابرييل صامتاً لا يحول نظره عن رسمه.

كان يعلم بأن ليستر سيشعر بالخيانة حين تعرض هدية شخصية قدمها له دون أن يؤخذ رأيه. ليس هذا فقط في الليلة التي زحف فيها غابرييل إلى غرفة أمه وأخذ الصورة من تحت السرير وبقي مستيقظاً فإنه لم ينسخ الرسم كما هو تماماً. بل قام في الواقع بتحسينه قليلاً هنا وهناك وأضاف بعض الألوان والخطوط وعدة زخرفات تجريبية. قد يقول ليستر إن معظم الفن هو سرقة. وليم بورو قد يكون كتب بأن كل اللوحات مزيفة. ولكنهما لا يعنيان هذا حرفياً. قد لا تكون اللوحة ذات أهمية خاصة ولكن غابرييل قام بتزوير توقيع ليستر- وربما بشكل متقن.

امتهان الجريمة ممكن بالنسبة له لو لم يكن شديد الحساسية. واتضحت له الحقيقة لقد وقع غابرييل في مشكلة جدية ليس مع سبيدي وحده بل مع أهله ومع ليستر، ولكن ماذا عن الشرطة. تلك كانت غلطة آرشي. آرشي هو الذي قاده إلى فعل ذلك. لو لم يكن آرشي ميتاً لقتله غابرييل بنفسه.

تابع سبيدي كلامه:

-" أنتم لا تعرفون أيها الشبان - صار الناس يأتون إلى هنا لرؤية اللوحة. معجبو ليستر الحقيقيون ذوو الشعور الحليقة حسب تقليعة السبعينيات. المشكلة هي أن ليستر كان شديد النحول في تلك الفترة فصاروا لا يأكلون بالقدر الذي أرغب. ومزيد من الأخبار السعيدة إحدى الصحف اليومية قد تكتب قصة عن اللوحة، ما رأيك في هذا غابرييل؟"

-"غابرييل، انتبه لما يقوله" قال له أبوه

Twitter: @ketab_n

-" هذا رائع رائع جداً" أجاب غابرييل

تابع سبيدي:

- " قد يستخدمون إحدى الصور التي التقطناها الآن! سوف يندهش زملاؤك في المدرسة كثيراً ! ألست مسروراً؟"

-" بلى أنا مبتهج"

-" ولكنك هادئ كذلك "

-" صحيح"

فرد الأب:

-" نعم إنه هادئ جداً."

-" هذا جيد، هكذا يجب أن يكون الفتى." قال سبيدي

-" لست صغيراً جداً." قال غابرييل

-" لا، لا، طبعاً لا، فسنينك تبدو عليك."

-" صحيح " قال غابرييل

-" ألم أقل لك أن سبيدي لطيف؟" قال الأب

-" أجل"

عندما عادا إلى الطاولة أخذ غابرييل الجعة التي كان أبوه يتناولها وشربها. لكزه سبيدي على كتفه " ما رأيك؟"

" أنا فخور جداً...بليستر" أجاب غابرييل

" حسن، حسن، وأنا أيضاً." رد سبيدي

" قل الحق ألست راضياً؟ " سأله أبوه ثم استطرد:" يمكن لأي كان أن يراها الآن، إن هذه ديموقراطية، أليس كذلك؟ وطبعاً يمكنك أن تأتي وتجلس هنا وتنظر إليها في أي وقت تشاء."

Twitter: @ketab_n

نظر غابرييل إلى سبيدي وسأله:

-" هل يأتي ليستر إلى هنا ؟"

-" طبعاً، طبعاً لقد كان هنا قبل بضع سنوات، ولكني لا أستطيع القول بأنه زائر منتظم."

تنهد غابرييل بارتياح.

-" ولكن أصدقاءه يأتون. يتفقدون الأشياء الخاصة به هنا."

عندما طلب طعاماً لأبيه ومزيداً من الشراب لاحظ سبيدي وجود مقدم برامج تلفزيوني ومذيع مباريات يقفان في مدخل المطعم فترك الطاولة وتوجه إليهما. حاول غابرييل أن يتنفس بارتياح أكثر ويستوعب فداحة ما حدث.

-" أنت صامت" قال له أبوه. كان يشرب ويأكل بسرعة. قال وخداه منتفخان" هذا مجاني"

-" هكذا ؟ أنا أفكر"

-" الحمد لله على هذا. إن عينك ترف. هل تعرف لماذا ؟"

-" هل حصلت على سعر جيد للوحة؟"

-" عفوا ؟"

-" هل حصلت أبي؟"

لاحظ غابرييل ارتباك أبيه. لم يكن ينوي أن يزعجه. والواقع أن غابرييل كان يفكر أنه على الرغم من كل شيء فقد حصل على كل ما يريد. فلدى أمه صورة ليستر ؛ وسبيدي كذلك، وغابرييل عنده الصورة الأصلية في غرفته، وأبوه حصل على بعض المال.

ثم فكر لا، ليس ما توقعته أو أملت به، إن سبيدي داهية، ولكن ما حصلت عليه أفضل من لا شيء. انحنى الأب فوق الطاولة:

Twitter: @ketab_n

-" قد يكون العيش في بعض الحالات أكثر أهمية من المفاصلة على قطعة ورق"

-" ما الذي ستفعله بالمال؟ هل ستشتري شقة في بناء ما؟"

-" شقة؟ ربما مرحاضاً، أو نافذة- دون ستائر " قال أبوه ضاحكاً بسخرية

-" كم من الوقت سيبقى المال معك؟"

-" لقد وفرت بعضه لك، ولم يبق إلا القليل."

-" أين ذهبت به؟"

-" طعام، شراب، إيجار السكن وهي مبالغ كبيرة. الأسعار باهظة هنا. لقد كانت أمك دائماً هي المسؤولة عن الأمور المالية. لم يكن لدي فكرة عن الأسعار."

-" وماذا ستفعل الآن؟"

-" لقد استدنت المزيد من ذلك الرجل. لم يكن لدي خيار. وأي شيء آخر كان يمكنني أن أفعل؟"

-" وكيف سترد له المال؟"

-" حقيقة لا أعرف، لقد تشاجرت مع صاحب البيت وطلب مني أن أترك المكان. سينتهي بي الأمر نائماً على الأرصفة. وإذا بحثت عني فستجدني أعزف في محطات المترو أغنية" شوارع لندن" أخشى أن تكون تلك نهايتي يا ملاكي."

-" ألا تستطيع أن تتشارك بالسكن مع شخص آخر؟"

-" إلى متى؟ على كل الأحوال الزوجات لا يرغبن بي"

-"لماذا؟"

Twitter: @ketab_n

-" يقلن بأن تأثيري سيء! أنا! لقد عرفت هؤلاء الناس لسنوات طويلة وهن لا يرغبن بي في منازلهن! اسمع بني كل ما يريده الرجل مع الزمن هو قليل من السلام. ولسوء الحظ فإن أكثر حالات الذهن هدوءاً تأتي من السعادة، وأنا بعيد، بعيد جداً عنها. على أي حال أعتقد أنه لا ينبغي علي أن أحملك هذا العبء. هل تقابل شخصاً آخر؟"

-"لا أعتقد ذلك".

-" إنها إذن.."

-" لا، لم أقل ذلك"

-" بل قلت. أهو ذلك الرجل الذي كان في المنزل يوم اتصلت؟ هل تقابله دائماً؟ هل ينام في السرير الذي كنت أنام عليه؟ هل يضع رأسه على وسادتي؟ "

تنهد الأب ثم قال:" أنا آسف لطرحي مثل هذه الأسئلة. كيف يمكنك أن تعرف على أي حال؟"

-" أعرف، لقد كنت تحت السرير."

-" كنت ماذا ؟"

-" أنا أمزح أبي."

انحنى الأب إلى الأمام مكشراً وواضعاً يديه بين ركبتيه.

-" أنت تثير جنوني غابرييل، يا إلهي، وهل سينتقل للعيش في بيتي؟ هل سيأخذك أنت أيضاً ؟ يا إلهي غابرييل، أنا حقاً لا أريد أن أعرف. لقد تم إلغائي. كل الناس المقربين إلي خذلوني. لقد خسرت كل شيء، ابتهج."

-" لا أبي."

Twitter: @ketab_n

-" أتمنى أنه يعتني بها. كم عمره؟ هل هو أصغر مني، وحيوي، هذا ما أتوقعه. يمكنها أن تكون عشيقة جيدة أمك. كانت تغازلني من أذني ووجهي وبقية جسدي وتجعل شعر رأسي يقف. ذلك كان عندما كانت تهتم وتكترث. ولكنها توقفت. كل شيء انتهى وبدأت ترتدي تلك الثياب الداخلية الكبيرة الرمادية. هكذا هو الحب، إنه نار عليك أن تغذيها وإلا فإنه يتلاشى. وحبنا قد تلاشى."

لم يعلق غابرييل بشيء

وقال الأب:" أية فوضى."

أشاح الأب بوجهه فقدم له غابرييل منديلاً مخط فيه.

-" أوه أبي"

-" إذا كنت ستستمر بالتفكير بأني غششتك..."

-" ولكني لا أفعل."

-" بل تفعل، يمكننا دائماً أن نستعيد اللوحة."

" ماذا ؟ كيف؟" سأل غابرييل

-" لقد قال سبيدي أنه يمكنني شراؤها منه إذا غيرت رأيي."

-" لكن من أين لنا المال؟"

-" سيكون علينا أن ندفع له أكثر قليلاً لدى سبيدي إحساس سليم حول عدة أشياء، والربح هو أولها. لا زال لدي بعض من آلاتي الموسيقية لدى أحد الأصدقاء. سوف أبيعها. وكذلك الدراجة."

-" أنت تحتاج لهذه الأشياء"

-" ولكن لماذا قد نحتاج لاستعادة اللوحة؟ حتى لو كان لدي المونااليزا في غرفة الجلوس فلن أنظر إليها طوال الوقت. المسألة تتلخص بأنني لا أعرف كم من الوقت يمكنني تحمل وضعي هذا."

Twitter: @ketab_n

-" وقت لأي شيء؟"

-" صدمات القلب، بدأت أفقد الأمل. أنا أحتاج لكل مصادري ولكني لم يكن لدي يوماً أقل مما لدي الآن. هل تصدق بأنك أنت كل ما لدي! لقد أحببت دائماً أن أكون معك. لماذا لم أتمكن من إنجاز أي شيء في حياتي؟ كنت أفضل قضاء يومي معك بدل أن أعمل أو أن أشق طريق المستقبل. ولو سألني أحدهم من هو أفضل صديق لك لكنت قلت له أنت. يا إلهي!"

-" أبي، أبي... لا تبك"

-" لنخرج من هنا لا أريد سبيدي أن يراني هكذا خائراً"

-" صحيح"

عندما أنهيا طعامهما وكانا على وشك الرحيل جاء سبيدي إليهما.

-" لقد نسيت أن أخبرك هناك شاباً هو ابن أحد أصدقائي منتج السينما جاك أمبلير. الرجل الذي صنع فيلم " يوم سبت بلا نهاية" وكل تلك الأشياء العظيمة الأخرى"

-" نعرف، نعرف " قال الأب وهو يمسح عينيه

-"ذلك الفيلم هو أحد أهم الأفلام. الطريقة التي أخرج فيها ذلك القسم المتوسط من الفيلم واستخدام الموسيقى..."

-"جاك يحب الكعك الذي نحضره هنا. هل أكلتم منه؟ غير مسموح لي أن أقم له المثلجات إنه مدمن عليها. ابنه يعمل ضمن فريق وتمكنوا مؤخراً من توقيع عقد تسجيل وما إلى ذلك، ولكنه ليس عازفاً ماهراً جداً. عند حد معين تجده قد ضعف. أنت تعرف ما الذي أتحدث عنه ريكس. كنا أنا وجاك نتناول ليستر بالنميمة ومر اسمك معنا. لقد

Twitter: @ketab_n

رآك جاك تعزف مرات عديدة. وقد قلت له " ريكس يتردد إلى هنا بشأن عمل ما. لقد ساعدني ريكس في بداياتي."

-" هل قلت له ذلك؟"

-" نعم، ألا تذكر منذ سنوات قلت لي مرة بأني سأصبح الأكثر نجاحاً في مجموعتنا."

-" هذا صحيح، وأنت بالفعل كذلك، أنت أحد الكبار... كبار المليونيرية في هذا الزمن."

-" لطف منك أن تقول هذا ريكس."

-" لماذا؟ هل تعتقد بأن كل من عرفتهم تقريباً لديهم من المال أكثر مما لديك؟"

-" ربما يتعلق الأمر بكونك لا تعمل ريكس."

حاول غابرييل أن يخفي ابتسامته. تابع سبيدي:" اسمع، جاك يعرف، ولست أنا من أخبره بذلك، بأنك من المميزين. وقلت لنفسي أنت لا تمانع الذهاب إلى منزله وتعليم ابنه بعض هارمونيات ألحان الروك..."

-" لا أعرف كيف أفعل ذلك " قال الأب " كما تعرف لم يعد الناس يستعملون الآلات الموسيقية اليوم، كل شيء صار يعتمد على الكومبيوتر. إضافة إلى ذلك أنا مشغول جداً هذه الفترة."

-" واو، ما الذي يشغلك؟ سأل سبيدي ونظر إلى غابرييل وهو يغمز قائلاً: " أفضل تمضية الوقت بالنميمة على البحث عن لقمة العيش."

-" هناك أوبرا ما أعمل عليها حالياً..."

" جاك سيدفع لك، ليس هناك مشكلة حول هذا الأمر. وكلما دفع

Twitter: @ketab_n

أكثر ازداد تقديره لك. ألا تسير الأمور هكذا دائماً؟ قال سبيدي وهو يعض على شفتيه." سيكون بإمكانك شراء دراجة أفضل".

-"دراجة؟"

وقف الأب " بإمكان جاك أن يذهب للجحيم، لسنا يائسين كي نبدأ البحث عن عمل يقيم أودنا."

-" بل نحن كذلك." قال غابرييل " ألا تعتقد؟"

خطا الأب نحو الباب.

-" يا إلهي " قال سبيدي." من الذي بال عليك؟"

-" لقد انفصلا هو وأمي " قال غابرييل

هز سبيدي رأسه:" هكذا إذن."

سال غابرييل:" أرجوك سيد سبيدي ما هو رقم هاتف ذلك الفتى الذي يريد دروساً في الموسيقى؟"

-" سوف أعطيك إياه." ثم اقترب سبيدي منه " ولكن فقط إذا وعدتني بشيء. أريدك أن تأتي لزيارتي."

-" أنا ؟ لماذا؟"

-" أوه! أنا أحب الشبان المباشرين الواضحين، يمكننا أن ندردش. أنا أعرف كيف هي الأمور."

-" تعرف ماذا؟ وأية أمور؟"

-" التشويش الذي يتعرض له الفتيان في مثل هذه الظروف."

-" هكذا إذن، شكراً."

كان سبيدي قد أحضر القلم فقال غابرييل:" سوف أمر لزيارتك."

-" يجب أن تفعل. أنت تعرف أين تجدني. أستطيع أن أضمن لك أن الأمر يستحق زيارة." ثم كتب اسم الفتى ورقم هاتفه على ورقة.

Twitter: @ketab_n

-" شكراً ثانية."

-" بكل سرور لديك أسلوب لطيف أراك قريباً". قال سبيدي

كان سبيدي يبتسم له. تساءل غابرييل حين رآه مبتسماً ما إذا كان يعرف القصة الحقيقية حول لوحة ليستر. لحسن الحظ لم يكن على غابرييل أن يراه ثانية.

جلس في الردهة في مسكن أبيه محاطاً بعدة رجال وكان الرجل ذو الخف المعقوف الذي أدان أباه مالأ يحرك مسبحة خرز طويلة. ومرة أخرى هز رأسه محيياً غابرييل وأباه.

كان الأب قد اشترى عدة علب بيرة في طريقنا إلى منزله. قبل أن يتمكن من الصعود إلى غرفته والبدء بشرب البيرة أخذه غابرييل من يده إلى الهاتف وطلب منه أن يتصل بالمنتج السينمائي.

-" الآن؟ ولماذا الآن " ظل يردد

-" ولماذا ليس الآن؟"

-" إنه رجل ذو شأن. يذهب إلى لوس أنجلوس مع نجوم السينما، أو إلى أمكنة أخرى لن يبقى هنا. "

أخرج غابرييل الورقة من جيبه وطلب رقم الهاتف وأعطى السماعة إلى أبيه.

-" مؤسسة الفيلم العظيم- ألو، ألو.." رد صوت

-" قل لهم من أنت " ألح غابرييل

-" ريكس بانش يتكلم " رد أبي

-" من؟ هل لك أن تقول لي ما الذي تريده تماماً؟"

-" غيتار وأوتار"

Twitter: @ketab_n

-"عفواً؟

لدهشة أبي وخيبة أمله فقد كان يتحدث إلى جاك نفسه الذي أجاب:" أنا مسرور جداً لأنك اتصلت ريكس "

قرب غابرييل أذنه من الهاتف كي يسمع الحديث وكيف كان جاك مهتماً. كان يقول بأنه قد مضى عدة سنوات منذ رأى أباه آخر مرة على المسرح مع ليستر.

" كان ذلك صوتي" قاطعه أبي. " لقد غنينا معاً ليستر وأنا."

-" أمر لا يصدق! لا زلت أستمع لذلك التسجيل إنه في سيارتي، أرجوك هل تستطيع المجيء إلينا بعد الظهر لتساعد ابني ؟"

-" سأفعل " قال أبي ولكنه بدأ يشرح بأنه يعمل على أوبرا جديدة عن إعادة الخلق.

-" أوه" قال جاك شكراً على اتصالك هل أنت متأكد تماماً بأنك مشغول؟"

لكن غابرييل شد على يد أبيه وآلمه إلى أن وافق على إعطاء ابنه الدرس الأول اليوم.

سر غابرييل، وكان هذا يعني بأنه سيرافق أباه كي يتأكد بأنه لن يفسد الأشياء عن عمد.

-" لماذا تزعجني بهذا كله؟" سأله وهو يصعد الدرج عندها لاحظ غابرييل أن أباه قد ثمل عند سبيدي.

-" أحتاج للراحة طالما أنه لدي سرير"

-" الراحة ؟ لكنك لم تفعل أي شيء."

-" رؤية سبيدي تشعرني بالضعف."

Twitter: @ketab_n

قد يكون أبي شاعراً بالضعف ولكن قرب سريره كان هناك صندوق برتقالي فيه أوراق ملتفة، ونظارات ودفاتر ملاحظات. رفس أبي الصندوق.

-" لعنة الله على كل شيء - لن أذهب إلى أي مكان!" ثم تمدد على السرير وأغلق عينيه. على الأرض وعلى مرمى من يده كان هناك علبة بيرة مفتوحة." تصبح على خير، أعتذر عن كل شيء يا طفلي المدلل. أطفئ النور، سامحني وقبلني."

-" لن أقبل تافهاً مثلك"

-" والدك أصبح الآن تافهاً أحمق؟"

-" أنت كذلك." قال غابرييل

-" أتمنى لو كان لدي القوة لأجلدك ! والآن اغرب عن وجهي ولا تغلق الباب بقوة لأن مفصلاته قد تقع وسيكون علي أن أدفع ثمنها! " ثم ابتسم الأب بينه وبين نفسه وصار يغني:" فالهالا... أنا قادم إليك!"

ثم غرق في شخير عميق. كان غابرييل يعرف بأنه لن يستيقظ في الوقت المناسب ليعطي الدرس. تركه ونزل. كل خطوة يقوم بها وتبعده عن المنزل كانت تسبب له القنوط. آرشي كان مضطرباً لم يقل شيئاً، لكنه لم يكن راضياً. أراد غابرييل أن يذهب إلى البار حيث تعمل أمه ويطلب منها أن تخرج أباه من السرير. لكنها غير مستعدة لذلك. لقد سئمت منه وتخلت عنه. وكذا الآخرون.

انتظر غابرييل في موقف الباص. سيبدأ بالعد حتى المئة، وإذا لم يأت الباص فسيعود. بدأ بالعد، شرد ثم أعاد الكرة، وقرر أخيراً أن يقوم بذلك بشكل عكسي. جاء الباص صعد إلى الطابق العلوي. لم

Twitter: @ketab_n

يستطع العودة إلى البيت أو التفكير بشيء آخر. كان الباص قد بدأ يسرع عندما قررغابرييل أن يقفز، فوقع وتأذت ركبته ويداه. ومر بذهنه بشكل سريع كيف أنقذه أبوه منذ بضعة أشهر عندما كان في " المقر السري".

عاد وركع عند سرير أبيه وصار يتحدث إليه. كان يبدو مرتاحاً جداً لأول مرة منذ شهور فلم يشأ غابرييل أن يزعجه.

-" انهض، يمكنك أن تنام في ما بعد."

ربت الأب على وجه غابرييل وقال له:" الآن هو " في ما بعد" كنت أحلم بأنني في مطار، لكنهم لم يسمحوا لي بالصعود إلى الطائرة فصرت أبكي. على الأقل أنا لا أشعر بالبؤس عندما أنام "

-" هل تعرف ما الذي تقوله أمي؟"

-" ومن يبالي؟ بما تقوله؟"

-"تقول بأنه لا نفع منك، وأنك ضائع، وكسول وبليد. أي مستقبل سيكون لي وأنا أتطلع إليك جالساً على مؤخرتك تشرب طول اليوم؟"

-" هل قالت ذلك؟"

-" تقول بأنها لا تستطيع أن تراك إذا كنت ستحبطني بيأسك ورثاء ذاتك."

-" أكيد أنها تقول هذا، فهذا ما يقوله الجميع."

-" أنا لا أقوله، لو لم يكن لي أب حقيقي يرعاني فمن الذي سيعتني بي؟ لا زلت أحتاج لك أبي. أريدك أن تفعل هذا من أجلي."

-" وما هذا ؟"

-" أن تذهب إلى جاك كما رتبت."

Twitter: @ketab_n

-" أنا لست في مزاج جيد لذلك، أنت تعرف حالي غابرييل."

-" سوف تتحسن عندما تصبح هناك. نحن نحتاج إلى المال..."

-"و لماذا يبدو عليك القلق؟"

-"حماقتك تسبب لي القلق! أعطني مشروباً."

-" هيه، ضع هذا من يدك ! إنه المشروب الأقوى سوف تتقيأ ! على مهلك أيها الصغير. لا أحب أن أراك بهذه الحالة."

-" إذن لن أغادر قبل أن تنهض."

-" حسناً، حسناً، هكذا إذن، ضع البيرة من يدك."

-" انهض إذن."

-" انتظر..."

نظر غابرييل إلى أبيه ينهض ببطء وكأنه يكتشف للمرة الأولى بأن له جسداً. عندما وقف على قدميه ارتسمت على وجهه علامات الرضا.

بدأ أبوه يلقي بثيابه هنا وهناك.

-" ساعدني يا بني على إيجاد شفرة الحلاقة. لن أجز عنقي، مع أنني كنت أفكر بذلك في الأيام الماضية. سأحلق ذقني. أنت الشخص الوحيد الذي يمكن أن أفعل ذلك من أجله. لن أقبل أية أوامر من أي شخص آخر!"

ذهب غابرييل إلى الصالة ليستعير مكواة، ثم قاما معاً بكي قميص الأب، وهما يمسكان به ويرتبان الأكمام ويلفانها كمكتشفين عثرا على شيء لم يسبق أن رأياه.

-" من الأفضل أن تنظف أسنانك." قال غابرييل

-" رائحة فمي كريهة؟"

Twitter: @ketab_n

-" لقد كنت تشرب ورائحتك كرائحة السمك."

-" هذا الروك اند رول"

-" لا ليس اليوم "

كيف تشعر الآن ؟" سأله أبوه

-" أحسن قليلاً."

غادرا الشقة قبل الوقت المحدد بكثير كي يمنح أباه وقتاً إضافياً احتياطياً كما كان يفعل أبوه عندما كان يرافقه إلى المدرسة. وهذه المرة ذهبا سيراً على الأقدام مع أن أباه كان يحمل الغيتار لكن المكان لم يكن بعيداً.

كان أبوه يتشكى طوال الوقت ويتذمر مثل فتى نكد.

-" لماذا يرغب أي شخص أن يتعلم الغيتار؟ العزف هو لا أكثر من لعب. لقد تعلمت أنا نفسي من التسجيلات."

-" على مهلك في ما يتعلق بفلسفة الأمور." اقترح غابرييل " تذكر دائماً الجنيهات الخمس."

-" المال ليس كل شيء. كل ما هنالك أنني لم أكن بحالة جيدة في الأيام الأخيرة."

-" ستقول لي بأنه كان لديك ألم في البطن."

-" المرء لا يتعلم إلا ما يريد أن يتعلمه، تماماً كما أنك لا تستطيع أن تجبر أحداً أن يأكل."

أجابه غابرييل بسرعة:

-" ربما يمكنك أن تعرفهم على أطعمة لم يسبق أن أكلوا مثلها."

شجع هذا الجواب الأب ولكن غابرييل كان يرى أن كبرياءه قد مس إذ يضطر لممارسة مثل هذا العمل. كان يعرف بأنه يفضل أن يرى نفسه

Twitter: @ketab_n

موسيقياً لامعاً. بينما التعليم هو موت إبداع وإشعاع فنان موسيقى البوب. بشكل من الأشكال كان لا بد من إقناع الأب أنه من الممكن أن تعلم وتكون موسيقياً تعزف وتغني في الوقت نفسه.

وقف الإثنان خارج منزل كبير ذي بوابة حديدية، مثل شخصين مهمشين أمام قلعة من العصور الوسطى. أمسك غابرييل الغيتار بيد وبالأخرى أمسك يد أبيه خوفاً من أن ينسل هارباً.

كان الأب ينظر إلى المنزل:" انظر كم هم مترفون وأنيقون، لا بد أنهم ينظفون ثياب نومهم على البخار."

فتحت البوابة اوتوماتيكياً، وصاح صوت آلي صادر من جهاز اتصال داخلي غير مرئي -" أيها الزوار الرجاء ادخلوا الآن."

في ردهة الاستقبال كان هناك صف من الخدم الشرقيين يلبسون ثياباً بيضاء لها أزرار لماعة. تمكن غابرييل أن يرى عليها صورة أبيه معكوسة ومشوهة، بوجهه القلق المضطرب. بعد أن قام رجل يرتدي بذة سوداء بإعطاء التعليمات كان الخدم يقفون وأيديهم متصالبة أمامهم كما لو كانوا عراة ويحاولون إخفاء مناطقهم الحميمية.

نظر غابرييل إلى الدرج المنحني وتخيل امرأة ساحرة تلبس ثوباً أبيض طويلاً تجره خلفها وهي تنزل الدرج. حولهم كان الجميع مشغولين وكأنهم يعملون في كواليس دار أوبرا. المساعدون ومساعدو المنتج كانوا يسرعون بين الغرف الواسعة التي تحتوي أثاثاً من المخمل والخشب المطلي بالذهب، ومليء بالشمعدانات المعقدة. لا بد أنه كان يقام حفل للثياب التنكرية الباهظة بما أن فتيات صغيرات تلبسن ثياب الأميرات وفتيان بثياب قراصنة كانوا يدخلون ترافقهم مربياتهم.

Twitter: @ketab_n

كان كارلو يكبر غابرييل بعامين. جاءت به إليهم- أو بالأحرى دفعت به - امرأة خمن غابرييل من خلال معرفته بالقصص الغوتية بأنها مربية. تخلصت من الفتى كما لو كان شيئاً رمته عنها ولو كان مسموحاً لكانت بلا شك رفسته بقدمهاواختفت بنوع من الارتياح والكراهية.

كان كارلو نحيلاً، كثيف الشعر، وتعابير وجهه عدوانية. يرتدي قميصاً عليه صدفات بحرية وبنطال جينز عريضاً وكانت قدماه حافيتين وقذرتين

" كيف حالك اليوم؟ قال الأب " هذا ابني غابرييل إنه يرتاد مدرسة شابمان العليا هل تعرفها ؟"

-" لا"

-" أي مدرسة ترتاد ؟"

-" لا أرتاد أي مكان... لو كان الأمر بيدي."

ساد صمت ثم أخيراً قال الفتى :" وشم؟"

-" حسن ، أين؟"

-" حول مؤخرتي وعلى خصيتي"

-" هكذا " قال الأب:" هذا أمر مهم ليس هناك كثيرون سيستمتعون بما يجري هنا."

-" اوه وكيف عرفتم ذلك؟"

-" حقيقة أنا لا أعرف، فأنا لست رسام وشم ولكني أعرف العزف على الغيتار قليلاً."

لا شك ان كارلو كان حسن التربية ولكنه كان عاجزاً عن نطق كلمتين متتاليتين دون أن يزمجر ويهمهم بينهما وكان عاجزاً عن النظر في عيني أي كان.

Twitter: @ketab_n

-" من هنا على ما أعتقد " قال كارلو بعد أن كان ثلاثتهم يدورون في المكان. ثم توجه إلى غابرييل قائلاً:" وهل ستأتي أنت أيضاً؟"

-" وهل تريدني أن آتي:" همس غابرييل

-" هذا عائد لك."

ثم بدأ كارلو بصعود الدرج.

همس الأب: " إنها تربية المدارس العامة. خصصت إحدى هذه المدارس للآباء الموهوبين. على الأقل لدى الطبقة العاملة آداب سلوك. ووازع أخلاقي كذلك، أنا أنسحب من هذه المهمة"

انتظر قال غابرييل وهو يمسك بأبيه بكلتا يديه، تعال لنلق نظرة على الأقل.

لحق غابرييل وأبوه بكارلو وصعدا السلم ووصلا إلى غرفة معيشة كبيرة تطل على نهر التايمز. ثم وقف الفتى مديراً ظهره إلى خزانة كتب ودفعها بمؤخرته. عندها انفتحت الخزانة ببطء على بقية الأقسام الخاصة به.

خلف الخزانة كان لدى كارلو ثلاث غرف للثياب ومطبخ وحمام. كان مكاناً غنياً صنعه الفتى لنفسه. بين أكوام الثياب والمجلات والأقراص المدمجة لاحظ غابرييل الكومبيوتر ومجموعة طبول وعدة غيتارات وعلى مبعدة منها بيانو كبير لماع. وكان هناك سلة فيها عدد كبير من نظارات الشمس.

جلس كارلو إلى النافذة مديراً لهما ظهره وهو يحرك رقبته.

" هل تريد أن تعزف شيئاً... على الغيتار؟" سأله الأب أم أنك ترغب بفعل شيء آخر فالأمر لدي سيان" رمق غابرييل أباه فتابع الأب: " افعل ما تشاء فهذا الوقت مخصص لك." جلس ينظر إلى الفتى منزعجاً ومعطفه لا يزال مزرراً.

Twitter: @ketab_n

هز كارلو كتفيه بلا مبالاة.

أدرك غابرييل الوضع. وبدأ يتساءل إلى متى سيحتمل أبوه هذا. إذا خرج فستكون النهاية وستنتهي فرصته في التدريس خلال عشرين دقيقة.

لم يكن لدى غابرييل أية فكرة عن نوع العمل الذي يمكن أن يزاوله أبوه. صحيح أنه كان عازفاً ويمكنه أن يحك أذنه أو ظهره في نفس الوقت الذي يعزف فيه، ولكن هذا لا يعني أبداً أنه قادر على تعليم أي كان ببراعة فائقة.

أخيراً قرر كارلو أن يقول شيئاً:" هل تعرف ما أنت؟"

-" ما أنا ؟" قال الأب " لقد كنت أحاول معرفة ذلك منذ سنين".

-" أنت....أنت.."

فقال الأب:" أنا أنتظر ولكنك لا تمتلك الجرأة لتقولها أيها الرجل الصغير. وإذا فعلت فستزعجني ولكن على الأقل سنرقص ROCK N ROLL "-أنت عرص"

التقط غابرييل أنفاسه ونظر إلى أبيه

قام الأب بفتح غطاء الغيتار وبدأ يعزف ما بدا أنه لحن فولكلوري لطيف

-" ما رأيك؟" سأل الأب.

-" عرص نتن"

كرر الفتى.

-"هيي أنت" قال غابرييل

-" ماذا هناك؟" رد الفتى " هل لديك ما تقوله؟"

Twitter: @ketab_n

-" أبي" قال غابرييل

فقلده الفتى:

-" أبي..."

-" هل هذا أبوك؟ أيها المدلل "

توجه غابرييل بنظره إلى زجاجة كولا موضوعة على الطاولة حرك أصابعه ثم طقطقها. كارلو كان يسخر منهما وينخر. وقف غابرييل وهو يتنفس بصعوبة. فوقف كارلو أيضاً وتحرك كل منهما باتجاه الآخر ووقفا وجهاً لوجه.

" ييه " قال كارلو

" ييه " رد غابرييل

قال الأب:" اجلسا أنتما الإثنان غابرييل وأنت أيضاً كارلو اجلس! والآن ليهدأ كل منكما، المكان هنا خانق".

عندما عاد الصبيان إلى مكانيهما وضع الأب الغيتار جانباً ونظر حوله وعيناه ترفان. لم تكن الأمور تتحسن كما أنها لم تكن سوية.

لقد عزفت تلك الأصابع مع ليستر جونز في حديقة ساحة ماديسون ولثلاث ليال متواصلة. في تلك الأيام قلبوا المكان رأساً على عقب. لا أحد غيرهم كان بمثل براعتهم.

خلع الأب معطفه ووضع زجاجة الكولا في سلة المهملات وأخذ أحد غيتارات الفتى الكهربائية ثم التفت إلى كارلو وقال له:" كارلو قل لي ماذا تسمي هذا ؟"

-" بعض الناس يسمونه غيتار"

بدأ الأب يداعب الأوتار وسمع صوتاً خفيفاً

Twitter: @ketab_n

-" ما هذا بحق الجحيم فأر يبكي ؟" قال الأب

فرفع الفتى كتفيه هازئاً:" سمه ما تشاء لا شيء من هذا يعنيني".

وقف الأب

كان والد غابرييل غالباً رجلاً متوسط العمر وعاقلاً. لكنه في هذه المرة خطا إلى الوراء وضرب أحد مكبرات الصوت الثمينة بقدمه وبدأ يدمدم وهو يتذكر أيام الروك ثم رفع الصوت إلى حده الأقصى وبدأ يضرب على الأوتار. اخترقتهم عاصفة من الأصوات وكأنها سهم ناري. الفتى الذي كان قد جلس على سوية الأب بدا وكأنه قد اهتز بفعل الصوت.

" لماذا الهمس؟ " قال الأب " إنها موسيقى الشيطان، أو تصبح كذلك عندما تعزف بشكل صحيح."

عزف لحن بلوز، أحد الألحان المفضلة لدى غابرييل، وكان الأب يخبط الأرض بقدمه ويغني، لم يتمكنوا من سماع كلمة واحدة بل كانوا يرون فمه يفتح ويطبق، كان يبدو وكأنه أحد أعضاء فرقة بيكون وهو يصرخ.

هرع إلى الغرفة اثنان من الخدم مصعوقين وكأنهم قد هوجموا بوابل من الرصاص وأيديهم تسد آذانهم، وبذلا جهداً لإغلاق النافذة وليتأكدا من اسدال الستائر، ثم خرجا والأرض تهتز وهما يصرخان.

أخذ الفتى غيتاراً آخر ورفع الصوت وأخذ يهز رجله ويدورها أمام مكبر صوت آخر. عليك أن تتعلم على الأقل بأن العدوانية ضرورية في الأداء الحي- وبدأ يعزف مقلداً أستاذه عن بعد.

تمكن الفتى من إصدار صوت لائق وعنما توقف الأب بعد أن ضبط الإيقاع، استلم الفتى اللحن.

Twitter: @ketab_n

وبينما كان الأب يهيء الجو لكارلو كي يعزف معه دون أن يجبره على فعل أي شيء، أدرك الفتى أنه قادر على ذلك، وعندها كان من الممكن لغابرييل أن يجلس مسترخياً ليقضم أظافره ويمضغ خديه.

لم يسبق أن قلق غابرييل على أي شيء كما قلق بشأن لوحة ليستر، ولم يكن عليه أن يتخذ أي إجراء في الوقت الحاضر. قد لا يعرف ليستر أي شيء عن مصير اللوحة حتى وقت طويل. وحتى عندها، قد لا يدرك أنها مزيفة. قد يكتب رسالة إلى ليستر في المستقبل. لدى أبيه العنوان.

عندما وقف غابرييل يستعد للمغادرة مع أبيه لاحظ ولدهشته أن والد كارلو كان يقف بالباب. كان المنتج السينمائي قصير القامة، أصلع، ومنفرج الأسارير، يلبس بذة أنيقة دون ربطة عنق والزر الأعلى لقميصه معقود، وكانت حنجرته تتحرك مع إيقاع اللحن، وبدا وكأن رأسه يكاد ينفجر.

كان والد غابرييل قد شرح له بأن جاك آمبلر رجل أعمال مشغول جداً وكان يدعو الناس الذين يسعون إلى الاجتماع به ليلقاهم في سيارته وهو في طريقه إلى المطار أو أن يسيروا حول مسكنه وهو يمشي، أو ليرافقوه عندما يتناول غذاءه أو يذهب إلى الحمام.

" شكراً جزيلاً" قال جاك وهو يرافق غابرييل وأباه إلى الطابق الأرضي ثم سحب بعض الأوراق المالية من محفظته وقدمها للأب قائلاً:" أنت تستحق هذه. لقد تمتعت بذلك كثيراً وارتحت له."

التفت الأب ونظر إليه متوتراً من احتمال أن يلمح شيئاً من التكبر. ولكن لم يكن هناك أي تكبر، بل كان الرجل ينظر إليه ممتناً.

قال جاك بهدوء:" أرجو ألا يكون كارلو قد قام بشيء منفر أو عدواني هل فعل؟ ".

Twitter: @ketab_n

-" مثل ماذا ؟"

-" آه... أنت تعرف... كأن يقول لك بأن الدهر قد عفا عليك"

-" لا " رد أبي لم يذكر أي شيء من هذا."

-" لقد ارحتني. فأنا عاجز عن إيجاد اللغة المناسبة للتواصل معه. إنه ابني الوحيد، وهذا فظيع: للفتى تهيؤات غريبة."

-" صحيح؟"

-" عندما يخلد إلى النوم يعتقد بأن ذباباً يسير على جسمه. وأن رجال الشرطة يراقبونه. أرسلناه إلى معالجة معروفة تلك التي ألفت الكتاب ديدي اوسغود. هل سبق وقابلتها ؟ يبدو لي أن كارلو قد تعلق بها كثيراً، لكنها لم تشفه. إنه لا يتعلم أي شيء والشيء الوحيد الذي يهتم به هو الموسيقى. تجده طوال الوقت إما يعزف أو يستمع إلى الموسيقى. إن الموسيقى تحسن من مشاعر الناس أليس كذلك؟"

-" لقد كان هذا تأثيرها علي دائماً"

-" ارجوك هلا جربت معه هذا ؟"

-" أجرب ماذا ؟"

-" أن تعلمه أشياء - أي شيء تعرفه - من خلال الموسيقى."

-"بودي أن أساعدك جاك. إنك تطريني وما إلى ذلك. ولكني لم يسبق لي أن قمت بمثل هذا العمل، وأنا غير مؤهل له."

-" لا أكترث بهذا الأمر. لقد أحب الفتى ليستر لسنوات طويلة. إنه لا يظهر ذلك، ولكنه كان منفعلاً جداً عندما أخبرته أنك قادم. سوف يراك أنا واثق من ذلك. أرجوك امنحه فرصة أخرى - فقط لبعض الوقت. وإذا لم تنجح فلن نخسر شيئاً."

Twitter: @ketab_n

-" هذا غريب، فأنا أعرف كيف يشعر الفتى. لقد بقيت لسنوات لا أكاد أتفوه بكلمة ولم أكن أحب أن يقترب أحد مني. كانت الموسيقى الشيء الوحيد الذي يعبئ رأسي. دعني أفكر بالأمر."

سار أبي مبتعداً وبدا كأنه يفكر قليلاً مع أنه كان يعبث بشعره. راقبه جاك وغابرييل. في النهاية وافق أبي على المجيء ثلاث مرات في الأسبوع ليعطي الفتى دروساً.

-" لا أدري ما الذي سأفعله بالضبط، ولكني لا أمانع من تعليمه بعض الأشياء التي أعرفها."

-" أنا سعيد " أجابه جاك وهو يصافحه " أرجو أن تأتي لتناول الغداء وسأدعو بعض الناس الذين قد تحبهم. هل يستطيع سائقي أن يوصلكم إلى أي مكان؟ إنه في خدمتكما كليكما."

-" لا شكراً قال ريكس قبل أن يقول غابرييل أي شيء نحن نحب السير في الشارع لقد اعتدنا أن تبقى أقدامنا على الأرض."

عندما سار غابرييل وأبوه وانعطفا ركض كارلو خلفهما ووضع تسجيلات لأفلام أبيه في يد غابرييل وهمس له:" إنه جيد، أبوك هذا."

-" شكراً لك " قال غابرييل

أشعل الأب سيجارة وسارا مبتعدين في الهواء البارد المنعش.

-" أنا متفاجئ أنك لم تصفع هذا الفتى وترديه أرضاً، لقد كدت أفعل أنا ذلك " قال غابرييل

-" لاحظت ذلك كان بإمكانك أن تتغلب على ابن العاهرة النحيل ذاك بسهولة. ولكن لو حصل وضربته بتلك الزجاجة على رأسه لما تركت انطباعاً جيداً لدى أبيه."

Twitter: @ketab_n

-" لا "

-" أنا لم أنزعج منه أبداً. أنا سعيد أننا ذهبنا ولكنني منهك. لن أتمكن من القيام بكل ذلك مرة أخرى حتى لو دفعوا لي. سأتصل بهم وأقول بأنني مهاجر إلى أفريقيا."

-" لا لن تفعل. نحن لم نخض كل تلك الصعوبات من أجل لا شيء."

-" هل تعرف لماذا يصبح الناس مدرسين؟"

-" حسب تجربتي لأنهم يحبون أن يصغي الآخرون لهم."

-"هذا سبب وجيه إذا كان لديك ما تقوله ".

عد أبوه المال ثلاث مرات ثم صفر وقال:

-" لقد أمضيت كل تلك السنين أوزع أفكاري في الحانات مجاناً!"

ثم تابع:" هل تعرف عندما بدأ هذا الفتى يشتمني تذكرت أن أمي كانت مدرسة ابتدائي. لقد كدت أنسى هذا بشكل من الأشكال. كانت تكرس نفسها لهذا العمل. ونادراً ما كانت تتواجد في البيت وعندما تفعل كانت تحضر دروسها لليوم التالي. وكنا نركض مع تلامذتها السابقين هنا وهناك في المنزل نلوح بأيدينا ونقول مرحباً، وعندما كنت أذهب إلى المدرسة كان هناك دائماً تلميذ ما يمسك بيدها. لطالما كرهت ذلك."

-" لماذا ؟"

-" أردتها أن تكون لي وحدي، ولكنها كانت بارعة في ذلك الشيء: أن تجعل الأطفال الآخرين يشعرون بأنها لهم."

-" كيف كانت تفعل ذلك؟"

-" بأن تكون فعلاً لهم. بأن ترفض السلطة " تابع الأب حزيناً " لم

Twitter: @ketab_n

أفكر بها منذ زمن طويل. هل تصدق ؟ أنا أتحدث عن زمن مضى عليه أكثر من أربعين سنة. ربما بعد أربعين سنة بعد أن أكون قد مت بزمن طويل ستتذكر هذه اللحظة. أنا دائماً أتساءل ترى كيف ستتذكرني. ربما ستضعني في فيلم أو ما شابه. من يمكن أن يؤدي الدور باعتقادك؟ ما رأيك بروبرت دينيرو؟"

-" ألن تكون موجوداً عندما أصبح مسناً؟ أريدك أن تبقى للأبد".

-" أجل أعرف، سأحاول أن أبقى أطول مدة ممكنة. وكل ما هنالك هو أني آمل أن أموت قبلك. سيكون لك ابن وستخبره عن مغامراتنا معاً. الحماقات التي كنت أرتكبها... وكيف قمت ببيع لوحتك... وكيف أنني..."

-" أجل".

-" على كل حان الوقت لتناول بعض الطعام ؟ يبدو أن الأمور بدأت تتحسن قليلاً. يجب أن نحتفل أليس كذلك؟"

أخذ غابرييل إلى مطعم إيطالي فخم وأكلا المعكرونة والمثلجات حتى الامتلاء .

كان يوماً حافلاً بالمشاغل ولكن ولدهشة غابرييل لم يكن أبوه منهكاً. لقد أعاد له التعليم حيويته. حتى أن غابرييل نفسه استطاع أن يصرف تفكيره عن اللوحة. لقد كانت معلقة على الجدار في مطعم سبليتز لكن ليستر لم يذهب إلى هناك.

في ما بعد وهما في الطريق قال غابرييل " سوف تسر أمي"

-" تسر مم؟"

" من كونك بدأت تعمل بالتدريس"

Twitter: @ketab_n

-" هل ستخبرها ؟

-" سيكون من الأفضل أن تفعل أنت بنفسك" قال غابرييل " إنها لا تنفك تقول لي بأن هناك أمراً هاماً تريد أن تحدثني عنه ولكنها لم تفعل بعد."

-" وهل تعرف ما هو هذا الأمر؟"

رفع غابرييل كتفيه بلا مبالاة قائلاً:" المستقبل على ما أعتقد. أبي لماذا لا تتردد علينا ؟"

-" لقد خطر الأمر ببالي ولكني لا أستطيع الدخول إلى البيت... إن هذا يحطم قلبي. حتى السير في تلك المنطقة يرضني".

-" لماذا لا تذهب إلى البار حيث تعمل أمي؟"

-" هل تعتقد بأنها ستسر بالتحدث إلي؟ لقد وقعت في حب شخص آخر على ما أعتقد".

-" لا يهم. لم يسبق أن قابلت أحمق مثله. إنها فقط تحاول أن تثير غيرتك".

-" كذا ؟ سأفكر بالأمر. مشكلتي هي أنني لا أريد غيرها. ولكنها كانت قاسية علي".

-" كانت كذلك من أجل مصلحتك ".

-" شكراً غابرييل ولكني لا أشعر بأنني تحسنت ".

قبل غابرييل أباه مودعاً

-" إلى لقاء قريب".

-"إلى اللقاء".

Twitter: @ketab_n

الفصل العاشر

بعد عدة أسابيع وفي صبيحة يوم أحد وبعد أن غادر غابرييل سريره بصعوبة رأى هانا وقد كشفت عن ساعديها العريضين ولبست كفوفاً مطاطية ولفت على رأسها منشفة وانتعلت أحد أحذية الأب القديمة دون رباطات. استغرب غابرييل وتساءل ما إذا كانت توشك على الاقتراب من نفايات نووية ولكنه رأى بأنها تهم بتنظيف غرفة المعيشة. كان هناك ضيوف عند أمه وكان الجو ثقيلاً ومثيراً للنعاس، صحون السجائر ممتلئة بأعقاب السجائر والكراسي مبعثرة وعلى الطاولة زجاجات بيرة ونبيذ وأكياس مقرمشات وبقايا شطائر.

خوفاً من أن تطلب منه هانا أن يقوم بالتنظيف أو المساعدة تسلل إلى المطبخ ولدهشته وجد أمه تستمع إلى لحن فالس من الراديو وتحضر فطوره.

-" هاي يا ملاكي، إنه يوم جميل، ما رأيك أن نذهب إلى حديقة كيو؟"

أذهله هذا الاقتراح، صحيح أنه قد بدأ يحب هانا ولكنه لا يرغب بقضاء يوم كامل معها فأجابها: -" أنا ذاهب للسباحة مع أحد الأصدقاء."

Twitter: @ketab_n

فردت الأم: " ظننت أن خروجنا معاً سيسرك."

غالباً ما كان غابرييل ووالداه يترددان إلى حديقة كيو أيام الأحد. وقد التقطوا العديد من الصور هناك. لا بد أنه قد مرت سنتان منذ آخر زيارة للحديقة.

فسألها:" أنت وأنا ؟"

-" لا، وجورج أيضاً"

" لا بأس هناك ما أريد التحدث معك بشأنه، وبدون هانا." قال غابرييل

وضعت أمه أصبعها على شفتهيا وهمست:" ما كنت لأجبرك على مرافقتها، لديها عمل كثير تقوم به."

خلال تناوله الطعام كان يراقب أمه متوجساً. لم يكن مقتنعاً بأنها ستخرج معه.

قالا وداعاً لهانا. وكانت مفاجأة غابرييل أعظم عندما أمسكت أمه بيده قائلة سنستقل المترو. لم يكن متأكداً كم من الوقت قد مضى منذ أن استخدمت أمه المترو آخر مرة، وكان لديها أسبابها لذلك: فالنزول تحت الأرض كان أشبه بأن يدفن المرء حياً. بالإضافة إلى أن الانفاق ملوثة ومليئة بغازات وروائح يمكن أن تسمم المرء، وفقط القتلة والمهووسون يتنقلون عبر هذه الخطوط.

أدرك وهو يسير إلى جانبها مدى توترها. وعندما أصبحا في القطار كانت تنظر حولها بعصبية واهتمام زائدين، أكثر مما تستحقه صحيفة الصانداي تايمز من اهتمام، ولكنها استطاعت أن تبقي خوفها بحدوده الدنيا. وما كانت تعتبره عادة جحيماً مستعراً، كان مجرد حافلة تسير في الفضاء الجميل فوق نهر التايمز في صبيحة يوم أحد.

Twitter: @ketab_n

عندما وصلا تنهدت مرتاحة.

-" الأمور جيدة؟ " سألته

-" جيدة جداً أمي"

-"في المرة القادمة سأتجرأ وأركب الطائرة. لقد أصبحت كبيرة على الخوف من كل شيء. انزع هذه السترة سيعتقد الناس هنا أنك تبيع مخدرات، انزعها "

-" أمي"

كانت النزهة في حديقة كيو بالنسبة لهم بمثابة نزهة في الريف، مكان مناسب للأحلام.

كانت أمه تتحدث بتأن عن أن الانكليز يحبون حدائقهم ومنازلهم ويعتنون بها ويتركونها مرتبة دائماً. ولكنها عندما زارت منطقة للطبقة المتوسطة مثل كيو اتضحت لها الأشياء وصارت ترى بأنها تحتاج لأكثر من حديقة خلفية اسمنتية تكتسحها الأعشاب وترمي فيها بعض كتبها القديمة وطنجرة محروقة. عندما ستكسب مالاً أكثر سينتقلان.

-" سيكون لنا حديقة حقيقية ليست بالضرورة كبيرة، ولكنها تتسع لنا نحن الإثنين لنجلس فيها معاً" قالت ثم أضافت بأنهما سيبقيان هناك إلى أن يرتاد الجامعة. ثم تابعت:" عندما كنت في العشرينات من عمري أعيش في حي كينغ وأعرف أشخاصاً أنيقين كنت غريبة الأطوار، منعزلة و... بحثت عن الكلمة ثم تابعت:" متطرفة". لم أصنع من نفسي الشخص الذي كان يجب أن أكونه. في تلك الأيام كنت أمني النفس بأنني عندما سأصبح في الستين سأكون امرأة نشيطة وحيوية، حسنة الهندام دائماً، ومع أن ركبتي ضعيفتان وأصابعي محنية، لكن سيبقى

Twitter: @ketab_n

لعيني بريقهما. أقرأ قصصاً بالفرنسية وأستمع إلى الخطايا المميتة السبعة. وعندها ستأتي إلي أحياناً ببعض الأزهار، أليس كذلك؟ ولو أنك ستكون مشغولاً بأشياء أهم تفعلها، وقد تأتي لزيارتي مع أولادك أليس كذلك؟."

-" ولم لا ؟"

-" على الأولاد أن يكفوا عن التعلق بآبائهم. إنه طلاق فظيع. ليس لدى أهلي أي شيء يقولونه لي كما لاحظت ربما. لقد تركتهم عندما كنت في الخامسة عشرة. ومع ذلك أريدك أن تأتي لزيارتي. ما الأمر؟ ماذا هناك؟"

-" يبدو كلامك مضحكاً، تريدين أن تنتظري حتى تصبحي في الستين لتفعلي ما تريدين فعله؟ لماذا لا تقومين به الآن ؟ "

-"إنه سؤال جيد. ليتني أعرف".

بينما هما يتكلمان وجد غابريل أن وجودهما وحدهما معاً أمر غريب بعض الشيء، لأنه اعتاد عندما يخرجون فإن أباه يهذر بالكلام ويستقطب اهتمامهم، يروي النكات ويغني.

لم يذكر غابرييل أو أمه أي شيء عن هذا، ولكن غابرييل تساءل ما إذا كان أبوه لا يزال في سريره في غرفته، أم أن لديه ما يكفي من المال ليخرج ويتناول إفطاره. ربما يكون قد خرج ليتمشى. لم يتمكن غابرييل من التخلص من فكرة أن أباه يمكن أن يأتي الآن إلى الحديقة. سوف يظهر من خلف ذاك النصب وسيمسك ثلاثتهم بأيديهم ويسيرون جنباً إلى جنب.

في طريق العودة وقبل أن يستقلا المترو ذهبا إلى مكتبة سألته أمه:" هل تود الدخول؟"

Twitter: @ketab_n

-" نعم قد أعثر على كتاب جيد أقرأه "

-"يمكنك أن تشتري ما تشاء"

-"أي شيء ؟"

-" اختر ما يعجبك وسأشتريه لك. قد يفاجئك الأمر ولكني كنت أكسب بعض المال مؤخراً من هناك! لم يرسل والدك أي نقود ومع ذلك فقد كتبت له أطلب منه. هناك فواتير وأقساط البيت وأنت، كل هذا يكلف الكثير."

استغرق وقتاً طويلاً ولكنها انتظرت وهي تنظر في ما حولها وخاصة في قسم الخدمة الذاتية. كما أشار زاك عندما تسمع كلمة " شفاء" فإنك تعرف بأنه سيكون هناك المزيد من المشاكل العائلية. وسيكون هناك علاج أو ما هو أسوأ، تنويم مغناطيسي أو أشكال أخرى من الممارسات الغريبة. عديدون من جماعة زاك كانوا يسيرون وأيديهم ممدودة أمامهم وأعينهم مغلقة، ربما يعيدون تسوية أمور حياتهم بهذه الطريقة.

بين الخيارات المحدودة للكتب الفنية وجد غابرييل كتاب رسومات شخصية. أثنت الأم على خياره. كانت مستغربة كيف أن قليلاً جداً من الفنانين المعاصرين كانوا يهتمون بالوجه الانساني وبما يبدو عليه الناس فعلاً. كان موضوعاً لم يتمكن الروك أند رول من الخوض فيه.

حمل غابرييل كتابه الجديد وتوجها إلى مقهى قريب وطلبا بيتزا. سألها ما إذا كان يستطيع طلب ما كان يسميه وهو طفل " المجعدة"، وهو نوع من المثلجات، فقالت نعم وطلبت لنفسها بعضاً منه.

لاحظ أنها تنظر في ما حولها ثم سألت:" ألا يقدمون البيرة هنا ؟"

Twitter: @ketab_n

-" إنه مقهى لماذا تريدين البيرة؟"

مسحت وجهها بيدها " إنك تصعب الأمور علي".

-" وقد يكون الخطأ خطأي "

-" لا غابرييل."

كان يأكل بنهم ولم يلحظ بأنها كانت تراقبه.

-" لقد كنت فتى صاخباً "

-" هل كنت كذلك؟"

-" أو ربما كنت أجدك صعباً لأنني كنت أعاني من أمور أخرى. لقد أصبحت هادئاً الآن وتستغرق في التفكير. بماذا كنت تفكر الآن؟"

فأجاب:" ما إذا كان أبي يفضل مثلجات الشوكولا أم القهوة." كان غابرييل وأمه وأبوه يحتفظون بكمية من المثلجات في البراد وغالباً ما كانوا يتجادلون حول النكهات المفضلة لديهم.." شوكولا أعتقد أن أبي يتناول واحدة الآن.. في الوقت نفسه الذي نأكل فيه نحن مثلجاتنا."

قدمت منديلها لغابرييل:" امسح وجهك أيها الفتى أنت تشتاق إليه؟ إنه لم يمت غابرييل عزيزي."

-" لا إنه يعيش على الهامش".

-" هذه ليست كارثة. والدك لم يكن سعيداً. وحتى أنه لم يكن يدرك ذلك. وها هو الآن يرى تأثير ذلك على الآخرين."

-" لقد قدمت له معروفاً إذن، وكنت أنا أول من رأى هذا التأثير."

همس غابرييل

لا تدمدم، لقد كنت أعرف أن هناك شيئاً ما خاطئاً، وذلك عندما توقف عن كراهية كل شيء. لم يكن يحتج على ما يراه أو يأكله أو

Twitter: @ketab_n

يسمعه. كان يبتعد عنا - أو عني على الأقل. أنا آسفة أنني أتركك مع هانا (قالتها وكأنها تقول ذات الوجه الذي يشبه كيساً مملوءاً بمطارق) ثم تابعت: ولكن كان علي أن أعمل لاستمرار الأمور. أن تفسد الأمور فهذا يعني أن تبقى على ما هي عليه-، وهذا كاد يقتلني. لي أخطائي ولكني لم أستسلم " وقفت رفعت يديها ثم جلست:" انظر إلي أليس لدي بعض الطاقة والحيوية ؟ وأنا الآن أفضل منذ أن رحل."

-" من الممكن أن يكون أبي في عمله هذه اللحظة."

-" عمل؟ ولكن غابرييل إذا وضعنا كل شيء جانباً فاليوم هو الأحد."

-" لقد بدأ يعطي دروساً."

-" يدرّس قلت ؟ وأي نوع من التدريس؟

عندما رأى أنها لا تسخر من الموضوع، شرح لها غابرييل أن أباه يعطي دروساً في العزف على الغيتار لفتى رشحه أحد أصدقائه له. ولقد اتفق معه على تدريسه لبضعة أسابيع. وكان يقول:" من الغريب أن أدرّس ولكنني عندما أفعل لا أنحشر في حالة ذهنية واحدة. إن التدريس ينشطني."

لاحظ غابرييل أن أمه ترغب بالتحدث عن ريكس مع شخص يعرفه ويمكن أن يفهم. في نفس الوقت كانت تدرك أنها لا تستطيع أن تبوح بكل ما تشعر به.

-" يمكنني أن أتخيله وهو يدرس إنه سيء المزاج ومتطلب، وسيفاجئه أن طلابه لا يعرفون كل شيء. ولكنه على أي حال يفهم الموسيقى. وتجده في بعض حالاته يستمتع ب...إلقاء محاضرة. أنا لم

Twitter: @ketab_n

أتحدث مع ليستر منذ سنوات ولكنه كان دائماً نشيطاً وحيويا بشكل لا يصدق. لعله ألهم أباك. من الواضح أن تأثيره عليه كان جيداً."

وهنا في هذا الكلام كان هناك حنو مفاجئ

قال غابرييل " جدتي كانت مدرسة "

أشرق وجهها:

-" نعم صحيح، وكانت تأخذك إلى المكتبة."

-" هل هي التي علمتني القراءة؟"

-" أجل وبمساعدتي"

قال غابرييل:

-" أنا وأبي كنا نصنع أشياء معاً ولكنك كنت دائماً تصرخين بشأن الأشياء التي كان يتركها على أرض غرفة المعيشة. "

-" عندما كانت هذه الأشياء تبقى على الأرض لأسابيع كنت أمضي الوقت منحنية وأنا أحاول تنظيفها، حتى أنني كنت أظن بأنني علقت هناك للأبد."

" لقد أحبطه." كان غابرييل قد قرأ في مكان ما بأن الناس يستخدمون هذه الكلمة عندما يغضبون ثم تابع:

-" ومع ذلك أنا أسامحك على فعلتك هذه."

صدمت أمه بهذا الكلام وسألته:

-" ما الذي يدفعك لقول مثل هذا الكلام؟"

-" آرشي."

-" آرشي ؟ أنت تتحدث عن أخيك الآن؟"

-" نعم"

Twitter: @ketab_n

فردت:

-" لقد مات ابني وهذا كاد يصيبني بالجنون وقد بقيت أتعاطى الأدوية لفترة طويلة-"

-" آرشي يكاد يكون ميتاً"

-" يكاد ؟! ما الذي تقوله؟"

-" إنه جزء مني، إنه يتحدث إلي."

-" آرشي يتحدث إليك؟ وما الذي يقوله؟"

-" إنه يقدم لي النصح."

-" هذا غريب إذا أخذنا بعين الاعتبار بأنه لم يتوصل يوماً إلى أن يقول الكثير. والآن تقول لي بأنه يتحدث إليك. عليك أن تحذر غابرييل - ستضطر إلى مراجعة الطبيب النفسي وسيطرق ركبتك بالمطرقة ويسألك عن اسمك. هل يعرف أبوك أي شيء عن هذا ؟"

-" لا "

-" يجب أن أتحدث إليه في هذا الموضوع ولكننا لا نتكلم مع بعض."

-" ولماذا لا تتكلمان؟"

-" ربما علي أن أفعل. لا أستطيع تصديق ذلك. يا إلهي ما الذي أصابك؟ أي فتى صغير غريب أنت!"

-" لم أعد صغيراً ! عليك أن تفتحي عينيك."

كانت الأم تنظر إلى غابرييل تائهة ثم قالت له:

- " أنت لا تعرف كيف يمكن أن يصيبنا بعض الناس بالجنون. إياك غابرييل أن تحاول أن تشعرني بالذنب. إن الأهل مؤهلون للشعور بالفشل دائماً. إنها لعبة خاسرة لعبة الأهل والأولاد. أنا امرأة وحيدة دون زوج يساعدني، وأحاول أن أكسب عيشي من أجلنا نحن الاثنين ! أم عزباء "

Twitter: @ketab_n

-" أم عزباء " كرر بعدها

-" ما الذي تتوقعه مني؟ الذهاب إلى عملي ليس احتفالاً!"

-" ولكن لديك الكثير من الاحتفالات."

-" ولم لا ؟ " قالت وهي تهتز مرتجفة من الانفعال ثم أردفت:

-" علي أن أخبرك بأنني تلقيت عرض عمل جديد."

-" حقاً؟"

-" من قبل رجل اسمه سبيدي."

-"سبيدي؟"

-" أجل وماذا يعني لك؟"

-" إنه اسم غريب."

-" سبيدي أي السريع، ولقب بهذا اللقب لأنه دائماً على عجلة من أمره. التقيت به في حفل في حي بوتبيللو منذ فترة قريبة، كنا أصدقاء في ما مضى. لديه فيلا قرب مراكش حيث أقمنا مرة كلنا. إنه يلبس دائماً قمصاناً لماعة. لقد توفي عديد من الناس الذين كانوا معنا، أو جنوا أو انتقلوا إلى الويلز. ولكن سبيدي يملك مطعم هامبورغر مليئاً بأشياء تتعلق بالروك. يعرف عما حصل بيني وبين أبيك وهو متعاطف. وأعتقد بأنه سيستخدمني عنده. في البداية سأعمل كنادلة ثم في ما بعد سيرقيني. أنا متأكدة من أنني سأتمكن من الحصول على المركز وستكون بداية جيدة. ما رأيك؟"

-" أي.... علي أن افكر بالأمر."

" ولماذا التفكير إنها ليست قضية فلسفية ! ألم تسر بعملي الجديد؟"

Twitter: @ketab_n

هز رأسه وسأل:

-" هل ذهبت إلى مطعمه؟."

-" اوه لقد اعتدت الذهاب إلى هناك ولكن فقط عندما يكون هناك حفل، وليس من أجل الطعام طبعاً. أفضل أن آكل قدمي على أن آكل عنده. ولكني أخبرتك" تابعت وقد فقدت صبرها:" ألا تسمعني؟ أنا أذهب إلى هناك فقط في الحفلات. وقد فكرت بأنه يمكننا أن نريه لوحة ليستر ".

-" لوحة ليستر؟"

-" نعم "

-" ولماذا؟"

-" قد يكون مهتماً بها، وحتى لو لم يكن فلا بد لي من تأطير اللوحة سأعمل على ذلك الأسبوع المقبل. قبل أن أبدأ بعملي الجديد. قد نذهب إلى إيطاليا".

" لرؤية قصر جورج؟"

-" أوه إياك."

-" شيء عقيم، أريد العمل على فيلمي".

-" حسناً يمكنك أن تعمل هناك. ألا ترى غابرييل، سيكون من الرائع أن نتمتع بالشمس والبحر، لقد مضى زمن طويل منذ أن كانت الأمور جيدة!"

-"أنا لا استطيع العمل إلا في لندن. إنه الجو الذي أشعر فيه بالراحة".

-" حقا؟ أنت شيطان لعين. سيكون عليك البقاء مع هانا إذن".

-" سأبقى مع أبي على ما أعتقد"

-" لن يتمكن من الاعتناء بك."

Twitter: @ketab_n

-" يمكنني الاعتناء نفسي"

-" لست متأكدة من أنك قادر على ذلك. ولكن قريباً عليك أن تفعل. أنا لم أكن قريبة منك مؤخراً ولكني كنت أفكر كثيراً بمستقبلك."

فرد بحماس:

-" هل فعلت؟"

-" أعرف بأنك تحب السينما والمخرجين والممثلين وكل ما إلى ذلك... "

-" نعم، نعم لدي أفكار كثيرة جديدة مؤخراً. هل سبق ودونت أحلامك؟ قد يخترعون يوماً طريقة لتصويرها!"

-" هذا مدهش " قالت ساخرة: " والآن نحتاج أن نكون واقعيين أنت وأنا. لقد كان جورج متعاوناً جداً في ما يتعلق بموضوع مهنتك. إنه يدرب ممثلين، لا تضحك هكذا."

فتمتم غابرييل من بين أسنانه:

-" إنه يحتاج إلى التدريب هو نفسه."

-" غابرييل عليك أن تتعلم كيف تنصت."

-" يمكنني أن أنصت وأتكلم في الوقت نفسه."

" إن جورج يواجه صعوبات وهو يقول بأن الأمر يتلخص بأن يتمكن المرء من الجمع بين ما يهتم به من جهة وبين إمكانية كسب العيش من جهة أخرى. ستكون محامياً للممثلين. " قالت وهي تنظر إليه.

-" عفواً؟!!"

تابعت:

- " هؤلاء المحامون يتعاملون مع أشخاص خلاقين. وليس هذا فقط

Twitter: @ketab_n

- إنهم يدفعون لحدوث أشياء خلاقة. ولكنهم لا يتعرضون لأن يكونوا عاطلين عن العمل أبداً أو بعيدين عن آخر المستجدات. وهم دائماً مدعومون. أريدك أن تفكر بالأمر. سأبحث عن جامعة حيث يمكنك أن تدرس الحقوق وتتابع موضوع ميولك الدرامية في الوقت نفسه هذا إذا كنت لا تزال ترغب بذلك. ثم سوف تقابل محامياً هو صديق جورج. المال يتدفق من أذنيه. سوف يشرح لك كل شيء. ما هذه التعبيرات الغريبة المرسومة على وجهك؟ "

فأجابها:

-" أنا لا أريد العمل في مكتب."

-" ولم لا ؟"

-" المكاتب تشعرني بأنني لن أخرج منها أبداً."

-" عن أي شيء تتحدث؟"

-" لم يسبق أن عملت في مكتب."

وقفت ثم قالت مستاءة:

-" لقد أمضيت وقتاً أكثر مما ينبغي مع والدك مؤخراً! أريد أن أطور ثقتك بالأمور. أخشى أن عقلية الفاشلين بدأت تنمو لديك! " دفعت الفاتورة وغادرا المكان. ثم تابعت:

-" لا بد من القول أنك لا تبدو راضياً أيها التافه الصغير "

-"راض حول أي شيء؟"

كان يتبعها وهي تسير بسرعة. كانت دائماً تفعل ذلك، تسير أسرع منه.

-" حول عملي الجديد والعطلة في إيطاليا وكل شيء آخر كنت أحاول فعله من أجلك. الأولاد... إنهم لا يفكرون إلا بأنفسهم. أنا، أنا،

Twitter: @ketab_n

أنا ودائماً أنا. إن الناس لا تعرف أو أنهم لا يقرون بمدى كراهيتهم لأولادهم.

يكاد يصغي إليها. لقد أرادته أن يصير محامياً. إنه مرتبط بالقانون الآن بشكل كاف، بعد أن قامت أمه بتأطير لوحة ليستر، وقدمتها إلى سبيدي. فردان من عائلة واحدة يقدمان له لوحتين مزيفتين.

وستتضاعف تهمة غابرييل الآن. ثم تذكر أنه عندما زار المنزل القريب منهم سمع أحد الرجال وهو خريج سجن يردد: " لقد صنعت طائري بيدي". كان هذا الشكل من حياة الخارجين عن القانون مدعاة لنوع من الإعجاب. ولكن غابرييل لم يكن يتذكر ما إذا كان السجين قد قال بأنه يمكن للسجناء أن يمضوا النهار وهم يقرأون. ترى هل يستطيع أن يأخذ جهاز الموسيقى معه؟ وكم تبلغ محكومية تهمة التزوير؟

عندما وصلا البيت كان رأسه مملوءاً بعواصف جهنمية. كان يحتاج إلى بعض الوقت ليفكر بالأشياء ويعيد النظر فيها، ولكنه لم يكن متأكداً ما إذا كانت أمه مصابة بأحد أمزجتها الصعبة. وعندها سترغب بزيارة صالة فنية أو أنها ستدعوه ليرى أحد أفضل أفلام الموسيقى التي تحبها وترفع معنوياتها.

لحسن الحظ أخبرته بعد الظهيرة بأنها مضطرة للذهاب إلى العمل.

-" أنا مضطرة للمغادرة باكراً اليوم، هناك من علي أن أتصل به وأقابله. هل لديك مانع؟" سألت بنوع من الشعور بالذنب.

-" لا مانع لدي، أود تصفح كتبي الجديدة وأن أرسم."

-" حسناً، وبالمناسبة أردت أن أعطيك هذا "، ثم قدمت له كتيباً حول " مهنة المحاماة "

Twitter: @ketab_n

-" شكراً هل هذا قانون دينيس؟"

-" كفى، أريد أن أعرف رأيك به. لقد كان يوماً لطيفاً، آمل أن نتوصل إلى قضاء مزيد من الوقت معاً. إذا ذهبنا إلى إيطاليا فسنحقق ذلك"

-" وسيكون هو هناك؟"

- " نعم سيكون جورج هناك."

-" ولماذا ؟"

" من أجلي، كي يكون معي. عليك التوقف عن التذمر حول كل شيء"، ثم تابعت:" أنت لن تتصل بآرشي بعد الظهر أليس كذلك؟".

-" لماذا ؟ هل لديك أي سؤال تطرحينه عليه؟"

" غابرييل." قالت وهي تحبس أنفاسها " أعتقد أن تلك كانت مزحة من مزحاتك التي تعبت وسئمت منها، كما من موضوع " آرشي". والآن هيا اعطني قبلة "

-" هكذا"

-" شكراً"

عندما ذهبت جلس غابرييل لبعض الوقت في غرفته يرسم. رسم إناء يابانياً بتأن ولكن وعلى عكس الرسم السابق، رفض الإناء الظهور والتجسد. لم يحاول ذلك لأنه كان بحاجة إلى إناء ياباني في تلك اللحظة. كان من السهل عليه أن يتمنى ذلك بقوة ويركز، فهذا يجعل الأشياء تحدث، لكنه ارتاح عندما لم ينجح. لم يعد هناك المزيد من الهلوسات يريد أن يعيش في نفس العالم الذي يعيش فيه الآخرون. لن ينسخ صوراً بعد الآن. سيكون كل ما يرسمه أصلياً من الآن فصاعداً. لقد سبب له النسخ ما يكفي من المشاكل.

Twitter: @ketab_n

وضع أدواته جانباً ثم وجد نفسه يبحث عن هانا ليخبرها بأنه خارج. عندما رأى أنها قد غفت أمام التلفاز بحث عن بعض المال في المنزل. في النهاية أخذ المال الذي كان قد وفره ليشتري الكاميرا. كسر الخنزير الصغير الذي كان مليئاً بمدخرات طفولته، بحث في جيوب معاطفه القديمة، ثم أخذ المال الذي جمعه من أعطيات عيد الميلاد، فتش في حقائب أمه وعثر على عشرة باوندات إضافية.

لقد أصبح مستعداً الآن.

ترك ملاحظة كتب فيها أنه ذهب لزيارة زاك، أغلق الباب الأمامي بأقصى ما يمكن من هدوء.

Twitter: @ketab_n

الفصل الحادي عشر

كان المسير إلى مطعم سبيدي يستغرق ثلاثين دقيقة.

خارج المطعم وخلف شريط مخملي وسجاد أحمر وقف صف من الناس المتحفزين، خلف الباب رأى غابرييل الناس يتوقفون لينظروا إلى لوحة ليستر.

ومع أن غابرييل كان قد جاء بنوايا حسنة، إلا أنه عندما وصل إلى المطعم ورأى ما رأى، وجد أن فكرة العودة إلى البيت والاستلقاء ووسادته فوق رأسه ممتازة.

وما أن هم بالرجوع حتى توقفت سيارة ونزل منها رجلان وسيدتان يلفتون النظر. نظر غابرييل إليهم وهم يقتربون من الشريط، كان الحشد يفسح لهم الطريق، وفكر أنه لا بد يعرفهم ولكنهم صاروا في الداخل قبل أن تتضح الصورة في رأسه.

عبر النافذة رأى غابرييل وجميع من يقف إلى جانبه سبيدي يتجه نحو الضيوف بخطوات سريعة صغيرة بحذائه ذي الكعب العالي، وصل إليهم وأسرع بتقبيلهم قبل أن يقودهم إلى إحدى الطاولات.

بعد أن أجلسهم سبيدي عاد بعد بضع دقائق ونظر باتجاه غابرييل. وبلحظة كان في الخارج.

Twitter: @ketab_n

-" ستدخل أيها الطفل الجميل ؟ أعتقد بأنك ستدخل."

وقبل أن يتمكن غابرييل من قول أي شيء كان سبيدي قد أمسك بيده وفك الشريط المخملي ودفع به عبر الحشد.

أعجب غابرييل بذلك، يمكنه التعود على الامتيازات، فكر.

جلس سبيدي قربه إزاء طاولة العمليات ومن تلك المسافة استطاع غابرييل أن يتفحص بريق سبيدي الشاحب الأصفر كالقمر في يوم غائم. لم يستطع غابرييل مقاومة التمتع بالحماس الذي عامله به سبيدي.

-" هل هناك ما يمكنني أن أخدمك به غابرييل؟"

-" أريد أن أشكرك على إعادة الصلة بين أبي وجاك أمبلر. لقد ذهبنا إلى هناك وعلمنا الفتى بضعة اشياء."

-" حقاً؟ هذا الفتى مجنون، هل أخبرتكم بذلك ؟ لقد لكم معالجه على فكه، كما سمعت. الموسيقى الوحيدة التي يتقنها هي بعض تمارين بالأصابع الخمس. ها ها ها."

-" لا يهم، لقد ساعده أبي، كانت معنوياته منخفضة بسبب أمي وكل تلك الأمور. في الواقع كان قد وصل إلى الصفر."

-" أنا آسف لسماع ذلك، هذه الأشياء يمكن أن تحطم أعرف ذلك. وهل هذا ما كان يحدث لك؟"

-" أعتقد ذلك."

-" هيه ما رأيك ببعض العصير أيها الفتى، بيرة؟ مثلجات؟ لست متأكداً؟ ما رأيك أن أنادي النادلة؟"

كان سبيدي يراقبه.

قال غابرييل:

-" سآخذ عصيراً الآن".

Twitter: @ketab_n

-" أوج !" صرخ سبيدي واثقاً من أن صوته سيسمع، ثم التفت إلى الفتى قائلاً:

-" لقد كنت ماراً بنا؟ تعال في أي وقت تشاء."

-" وماذا بشأن الحشد في الخارج؟"

لا تقلق بشأن هذا. كل ما عليك هو أن تدخل. تبدو بحالة جيدة. أحب شعرك وهو مرتب بهذا الشكل. طريف كم أنت أشقر وهما أسمران. لقد عرفت أبويك لفترة طويلة إنهما شخصان طيبان." وتابع وكأنه عاجز عن التوقف عن الكلام:

-" أنت تشعر بالوحدة أليس كذلك؟ الأحد بعد الظهر، هذا ما يصيبني في ظهيرة أيام الآحاد، ولا شيء مسل على التلفاز. لقد نظمت حياتي بحيث أتجنب فيه ظهيرات أيام الأحد تلك التي يتبعها طبعاً يوم اثنين في المدرسة. لا تعترض... أعرف كيف يمكن أن تكون الأمور جيدة بالنسبة لفتى."

-" حقاً؟"

-"تعرف لقد كنت أتحدث إلى أحد الأصدقاء وهو كاتب، وأخبرني عن ورشات عمل أقامها للفتية، وعندما طلب منهم الكتابة عن طفولتهم تبين بأن الجميع قد تعرضوا لسوء معاملة وإهانات من قبل الكبار - أليس كذلك؟"

" فرد غابرييل:

-" واو إنه أمر شائع إذن."

-" فعلاً، انظر غابرييل، انظر هناك "

وأشار إلى الطاولة التي يجلس إليها الأربعة المهمون الذين جاؤوا قبل قليل.

Twitter: @ketab_n

-" هذا شارلي هيرو ألم تعرفه؟ "

-" هل هذا هو؟ إنه أكبر بكثير..."

" أجل لقد عزف والدك معه إنه يجلس مع زميل دراسته كريم أمير، الممثل نصف الهندي، وقد خرج حديثاً من المشفى. لقد مثل في ذلك الفيلم الضخم حيث كل تلك الرمال - لم أعد أذكر اسمه. لقد أنتجه جاك أمبلر. وكان هناك حفل لطيف في الغاغا وعزف تشارلي " اقتل من أجل دادا" مع فرقته القديمة وقد انضم إليهم كريم وصار يؤدي الهارموني. ثم وضع سبيدي فمه على أذن غابرييل وهمس " أنت تعرف وهذا ليس مجرد نميمة الكل يعرف ذلك..."

-" ماذا ؟"

-"لقد كانت أم تشارلي وأبو كريم عاشقين منذ سنوات بعيدة لقد أخبرني كريم بأنه رآهما في الفناء الخلفي في بيكنغهام مرة."

-" واو أنا أحب هذه القصص القديمة عندما كان كل الناس يعرفون قصص بعضهم بعضاً."

-" وقريباً ستعرف أنت كذلك كل شيء. سأعمل على ذلك. لقد ماتت هي، ويقال أن الأب كذلك مات ولكني لست متأكداً يمكنني أن أبحث في مجلة " مرحبا" هل تريد توقيعهم ؟ لماذا لا تقابلهم؟ سآخذك إليهم."

نظر غابرييل من بعيد إلى كريم وتشارلي باستغراق واستخفاف. وقال لنفسه لو كان لدي ما لديهم من مال لتمكنت من صنع فيلمي وما كنت جالساً هنا.

-" في وقت آخر ربما " رد غابرييل " لدي عمل يجب أن أنجزه" انحنى إلى أمام كان آرشي هناك معه يمده بالقوة." ثم قال:" أردت رؤية صورة ليستر."

Twitter: @ketab_n

-" ها هي ذي يا صديقي هناك تحت الضوء. تعال وانظر إليها ملياً في أي وقت تشاء. سنأتي لك بكرسي مريح إذا كنت تريد أن تشعر بالراحة. إنه عمل فني."

-" ليستر جونز لم يقدم الصورة إلى أبي. لقد قدمها لي. أرادني أن أحتفظ بها لأنني أعجبته. هذا ما لا يستطيع الناس رؤيته سبيدي. إنها ليست مسألة مال. لقد أعطاها لي مجاناً، هدية."

-" ما الذي تقوله؟"

-" لقد قال لي ليستر بأني موهوب."

-" حقاً؟ موهوب؟ بأي شيء؟"

-" في الرسم وفي صنع الأفلام. أنا أعرف كيف أفعل هذا. وهذا ما سأفعله. هناك الكثير من الأشياء حولي، وهذا يؤرقني. أريد أن أكون الأفضل سيد سبيدي. "

-" عندما تكبر؟"

-" أجل، يوماً ما."

-"واو، هذا كاف بالنسبة لي لأعطيك موافقتي التامة."

-" قبل كل شيء إن أبي موهوب أتعرف؟ وأنا ورثت هذا عنه."

-" لا، إذا كانت لديك الموهبة فقد أخذتها من ذاتك، ولا تنس هذا. يمكن للمرء أن يرث ربطة عنق قديمة ولكنه لا يرث موهبة، هذا شيء أعرفه جيداً. "

كان سبيدي ينظر إليه ثم تابع:" أتعتقد بأني لم أحاول كتابة وصناعة أفلام؟ لقد جلست وراء مكتبي لفترات طويلة أو على الأقل بدت لي طويلة ولم أتمكن من تخيل أي شيء! الشيء الوحيد الذي كتبته كان شيكاً."

Twitter: @ketab_n

-" بالنسبة لبعض الناس فإن التخيل هو الشيء الأكثر بديهية في العالم. وهم لا يكابدون ليحدث الأمر. بمجرد أن تأخذ الطريق تتراءى الأشياء لك."

-" قد يكون الأمر كذلك بالنسبة لك غابرييل. ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي. أو لنقل أنني في اللحظة التي يتراءى لي فيها شيء أدرك بأنني كنت قد رأيته قبلاً في فيلم أفضل بكثير مما يمكن أن أصنع، وأنه لا يستحق كتابته ثانية. أنت شخص محظوظ غابرييل " ثم خفض صوته وتابع:

-" كل أحمق في هذا المكان يحاول كتابة نص ولدى كل واحد منهم قصة رديئة يحتفظ بها في درج من أدراجه. ولكن في النهاية كم واحد منهم مهيأ بشكل حقيقي ليتابع العمل؟ قد يكونون قادرين على الكتابة ولكن ليس إلى الحد الذي يحققون فيه شيئاً. إذا كنت فعلاً قادراً على فعل ذلك فأنت الأفضل. ولكني أعرف هؤلاء الناس، الفنانون الخلاقون، إنهم أنانيون ومهووسون بأنفسهم. إن الرغبة بتحقيق النجاح والشهرة ليست جميلة. إنه عطش لا يمكن إشباعه أو إرضاؤه أبداً . وهذا ما يجعل من الناس نجوماً."

-" سيد سبيدي " قاطعه غابرييل.

لاحظ غابرييل أن سبيدي على عكس معظم الناس الآخرين لم يترك فجوة في الحديث، على أي حال بدا أنه لا يمانع ببعض التدخل. ربما كان الإصغاء يتيح له فرصة متابعة ما يجري في المطعم.

تابع غابرييل:

-" أعتقد أن ليستر سيكون منزعجاً أن تكون الصورة هنا. ما كان على أبي أن يبيعك إياها. فهي ليست له. إن أبي شخص طيب وجيد

Twitter: @ketab_n

ولكنه كان يائساً ومحبطاً ويعاني من عوز. لقد اعترف لي بأن تصرفه هذا سيء، إنه يعرف بأنه ارتكب خطأ."

وبدأ غابرييل يفرغ جيبه من الأوراق والقطع النقدية ويضعها على الطاولة.

-" ما الذي تعتقد أنك فاعل؟"

-"خذ هذه سيد سبيدي أريد أن أشتري الصورة ثانية.- أريد صورتي."

-" انتظر... هل قلت ليستر سينزعج؟ ومن يكترث؟ ليذهب ليستر إلى الجحيم. إنه يملك كل ما يمكن أن يتمناه المرء. إنه رجل مهم حتى أنه لا يدفع الضرائب. فلماذا سيهتم بصورة ؟ يمكنه أن يرسم المزيد، لا أعتقد أن رسم هذه استغرق منه أكثر من عشر دقائق أو لنقل عشرين بكل ما فيها."

-" أنا قلق بشأن الصورة."

-" كيف يمكن لأي كان أن يقلق بشأن صورة؟"

-" إن هذا ليس هو المكان الصحيح الذي يجب أن توضع فيه."

-" حيثما أتواجد أنا هو مكان جيد لصورة. أؤكد لك ذلك أيها الفتى، هل لديك مشكلة غابرييل؟"

-" سيد سبيدي.."

-" إذا كنت حريصاً على الصورة بهذا الشكل فلا بد أن يكون هناك سبب لذلك."

كان سبيدي يجلس قربه يداعب ركبته. وكان غابرييل يسمع آرشي يصرخ. طلب منه غابرييل ألا يلمسه، ألم يكن معتاداً على ذلك من المدرسة ؟ يمكن أن يكون هناك أشياء أسوأ!

قال غابرييل:

Twitter: @ketab_n

-" لقد اشتريتها، لديك الكثير من المال ولكن سبيدي أريد أن أسألك هل هناك ما يمكنني أن أفعله من أجلك؟"

-" عفواً؟"

-" هل هناك؟"

وضع سبيدي يده على جبهته وتراجع للوراء.

-" هذا الفتى الصغير، إنه السؤال رقم واحد الذي كنت أنتظره طوال حياتي ! هل تعطيني الوقت الكافي لأفكر به؟" كاد سبيدي يغص وعيناه تجحظان.

-" يا لك من فتى ها ها ها."

مر تشارلي هيرو قربهم فأمسك سبيدي يده:

-" هيه تشارلي..."

-" ماذا هناك سبيدي؟"

" أقدم لك غابرييل إنه ابن صديق لي " رفع تشارلي حاجبيه فقال له سبيدي:

-" لا، ليس ما تعتقد قلت لك صديق وليس غلاماً. أبوه هو ريكس بانش عازف الغيتار كان في البوش معك."

-" لو كان لدي ذاكرة لتذكرته " قال تشارلي ثم وضع يده على كتف غابرييل.

-" تذكرت شيئاً... كنا نعزف في الهواء الطلق وفي المساء عندما كان الجو يبرد كانت قدم ريكس تبرد وكان علينا أن نحضر له مدفأة كهربائية لكي يبقى دافئاً، وعندما يدفأ كان يستأنف العزف. لم يكن يستطيع الوقوف بشكل مستقيم دائماً ولكنه كان ماهراً في ضرب الأوتار."

-" نعم إنه ضارب أوتار جيد. كيف حال كريم ؟" سأل سبيدي.

Twitter: @ketab_n

-" إنه جيد في الوقت الحاضر. ليستر يصنع بعض الموسيقى الرزينة لفيلمه الجديد . لقد صار عنده ابن الآن... اسمه هارون وينادونه هاري. كما أنه سيتزوج."

-" سيكون هناك حفل؟"

-" أعتقد ذلك."

-" أين؟"

-" في مينتال أو آنوس ربما." رد تشارلي وهو يخفض صوته.

-" سبيدي..."

-" نعم"

-" ارسل تلك النادلة إلى طاولتي لتطلب توقيعي وقل لها أن تتجاهل كريم تماماً وألا تطلب منه أي شيء. واطلب منها أن تمنحني قبلة. هذا مسموح أليس كذلك؟"

-" طبعاً "

كان تشارلي يضحك وعندما ذهب قال سبيدي:

-" شخص لطيف. غير موهوب ومغرور بقدر ما كانت كليوباترا مغرورة ؛ ولكنه لامع" ثم أشار إلى بنطاله.

-" إن بنطاله هناك في تلك الخزانة لقد سمعتك. لقد ولى. لكنه لمس عندي النقاط الحساسة."

-"ما رأيك ؟"

" إذا كان جزء مني ينتمي إليك إذن لا بد أن ينتمي جزء منك إلي ولكن أي جزء؟"

كان سبيدي ينظر بشكل مريب وهو يفكر " ما الذي أريده منه على وجه الدقة؟"

Twitter: @ketab_n

ثم نظر سبيدي وعيناه تلمعان فسأله غابرييل:"

-" لماذا تنظر إلي هكذا محملقاً؟ "

عندما أنهى كلامه أمسك سبيدي قائمة الطعام ثم قدم لغابرييل بعض الكوكائين لتساعده في الطريق.

تذوقها غابرييل ثم قال بعد لحظة تردد:" لا، شكراً عندي رشح. في المرة المقبلة. وأشكرك على كل شيء."

بعد بضع دقائق كان غابرييل يراقب نادلاً يفك الصورة عن الحائط ويلفها بورق بني سميك ويربطها ويترك خيطاً بارزاً ليمسكها به وقدمها لغابرييل.

-"خذ إنها لا تزال لك يمكنك أن تأخذها."

-" أعتقد ذلك"

لوح غابرييل لتشارلي وكريم ولكن تشارلي كان يوقع ورقة بينما نهض كريم وترك الطاولة.

وقف سبيدي وأمسك الباب متيحاً لغابرييل الخروج.

-" أراك لاحقاً" ثم تابع " لا أستطيع الانتظار"

"إلى اللقاء وأنا أيضاً." " قال غابرييل

-" انتبه لنفسك لا تتراجع "

-" لا"

" جيد إذن في غضون أسبوعين سأتصل بك."

فرد غابرييل:" أتطلع إلى ذلك."

-" عظيم."

-"عظيم."

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني عشر

صار على بعد ميلين من البيت.

اعتاد غابرييل أن يمشي وكان الوقت متأخراً في عصر يوم الأحد ذاك، وكانت الشوارع مليئة بالمتبضعين، وبعض الأماكن مزدحمة لدرجة أنه كان يضطر معها إلى أن يتوقف ويستند إلى حائط ليتمكن من المرور. وكانت موجات الحر التي تندفع من أبواب المخازن ومن أنفاق المترو على الرصيف تشعره وكأنه في الجحيم. كان يشعر بأنه قادر على أن يتنقل في المخازن عبر غرف القياس ثم إلى الشارع دون أن يلامس الأرض الملمعة.

الصورة في إطارها كانت ثقيلة وكبيرة ويصعب حملها فهي أطول من يده، وحوافها التي مزقت الورق البني بدت وكأنها مصنوعة من أسلاك. أحياناً كان يحملها تحت إبطه ثم يبدلها إلى الآخر. كما حملها لبعض الوقت على رأسه ولكنها انزلقت إلى الوراء ولولا أنه تدارك الأمر لوقعت على الأرض.

بدأ يشعر بحرقة في قدميه، وكانت يداه تؤلمانه ويشعر أنهما تكادان تتمزقان. وبدا له أنه من غير الممكن ركوب الباص لأنه لن يتمكن من ادخال الصورة من الباب خاصة وأن سائق الباص لن يتوقف

Twitter: @ketab_n

من أجله حين يدرك بأنه سيضطر إلى فتح مصراعي الباب. وقد جرت العادة أن يتوجه الناس المحملون بالأغراض بعد أن ينهوا مشترياتهم من المخازن إلى الرصيف وهم يرفعون أيديهم ليوقفوا سيارة أجرة.

التفت يمنة ويسرة، لا يعرف ماذا يفعل. لن يصل بهذا الشكل إلى البيت أبداً. كم أثقلت عليه هذه الهدية.

تعب جداً وتهيأ له أن أحداً يناديه. وفكر بأنه قد اكتفى من الهلوسة، وإذا به يرى زاك يقف أمامه.

-" غابرييل أين كنت؟"

كان سعيداً بأن يضع الصورة على الأرض.

كان زاك بصحبة أبيه ورجل شاب شعره غير ممشط وكانوا يحملون أكياس التبضع. والد زاك الذي صار الآن يضع عدة حلقات في أذنه وضع الأكياس أرضاً وأمسك بيد الشاب. تذكر غابرييل بأن زاك أخبره بأن حبيب أبيه هو بسن ابنته، أخت زاك الكبرى. إذا كان غابرييل قد اعتقد بأن حياته صارت غريبة فما عليه إلا أن ينظر إلى حياة زاك لكي يستمد بعض التوازن.

-" لم أكن في أي مكان." أجاب غابرييل

-" لم تتصل بي منذ زمن بعيد."

-" لم يكن لدي وقت."

كان جوابه صريحاً ولكنه أزعج زاك.

-" لقد صرت مشغولاً جداً بحيث لا يتسع وقتك لنا هيه؟"

-" أنا أخطط لصنع الفيلم مع بيلي"

-" لماذا؟ لقد كانت تلك فكرتي وليس لبيلي شأن بذلك. ولعلمك بيلي عنيد جداً."

Twitter: @ketab_n

-" صحيح، لدى أبي كاميرا صغيرة سأستخدمها. اعتقدت بأنك سترفض."

-" لماذا أرفض؟"

احمر زاك ثم تابع:" أنت أكبر من أن تعاشرنا فأنت ترافق ليستر جونز الآن "

-"ليس لهذا شأن بذاك" قال غابرييل ثم تابع:" أنت تعرف بأنه عرف أبي منذ وقت طويل."

-" أنت لا تعرف ليستر جونز حقاً؟ هل تعرفه؟ " قال الشاب

-" لقد قابلته " أجاب غابرييل

-" أتوقع بأنه قابل إناساً كثيرين "

-" صحيح " قال غابرييل " ولكنه لم يقابلك" ثم استدار نحو زاك الذي كان يضحك قائلاً:

-" سأمر عليك ومعي السيناريو."

-" لن أصدقك حتى أراه." رد زاك

-"زاك" قال غابرييل وهو يمسك به من كتفه:" أرجوك صدقني. أريد أن أقوم بهذا العمل أكثر من أي شيء آخر."

-" يبه، يبه، لقد سئمت من انتظارك أيها الرجل."

هنا أدرك غابرييل بأنه لم يكن قادراً في الفترة الأخيرة على التفكير بأي شيء سوى همومه المستجدة. ما كان يحتاج إليه هو ذهن صاف، ذهن بحالة إجازة بشكل من الأشكال.

-"انظر إلى كل هذه الأغراض" قال والد زاك لقد تسوقنا مع حرارة هذا اليوم، سوف يخيب أملنا إذا لم نتجاوز الشارع على الأقل؟؟؟

Twitter: @ketab_n

لم يستطع غابرييل أن يتبين أبداً ما إذا كان والد زاك يعيش مع عائلته أم لا. كان لديه الانطباع بأنه أحياناً يعيش مع امرأة، وأحياناً أخرى مع صديقه، وحتى من وقت لآخر مع زوجته. لقد كانت حياة الكبار محيرة دائماً، لغزاً بالنسبة له. كيف يمكن لرجل بهذا العمر وغير جذاب الحصول على أي كان، ولا يسمح لطبيب بأن يلمسه. على كل كان أبي قد ذكر بأنه معجب به، كما أن غابرييل شعر بأنه شخص منفتح الذهن.

-" إننا ذاهبون إلى البيت لمشاهدة مباراة توتنهام قال زاك " لدينا القمصان وكل ما نحتاجه هنا لماذا لا تأتي معنا؟" اقترب زاك وهمس بإذن غابرييل:" ليتك تأتي يا صديقي، سوف يحبطني هذان الإثنان بقبلاتهم طوال اللعبة وفرك مؤخراتهم ببعضها عندما ينتهي اللعب ويخلع اللاعبون قمصانهم. أعرف بأنهم يفضلون مشاهدة حفل لباربارا سترايسند."

-" ربما في ما بعد لدي عمل أقوم به."

-" هل أنت متأكد؟"

-" أجل، ولكني سأمر عليك."

-" اوكه " قال زاك " إلى اللقاء"

كانت هذه الاستراحة مفيدة. تابع غابرييل طريقه مشحوناً بالأمل.

بعد فترة قصيرة كان يمر بقرب البار حيث تعمل أمه. لم يكن يريد أن تراه، ليس وهو يحمل الصورة. ولكنه عندما تخيل بأنه ينظر إليها شعر بأن هذا سيريحه - وقف في الخارج بشكل مرئي.

عادة كان من السهل رؤيتها لكنه لم يرها هذه المرة وهي تصب الكحول في الإناء الفضي المعتاد. تساءل ما إذا كانت هناك أم لا،

Twitter: @ketab_n

استبعد أن تكون قد كذبت عليه وذهبت لترى شخصاً ما، ربما جورج. لعلها كانت في الجهة الخلفية.

ترك بعض الناس المكان، عندها تمكن من رؤيتها تجلس إلى طاولة خلف البار. كانت بصحبة رجل: أبيه.

حدق غابرييل بهذين الشخصين العاديين وهما منحنيان إلى الطاولة يتحدثان. أبوه رجل غريب، يبدو عادة مكفهراً لكنه الآن بدا مرتاحاً. وبعد قليل قالت أمه شيئاً وداعبت يد أبيه. كانت كصورة قديمة، نظرة ذعر إلى الماضي. وللحظة استطاع أن يرى كيف أحبا بعضهما في أحد الأيام.

نظر طويلاً ليرى ما إذا كان يستطيع أن يقرأ شفاههما. أراد أن يعرف ما إذا كانا يلفظان اسمه. هل كانا يتحدثان عن رؤاه أم عن مستقبله كمحام؟ ولكنه كان بعيداً جداً بحيث يصعب عليه أن يعرف. على أي حال، شعر بارتياح. فكونهما معاً يهتم كل منهما بالآخر سيمكنه من الاهتمام بفيلمه مجدداً، وبكل ما أراد أن يقوم به في أحد الأيام.

حمل الصورة وتابع رحلته الصعبة. وكان إنشاً بعد إنش يتألم ويتذمر ويتعثر.

قالت له هانا بأن الوقت قد حان لتحضر طعامه. لم تسأله أي شيء عن الصورة التي دخل الباب وهو يحملها إلا عندما دخلت إلى المطبخ.

كان يقف على رؤوس أصابعه على كرسي غير ثابت وضع فوقه بضعة كتب وحاول دفع الصورة المؤطرة مع النسختين الأخيرتين فوق خزانة عالية.

-" أها - أها كانت تقف إلى جانب الكرسي. ثم قامت بتحريكه لتؤكد قوتها. " لقد أمسكت بك مثل سمكة علقت بصنارة"

Twitter: @ketab_n

-" هانا - لا تفعلي هذا"

-" ماذا تنوي أن تفعل؟"

-" هانا"

-" انتظر حتى أخبر أمك عن هذا سوف تشوي لحمك"

-" لا تخبريها عن أي شيء !" قال لها وخطر بباله متسائلاً ما إذا كان والداه لا يزالان يتحدثان أو أن أباه قد عاد إلى غرفته.

-" بل سأفعل" قالت بثقة:" ألا أكسب عيشي هكذا ؟ حين أخبر أمك عما تقوم به وأشي بك أحصل على مزيد من الحلوى.!"

لكي يوازن نفسه رفع يديه كان وضعاً يهدد بالسقوط ولكن كان لا بد من ذلك.

-" إذا أخبرتها عن ذلك هانا سوف تطردين."

-" باه! أيها الولد الشيطان الآن سأخبرها مرتين! وسوف تنال عقابك ! هاها ها "

-" وإذا قلت لأمي بأنك مرافقة سيئة وفظة تمضين يومك وأنت تشاهدين التلفاز سوف يعيدونك على الفور.... إن أمي حريصة جداً على حمايتي، ألا تعتقدين ذلك؟"

ساد صمت. عندما نظر غابرييل إلى هانا من حيث هو واقف رأى بأنه قد أخافها. لقد قال ما قاله دون تفكير وقد نجح بردعها.

-" لا، لا، قالت له أرجوك لا تقل لها ذلك."

-" سنرى "

-"نرى؟"

" يعتمد هذا على سلوكك. وبنفس الوقت أعتقد بأني بحاجة لشيء آكله، ساعديني على النزول من فضلك."

Twitter: @ketab_n

-" أجل أجل " قالت وهي تمسك بيده لكي يقفز:" ما الذي تريد أن تأكله أيها الولد الغالي؟"

-" زبدة الفستق ولا تنسي المربى والعسل ومخفوق الحليب "

-" لا، لا لن أنسى على الفـــور " قـــالت وهي تنزل الدرج وتسأله:"أتريد الحليب مع الفريز أم الفانيليا ؟"

-" من هذه وتلك "

" على الفور لن أتأخر هل هناك شيء آخر؟"

-" ما رأيك ببعض الحلوى؟ يمكنك أن تتناولي بعضها كذلك."

-" صحيح؟"

طأطأ رأسه بالايجاب

-" شكراً، لن تخبر أمك أليس كذلك؟"

-" لم أقرر بعد ما الذي سأفعله معك هانا. بعض تصرفاتك تبدو غريبة أحياناً، إن سوء معاملة الأطفال هو أمر يؤخذ بشكل جدي جداً في هذه البلد." السجون مليئة بالأجنبيات اللواتي أسأن التصرف وهناك مكان لواحدة إضافية."

تنحنحت بلطف ثم أسرعت لإحضار طعامه.

أحضرت له شوكولا ساخنة كان متمدداً في سريره يعمل على قصة فيلمه ويكرر الحوار بصوت عال عندما جاءت أمه. كانت ترتسم على وجهها تلك التعابير المسكينة والتي كان يسميها " تعابير الأطفال الجياع في أفريقيا"

-" غابرييل أنت تتحدث إلى نفسك مرة أخرى؟ علي أن أخبرك بأنك تقلقني !" قالت وهي تمسد رأسه ووجنتيه.

Twitter: @ketab_n

-" ما الذي كنت تفعله؟"

-" أعمل على فيلمي."

-" وكيف تسير الأمور"

-" إنني أتمتع بالعمل."

-" عندما ستقوم فعلاً بالعمل هل أستطيع مساعدتك في صنع الثياب؟"

-" هل ترغبين بذلك؟"

-" أعتقد أنني أحب ذلك "

لاحظ أن ظل هانا ينعكس وهي واقفة خلف الباب تسترق السمع.

-" كيف هانا؟" همست أمه

-" لماذا تسألين؟"

-" أشعر بالذنب لأنني أتركك معها طول الوقت. هل تعاملك بما يجب من الاحترام؟"

تردد غابرييل وهو يسمع قرقعة خلف الباب كان يرى إحدى عينيها.

-" لقد صرت أحبها الآن، إنها تعتني بي بشكل جيد."

رمشت عين هانا عدة مرات.

-" حسن " قالت أمه ثم تابعت:" بالمناسبة هل اتصلت اليوم مع الأرواح؟"

-" عفواً؟"

-"آرشي " لفظت اسمه بحنان " ابني المتوفى. هل تتحدث الأصوات بداخلك وكل تلك الأشياء التي أخبرتني عنها.... إنها تقلقني".

Twitter: @ketab_n

-" لكل إنسان أصوات يسمعها، ولكن الناس يخفونها عن بعضهم. الناس يخفون الكثير. أعتقد أن ذلك كله كان تخيلات."

-" أنت لا تسمع هذه الأصوات كثيراً أليس كذلك؟"

-" لا ليس كثيراً نحب أن نبقى على اتصال عندما تدعو الضرورة."

-" لا بد أنك تشعر بالوحدة."

-" أحياناً، وماذا عنك؟"

" هل أشعر بالوحدة؟ لا أعرف. هل تعتقد ذلك؟"

-" قليلاً"

تساءل ما إذا كانت ستقول له أي شيء عن لقائها بأبيه. إنه لأمر غريب كيف يخفي الأهل كل شيء عن أبنائهم ويريدون في الوقت نفسه معرفة كل شيء عنهم..

ثم سألها:" هل حدث أي شيء مثير للاهتمام اليوم؟"

" لا، كل شيء كعادته."

شك للحظة ما إذا كانت رؤية أبويه معاً كان هلوسة. ولكنه كان على ثقة بأنها لم تكن كذلك.

-" هل جاء لعندكم شخص ما غريب؟"

-" مثل من ؟"

-"جورج"

-"لا"

-" هل يحبك جورج؟"

-" إنه يحب فكرة مرافقة إمرأة تكبره سناً. يعتقد أن هناك الكثير الذي يمكنني أن أعلمه إياه. قد يكون هناك شيء. إنه ينصت جيداً إلي (قالتها باعتزاز) ويقول لي بأنني حكيمة."

Twitter: @ketab_n

-" إنه يمتدحك. ولكنه يحتاج إلى شخص في مثل سنه أليس كذلك؟ هل تفكرين كثيراً بأبي؟"

-" قليلاً. ولكن من الأفضل أن ننسى كل هذا وأن نفكر بالمستقبل".

-" لقد قال لي أبي شيئاً"

-" ماذا ؟"

-" في النهاية وبعد كل شيء....أنه لا يزال يحبك"

-"لا... "

-" أجل لقد قالها"

-" لم يقل لي مثل هذا الكلام منذ زمن بعيد. هل كان ثملاً؟"

-" لا تكوني حمقاء."

لاحظ بأن تعابير وجهها كانت غريبة، تعبير سرور، وتجاهل، وإحراج.

سألها:

-" هل تعتقدين بأنك يمكن أن ترينه... في المستقبل القريب؟"

-" سنرى، لا أعرف شيئاً بشأن هذا الرجل أنا حقاً لا أعرف شيئاً."

لم يسألها أي سؤال آخر.

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث عشر

بعد عدة أسابيع تفاجأ غابرييل بأن هانا لم تكن تنتظره بعد انتهاء المدرسة عند زاوية الشارع. ولم يكن من عادتها أن تتأخر. كان يتوقع اتصالاً هاتفياً ينقل إليه أخباراً - اتصالاً يتوقع أنه سيكون مخيفاً ومثيراً.

بدأ يسير باتجاه البيت عندما رأى أباه يتجه إليه مسرعاً حاملاً غيتاره وعلبة اسطواناته الموسيقية ويتحدث على الهاتف النقال. وكان قد اعتذر عن آخر موعدين يفترض أن يلتقيا بهما. لا بد أن شيئاً ما قد حدث، لا بد أنه يعمل.

-" لقد اتصلت بهانا وأخبرتها بأنني سأمر لآخذك من المدرسة. " قال أبوه وهو يقفل الخط. " ثم سأتوجه إلى جنوب لندن من أجل بعض الدروس "

-" ستعبر النهر؟"

-" لا بد من ذلك. أنني أتنقل في كل الأمكنة وأنا متحمس بشأن بعض الجسور والمنازل، والشوارع الغريبة، صفوف ممتدة من الآجر، المدينة- أراها وكأني سائح. عندما أخرج إلى تلك المناطق أشعر بأني هش، مثل رجل عجوز، كما لو أنه من الممكن جرحي بسهولة. ومع ذلك

Twitter: @ketab_n

أشعر وكأنني أراها للمرة الأولى منذ سنين. تتحول الأشياء من الرمادي لتصبح ملونة. سأعلمك كيف سيكون الطقس هناك في الجنوب. بعد ذلك سأذهب إلى متجر موسيقي مع شخص يريد أن يبتاع غيتاراً."

جنباً إلى جنب مع المدلكين، ومروجي المخدرات، والمحاسبين، والمدربين الخاصين، ومدرسي اللغة، والعاهرات، ومقلمي الأظافر، والمعالجين الفيزيائيين، ومصممي الديكور، وآخرين كثيرين من المعتمدين على الأغنياء والذين يشكلون فئة تقترب من فئة الخدم، وجد أبي لنفسه مكاناً على طاولة الأغنياء.

كان يعلمهم الموسيقى كما كان آخرون يقدمون الثياب أو كشف حساب أو يقلمون الأظافر. إذا كانت الثروات الكبيرة التي تملكها فئة قليلة ستزول كما قيل للناس، وبأن هذا شيء لا مفر منه، فستجد المستوى الذي ستصل إليه من خلال ريكس.

أحب أبي الطريقة التي كان يتطور فيها عمله الجديد، وباستثناء العمل الذي كان يتقاضى منه الأجر الأكبر والذي كان يصرح بأنه يقوم به بدافع الفضول فقط. فقد بدأ يساعد مجموعة من "أولاد المدينة" الأثرياء الذين شكلوا فرقة سموها "بوم" ليعزفوا في الحفلات وأعراس الأصدقاء. أسوأ ما في الموضوع كان اضطراره لحضور الحفلات التي يرتادها الأثرياء متأنقين بأحذيتهم الجلدية الغالية. وأقيمت أولى هذه الحفلات في الريف في خيمة. وكان غابرييل يدرك أنه مهما تذمر أبوه فقد كان يتمتع بالشمبانيا والطعام والاحترام.

كان أبوه لا يزال غير قادر على فهم أنه على الرغم من أن أحداً لا يريده كعازف إلا أن الجميع يريدون التعلم منه. ولحسن الحظ ما كان

Twitter: @ketab_n

يمتعه أكثر - وقد أدرك ذلك على الفور- كان العمل مع الشباب. ولأسباب لم يكن هو نفسه يفهمها كان يستطيع أن يمنحهم الاهتمام الذي لم يكن أولياؤهم قادرين على منحهم إياه. اليوم كان في طريقه لرؤية طالبة رشحها كارلو، صديقته السابقة، وهي فتاة فاقدة الشهية للطعام كانت تريد تعلم العزف على الباسون مع أنها كانت لا تكاد تستطيع حمله. وأبوها الذي بدأ دروساً في العزف على الغيتار.

-" لقد كنت في المكتبة أبحث عن كتب عن التعليم والموسيقى. إن القراءة أمر مثير للاهتمام كما تعرف. أتمنى لو أنني كنت قد قرأت أكثر، عوضاً عن مشاهدة التلفزيون أو الجلوس في الحانة."

-" ما الذي جعلك تقرأ الآن؟"

-" أريد أن أكون سباقاً لتلاميذي ولو بخطوات قليلة. بعضهم ذكي فعلاً. دفتر يومياتي مليء تماماً وبدأت أسجل تلاميذاً للسنة القادمة."

تفاجأ غابرييل من أن يكون لدى أبيه دفتر يوميات أصلاً. ترى ما الذي يمكن أن يكون قد دون عليه حتى هذا اليوم؟ حتى أنه لم يذهب إلى طبيب الأسنان. في السابق عندما كان يريد شراء دفتر يوميات كان ينتظر حتى شهر آذار ليشتريه بنصف الثمن.

-" أنت تحب التدريس أليس كذلك؟ " سأله غابرييل " كيف هو ذلك الأحمق الصغير الذي...-"

-" تعني كارلو؟ لقد بدأت العمل معه وكأني أعلم طفلاً صغيراً المشي. فهو بطيء ويتوقف طوال الوقت ولا يستطيع مجاراة سرعة خطوك. فتضطر أن تجاري أنت خطوه وأن تأخذ إيقاعه. إن كارلو منغلق على ذاته، ولكن هناك بصيص أمل، لأن هناك ما يحب أن يعزفه وأن

Twitter: @ketab_n

يستمع إليه. إنه حالة غريبة. عندما أتمكن من تحسين شعوره وأرى السرور بادياً عليه فإن هذا يجعلني..."

-" السرور في عينيه؟"

-" أجل، وهذا ينتقل إلي فأشعر بتحسن. وما عدا ذلك فكل ما يجري جيد، التعليم شيء جميل وصحي."

قال غابرييل:

-" أنت تمضي معه وقتاً أكثر مما تمضي معي."

أحاط الأب غابرييل بيده:

-" يا إلهي، يا رجل، هل هذا هو شعورك؟ هل تشعر بالوحدة؟"

في الليالي الأخيرة الماضية كانت والدة غابرييل تكثر من الخروج عندما تنهي عملها. كانت تقابل جورج حسبما افترض. وفي إحدى الليالي لم تعد إلى البيت، وجاءت في الصباح الباكر وادعت أنها قد استيقظت للتو.

-" هل نمت جيداً ؟" سألت غابرييل.

-" أجل، شكراً".

وشك من النظرة القلقة المرسومة على وجهها ومن بساطة الثياب التي كانت ترتديها بأنها كانت تخرج لتقابل أباه من حين لآخر.

وعندما كانت تعود إلى البيت كانت تتحدث في الهاتف لساعات مع صديقاتها. وكانت تؤنب هانا صارخة على إهمالها للبيت، قبل خروجها ثانية. لم تخبر غابرييل أي شيء عما تفعله ولا شك حرصاً عليه.

ولكن عندما يتعلق الأمر بالأهل يزداد لدى الأبناء الميل للتحري، فيعملون في الخفاء، ويبحثون عن تفسيرات، ويدققون في أي دليل يمكن

Twitter: @ketab_n

أن يساعدهم على كشف هذا الغموض. رأى أمه وهي تستمع إلى تسجيلات " تعلم الإيطالية" كما كانت تبحث عن كتاب رسم لبيرو ديلالا فرانشيزي. وتذكر أن جورج قال بأن لوحة هذا الفنان " المرأة الشابة بالفستان الأزرق" كانت موجودة بمكان غير بعيد عن قصره.

على كل لم تكن أمه المراهقة كما كان يسميها تبدو بحال جيدة. كانت تبدو وكأنها تبكي طوال الوقت. وكانت تهزل وتكثر من شراء الكتب ذات العناوين " ساعد نفسك". فوق سريرها أوراق تبعثرت ألواح الشوكولا، وكانت تشرب تيا ماريا في الصباح. لم تكن عجوزاً بعد، ولكنها بدأت تبدي الملامح الأولية لأي نوع من العجائز ستكون عليه، ولم تكن تشبه الصورة التي تحدثت عنها عندما كانا في منتزه كيو. كانت أكثر حزناً ويأساً.

كان غاضباً لأنها لم تكن قد عادت إلى البيت بعد. أراد تجاهلها ولكن لا بد أن تكون موجودة لكي يتجاهلها. فأنت لا تستطيع تجاهل أحدهم إذا كان لا يدرك أنك تتجاهله، أو إذا كان هو نفسه يتجاهلك. لقد قررت بأنه سيصبح محامياً وهذا كل شيء. وهي تعتقد أنها غير معنية بمعرفة أي شيء آخر عنه فيما عدا ذلك.

تابع والده:

-" لم أعد أسكن في البيت الآن وهناك مسافة تفصلنا غابرييل. وفي كل مرة نلتقي علينا أن نبدأ من جديد. علينا أن نبذل بعض المجهود بهذا الشأن. ولكنك أخذت الكثير عني طوال هذه السنين، وأنا علي أن أقوم بعملي، إذ صار لدي عمل الآن. وأنت تعرف يا حبيبي أين ستودي بي الحال بدون هذا العمل."

Twitter: @ketab_n

-" وهل دخلك جيد؟"

-" لسوء الحظ نعم. في نهاية الدرس يصيبني الإحراج دائماً عندما يبدأون بكتابة الشيكات وأكاد أقول لهم ولم هذا؟"

-" ولكنك لا تفعل أليس كذلك؟"

-" وهل تعتقد أني أحمق."

-" ماذا لديك في حقيبة الموسيقى هذه؟"

-" ماهلر السيمفونية الخامسة إنها خفيفة -ثقيلة"

-" هذا كل شيء؟"

-" سأسمع ذلك الفتى حركة الأداجيو فقط - بضع مرات ريثما تخترق أحشاءه ربما " قال الأب وهو يدفع بطنه بإصبعه.

-" ولكنك تدرس عزف الغيتار الجاز أليس كذلك؟"

-" لقد أصبحت مولعاً بماهلر "

-"احتفظ بذلك لنفسك."

- سيفهم الفتى الحزن في الموسيقى. ما الذي تتوقع أن أسمعه... فرقة السوبريم؟"

-" ولكنك تحب السوبريم."

-" كان من الممكن أن تكون الأمور أسوأ. كأن أسمعَه بارتوك مثلاً، الرباعية الوترية. معظم الموسيقى القديمة تصيبني بالملل. الخمسينيات والستينيات هما العصر الذهبي للموسيقى الأمريكية. ومعظم ما صدر بعد ذلك قَيِّم بأكثر مما يستحق. أرى أن موسيقى البوب في هذه الأيام هي للشباب. ولكني اكتشفت اليوم أن الكاتب الألماني غوته قال: بأن الموسيقى تبدأ حيث تنتهي الكلمات. بالنسبة لبعض

Twitter: @ketab_n

الناس يمكن للكلمة أن توضح أكثر من اللازم. وهنا أستطيع أن أقول بأن الكلمة تموت يا صديقي عندما يبدأ ماهلر."

كان غابرييل قلقاً من احتمال أن تلامذة أبيه قد يسخرون منه كما كانوا يسخرون من أساتذتهم الآخرين ويهزأون من أشرطة الووكمان المتدلية من أذنيه وأشرطة النظارات وأشرطة التلفون، أو من الطريقة التي يرفع فيها بنطاله إلى ما فوق خصره، أو من عادته بأن يحك جسمه بأظافره، أو حتى من حماسه حين يجلس مستعماً إلى لحن وعيناه مبللتان بدموع التأثر.

قال له أبوه:

-" قل لهم أن يعزفوا في جنازتي شيئاً من ألحان مايلز وهذه الأداجيو لماهلر."

عادة كان ذكر موته مناسبة لبعض الابتزاز، أما الآن فهو يشير إلى موته كمناسبة ليذكر ألحانه المفضلة.

تبعد محطة الباص عدة ياردات عن منزلهم في نهاية الطريق. وبما أن أباه بدا منفعلاً اليوم فقد قرر غابرييل أن ينتظر الباص معه.

وضع الأب يده في جيبه وأعطى غابرييل بعض المال

-" هذا لك. لقد قصدت أن... ولكني لم أكن قادراً قبل الآن...."

أخذ غابرييل بعضاً منه ثم أعاد الباقي

-" هذا كل ما أحتاج إليه. علي أن أدفع أجر الأفلام التي استأجرتها."

-" خذها كلها. كل ما أحتاج إليه هو ثمن تذكرة الباص. أعط أمك الباقي ولا تنس أن تقول لها إنها مني. كيف هي فتاتنا الكبيرة؟"

Twitter: @ketab_n

-" ألا تعرف؟"

-" ماذا ؟ قد أكون عارفاً وقد لا أكون. ساعدني غابرييل - هل حدث أن ذكرتني بشيء من الحب؟"

-" لم يحدث بعد"

-" عندما نعبر عن كرهنا يكون هناك أمل للحب أليس كذلك؟ ما الذي ستفعله الآن؟ مارأيك بكأس؟"

قال غابرييل:

-" ماذا بك اليوم أبي، عيناك متسعتان، هل يوترك التدريس؟ وماذا إذا كانوا لا يريدون أن يتعلموا ؟"

-"ليس من الصعب أن نرى بأن الناس يمكنهم أن يحسموا بأنك سادي متنكر بشكل معلم، إذا لم يرغبوا بالتعلم أجلس معهم ونفكر."

-" تفكرون بماذا ؟"

-" ما أفعله هو تعليم الناس كيف يصغون إلى ما يجري في الموسيقى، كيف يسمعون ما الذي هناك. لا يمكنك أن تصنع موسيقى ما لم تكن تعرف ما هي الإمكانيات. إن الفتيان يرون ذلك. الفتيان لا يزعجوني. بإمكاننا التواصل بشكل مباشر، إنما الكبار والأهل هم الذين لا أرتاح معهم. هل لديك دقيقة كي نتحدث؟ لنأخذ كأساً واحداً. ليس الثمالة لا تهمني... فأ نا عطشان أريد فقط أن أروي عطشي."

كان الأب قد بدأ يحث خطاه عبر الشارع نحو حانته القديمة حيث يسمح للأطفال بالدخول حتى الساعة الثامنة، وكانوا يعرفون ريكس وغابرييل جيداً.

كان المكان مليئاً برجال كالأطفال آتين من مكتب البريد أو من

Twitter: @ketab_n

المحطة القريبة، ويحدقون بشاشة التلفاز المثبتة في الأعلى. وكان أصدقاء الأب يلعبون البليارد. التفتوا جميعاً إلى غابرييل، رافعين عصيهم وكؤوس البيرة قربهم وثيابهم مغبرة. نادراً ما كانوا يخرجون في وضح النهار. فقط عندما يكون النهار مشمساً يقفون في الخارج. كانوا ميالين لأكل كل ما هو أخضر وشرب كل ما هو أزرق ولبس كل ما هو وردي.

ما كاد الأب يصل البار حتى صب كأساً ووضعه على الطاولة قرب غابرييل. جلسا إلى الطاولة التي اعتادا الجلوس إليها حيث كان غابرييل يقوم بأداء واجباته المدرسية بينما أبوه يتحدث إلى أصدقائه عند البار.

على الفور بدا أن الأب استقر: كان غابرييل يتساءل هل يريد فعلاً إعطاء درسه. لقد أحب عمله الجديد لكنه كان يبدو دائماً أنه على وشك تركه.

شرب الأب نصف كأسه ولحس شفتيه وبدأ حديثه:

-" أردت أن أقول "

-" هل تلعب ريكس؟" سأله أحد أصدقائه وهو قادم إليه.

-" ليس الآن. بات. أنا جالس مع الفتى."

حيا بات غابرييل ثم سأل ريكس:

-" أين كنت؟"

-" أعمل."

-" تعمل؟"

فرد الأب:

Twitter: @ketab_n

-" استغرابك يفاجئني ويزعجني. بات، نعم أعمل... واريد أن أنهي حديثي مع غابرييل."

-" تسجل؟"

-" شيء من هذا."رد الأب

" ألم يعد لديك وقت لأصدقائك القدامى؟"

-" سأعود" قال أبي:" وأنت تعرف أن ما يصعد لا بد أن يهبط، لا تقلق"

-" أنا قلق " قال بات وهو يضع يديه على الطاولة ويقرب وجهه من وجه أبي. كانت أظافره قذرة وقال:

-" أنت مدين لي."

-" أجل ربما أكون." قال أبي وهو يضحك ثم تابع:

-" وأعتقد أنك أنت أيضاً مدين لي، كل واحد هنا مدين للآخر، ولا أحد سيحصل أكثر من حبة فول!"

-" أنت تعمل " قال بات " أما أنا فعاطل عن العمل."

-" أنا أعمل هذا الأسبوع ولكن ليس لدي الكثير أليس كذلك غابرييل؟ بإمكاني أن أتحمل العبء" ثم تابع:" وماذا حين سألتك ما إذا كنت أستطيع المكوث عندك فإنك لم تكلف نفسك حتى بالرد علي!"

-" ليس هذا ذنبي يا صديقي، إنها زوجتي."

-" اوه، نعم، الزوجة."

-" على الأقل لا زال لدي واحدة."

-" شكراً، لم أطلب منك أكثر من سقف أنام تحته ولو على الأرض في كيس نوم. لقد أصبحت أعرف الآن من هم أصدقائي."

Twitter: @ketab_n

-" أنت تعمل."

قال الرجل ثانية

-" من تحاول أن تستغبي ؟"

" انظر " قال أبي مزعوجاً:" ارحني قليلاً من فضلك. أنا الآن مع ابني. اذهب من هنا!"

-"ولكنك مدين لي" قال بات بلهجة مظلوم

-" ما هذه السترة الجديدة التي ترتديها ؟" ثم مد بات يده ودسها في جيب أبي. فأخذ أبي يده وأبعدها.

-" ألا تريد أن تريحني اغرب عن وجهي الآن."

-" اعطني ما هو لي " قال بات

كل من في الحانة كان يراقب المشهد. كانوا معتادين على مثل هذه الأمور وكانوا متشوقين للمزيد. أخذ المدير عصا الكريكت

-" ليس الآن " قال أبي:" يمكنك أن تنتظر ليومين ألا يمكنك؟ أنا أعرف أين أجدك، إما هنا أو أمام التلفاز."

-" اسمع " قال بات وفي هذه الأثناء سحب غابرييل المال الذي كان أبوه قد أعطاه له وقدمه له.

-"هكذا تتم الأمور، لديك فتى جيد وحساس."

-" لا، لا تعطه مصروفك."قال أبي " أعده إلى جيبك غابرييل على الفور."

لكن بات أخذ الأوراق النقدية قبلها وقال:" شكراً جزيلاً " ثم توجه إلى البار وطلب مشروباً.

" ابن زانية" صاح أبي فهز بات مؤخرته ثم قال أبي:" سأعوضها

Twitter: @ketab_n

لك. يا إلهي أنا آسف هؤلاء الفاشلون هم مجرد حمقى. إنهم لا يعملون أبداً ولكنهم يأخذون كل شيء."

-" أبي..."

-" اسمع"

وصدحت أغنية " أمام برج المراقبة" من صندوق الاسطوانات بصوت أعلى من صوت التلفاز وما أن عزف أول لحن للغيتار نظر أحد أصدقاء أبي إليه فبدأ الأخير بتحريك يديه وهو يرسم على وجهه تعبيراً وكأنه يعزف ثم تمتم بأغنية " لا بد أن هناك طريقة للخروج " وقال لي:

- " هذا كل ما كنت أحلم به، أن أصنع ضجيجاً كهذا، ويستمع إليه الناس بعد ثلاثين سنة. لا بد أن الأمر يبدو لك ساذجاً. لعلنا بالغنا في تحويل موسيقى البوب ومغنييها إلى أسطورة، ورفضنا رؤية إمكانية فعل أي شيء آخر. كنت أفكر البارحة: أي مرحلة تدمير ذات عشناها، وكم من الناس عرضوا أنفسهم لأذى جدي مجاناً ودون ضرورة لذلك. وكم منا - باستثناء ليستر - أساؤوا لصحتهم ولقدراتهم الإبداعية."

-" وهل فعلت أنت ذلك؟"

-" فعلت؟ أنا أعرف كم كنت هداماً لذاتي، وأخرق في كل شيء، كنت أخرق في كل شيء." غرز أصابعه في شعر غابرييل وسأله: " وأنت هل تبني أم تهدم؟" هذا كل ما أريد معرفته، لم يتأخر الوقت بعد لكي أقول لك بأني معجب بك غابرييل."

-" بي ؟ ولماذا ؟"

-" لقد كنت تدير مجلة المدرسة. وساهمت مع فرقة الحوار وفرقة المسرح."

Twitter: @ketab_n

-" ولكني لم أعد أمارس هذه النشاطات."

-" لا، لقد تمردت ولكن كانت لك حصتك في المساهمة على الأقل. سبق وساهمت وستساهم مجدداً. سوف تتابع أنا واثق من ذلك. وستحقق أكثر مما حققت أنا بكثير. أما أنا فقد عزلت نفسي. أعرف بأنني أتمتع بالذكاء، ولكنه ضاع في فعاليات سلبية. أردت هدم كل شيء. كانت تلك أفكار الستينيات. أن نبول على كل شيء وخاصة على العوالم " القويمة". كان ذلك يعتبر تمرداً. ولكنه كان يعني بأن لي روحاً ساخرة... ليتها لم تكن. لم أحب الأشياء كما ينبغي. لم أشرع نوافذ روحي ولم أدخل إليها الشيء الكثير، لو كان لدي الحماس الذي تتمتع به، إن الطموح ليس أكثر من حماس له قدمان. لا بد أن ليستر رأى ذلك فيك."

-" شكراً أبي أنت..."

-" لا، لا. أنا لست." قال أبي وهو ينحني فوق الطاولة ثم تابع: "هل بقي لديك بعض من تلك النقود؟ لنشرب، هيا لنأخذ كأساً نحتفل به!"

-" لن يكون هناك ما نحتفل به ما لم تذهب إلى درسك." قال غابرييل

-" انس الموضوع كأس بيرة " طلب أبي

قال له غابرييل:

-" وماذا كانت ستقول أمك لو كنت تفعل هذا ؟ لا أعتقد أنك كنت تذهب إلى المدرسة ثملاً أليس كذلك؟"

-" لا، معك حق، أنت تحرجني، أنت بارع في هذا، ولكن اسمع - قبل أن يقاطعنا ذلك الرجل الأحمق كنت على وشك أن أقول لك شيئاً

Twitter: @ketab_n

مهماً. لقد اتصل بي جاك، والواقع أنه هو الذي أهداني الجهاز قبل كل شيء، وقال لي:" أنت بحاجة لهاتف نقال" ثم قدمه لي قائلاً هاك لقد أصبحت رجل أعمال الآن. صحيح؟ سألته"

-" إذن جاك يعتني بك."

-" أكثر مما ينبغي، لا يتركني وحدي أبداً ولقد دعاني إلى...."

-" إلى ماذا ؟"

-" إلى عشاء،عشاء رسمي."

-" رائع سيكون هناك طعام مجاني."

-" لا، هذا ليس رائعاً."

ثم شرح له أبوه أن جاك آمبر كان مسروراً بتقدم ابنه. حتى أن الفتى تحدث إليه مرة دون أية شتائم أو ألفاظ نابية. وكمكافأة له دعاه جاك إلى منزله مع أشخاص آخرين معتقداً بأنه سيسر بذلك: تاجر فن، مخرج سينمائي، موديل يعشق لبس الثياب الجلدية الضيقة، وآخرون.

-"على ذكر اسم المخرج، لقد سبق ورأينا له فيلماً، إنه فنان ناجح."

-" إذن هذا يجعل الأمر أكثر تحملاً."

-" ما الذي تقوله ؟ لماذا يريد وجودي؟ سأكون جالساً في الزاوية أتصبب عرقاً وليس لدي ما أقوله".

-" ما الذي تفعله هذه الأيام؟ يسألك الناس دائماً هذا السؤال في مثل هذه الاجتماعات. ماذا أقول لهم؟ ماذا أفعل؟"

-" كنت تقول لي يمكن للحقيقة أن تكون بداية جيدة."

-" أتمنى لو أنك تستطيع المجيء معي غابرييل. إلا أن الدعوة ليست للفتيان."

Twitter: @ketab_n

-" ولماذا يزعجك الأمر إلى هذا الحد؟"

-" أنا لست موهوباً ولا ناجحاً ولا لامعاً" ثم أشار إلى البار قائلاً:" أنا مثل هؤلاء الناس. والفرق الوحيد بيني وبينهم هو أنني أخجل من كوني شخصاً عادياً. إن الموهبة هي جواز السفر الذي يمرك إلى أمكنة مختلفة، ومن دونها لا تذهب إلى أي مكان يا صديقي."

قال غابرييل:

-" ولكنك تروق لجاك."

-" أنا الراشد الوحيد الذي يستطيع التواصل مع ابنه ذلك الأحمق المهووس، لأنني أستمع إليه. أنا أُذُنٌ تجيد الإصغاء."

-" هذه موهبة إذن، كم يبلغ عدد الأشخاص القادرين على هذا؟"

من جهة البار كان هناك رجل ينظر إليهم. وعندما وجه غابرييل إليه نظره ثانية رآه يترنح مقبلاً نحوهم، زمجر أبوه.

قال الرجل:

-" رأيتك تعيد لبات نقوده."

-" كذا ؟... لقد قام ذلك الوضيع بسرقة مصروف ابني. لقد ضقت ذرعاً بكل هذا."

- وماذا عني ريكس؟ أنا مفلس مثلي مثل بات ولا أملك ثمن كأس بيرة."

- "يا إلهي، وهل أنا الآن مؤسسة خيرية؟ دعني أذهب لعملي وسأعيد لك أموالك خلال أسبوع عندما يدفعون لي."

- "لا ،ادفع لي الآن." قال الرجل

- "في ما بعد."قال غابرييل بسرعة

Twitter: @ketab_n

-" الآن." قال الرجل " انظر إلي."

- "هل كل من في الحانة صقر ينتظر الانقضاض؟" قال أبي

- "هل تعتقد أنك أفضل منا! كل البشر متساوون حتى ولو كانوا..."

- "من الغريب أن تقول هذا أيها الرجل. أنا أفضل منك. هذا شيء أعرفه ! أفضل منك من كل النواحي ! كما أنني وسيم ومشهور..."

- "أبي..."

- "مهما تفعل في حياتك حاذر أن تنتهي مثل هؤلاء الناس،ليس هناك أي أمل يرجى منهم"

-"أنت متكبر " قال الرجل:" أنت مجرد حقير تافه كان....."

وقبل أن تتطور الأمور إلى أبشع من ذلك وقف غابرييل وسحب أباه من يده وجره إلى الخارج

-"ولكني لم أنه شرابي بعد"

-" إلى الخارج، إلى الخارج " قال غابرييل وهو يدفع بأبيه.

-"أي غبي " قال ريكس وقد صار في الشارع، بينما وقف الرجل خلف النافذة رافعاً له أصبعه. كان غابرييل مستغرباً أن أباه لم ينته بعد من هذه الأجواء

-" إلعق مؤخرتي أيها الفاشل، أمك.."كان الأب يصيح

-" انظر إليهم غابرييل الا يبدون كجثث جاهزة للدفن؟ لن أعود إلى تلك الحانة أبداً! الجو موبوء، مشؤوم وعنيف! لا يمكنني أن أصدق أنني كنت في أحد الأيام مثل هؤلاء الرجال..."

-" أنت لست مثلهم، أنت تعمل"

Twitter: @ketab_n

-" نعم ربما ربما أنا أعمل، لقد كنت بأحسن حال إلى أن دخلت من ذلك الباب."

-" انتبه" قال غابرييل:" أنت لم تضع نظاراتك، أعتقد أنه سيلحق بنا."

-"ما بالك بني لا تقلق فليس لدى ذلك الخسيس ساقان تساعدانه."

-" لا ،إن بات قادم مع ذلك المعاق."

-" اوه نعم...صحيح هاهو ذا، أستطيع رؤية أنيابه الصفراء من خلف النافذة."

ركض غابرييل مع أبيه، الذي كان يشتم ويلعن، إلى الجهة الأخرى من الشارع.

عند موقف الباص قال غابرييل:" أريدك أن تسأل جاك ما إذا كان يستطيع مساعدتي في إيجاد كاميرا ١٦ مم بسعر مناسب."

-" يا إلهي، أنا لست واثقاً من ذلك، وأنت تعرف أنا لا أريد أن أكون متطلباً أكثر مما أنا عليه. سوف تتسبب في طردي."

-" قد يسره أن يساعدنا."

-" سنرى" قال الأب ثم تابع:" لست متأكداً ما إذا كنت سأذهب إلى ذلك العشاء دون أن أكون مقيداً وخجولاً."

-" سوف تذهب." قال غابرييل " وستساعدني كثيراً إذا تحدثت إليه، ولا تنس أنه لولاي لما كنت تدرّس ابنه الآن."

-" شكراً للإشارة إلى هذا، ولكن من الذي سيرافقني إلى العشاء؟"

- وهل أنا سمسارك؟ أليس لديك فتاة تواعدها ؟"

-" قد تسخر من أبيك العجوز، ولكن والدة أحد تلامذتي قد أبدت

Twitter: @ketab_n

اهتماماً بي. في كل مرة أذهب إلى بيتهم تكون على وشك الاستحمام، إنها ثرية أيضاً ولكن الأمر لا يزال غير ناضج بعد."

وصل الباص وصعد الأب.

-" سأفكر بالأمر " قال غابرييل ثم تابع:" أعتقد أنه لدي فكرة جيدة"

-"من ؟"سأل أبوه

-" انتظر وسترى."

وقف غابرييل ملوحاً بيده إلى أن انعطف الباص وغاب عن النظر.

ذهب أبوه، ولكي يعود إلى البيت كان على غابرييل أن يمر بالحانة ما لم يسير على الطرف الآخر للشارع، ولكنه وجد أن هذا مهين. وعندما كان يمر أمام نافذة الحانة خطر بباله أن يخفض رأسه لكنه لم يرد ذلك، لمحه بات فأسرع إلى الباب. لم يهرب غابرييل بل وقف أمام الباب

-" بيه " قال غابرييل وهو يرتجف

-" أنت لست هو." قال بات:" إنه شخص سيء، سيء جداً يستدين ولا يوفي دينه. احذر ألا تصبح مثله."

-" أفضل أن أكون مثله على أن أكون مثلك أيها الرجل."

كان بات يهز رأسه ثم قال:" في ما بعد"

-" إلى الجحيم أيها الفاشل." رفع بات يده فقد أجبره غابرييل على الضحك.

عندما وصل إلى البيت وجد هانا في انتظاره

-" أهلاً وسهلاً بك سيد غابرييل."

-" شكراً هانا" كان سعيداً برؤيتها.

Twitter: @ketab_n

-" أنت تلهث."

-" صحيح، أرجو أن تهيئي لي الأريكة لأتمدد عليها ولا تنسي أن ترتبي الوسائد. حدثت أشياء أنهكتني. أحتاج إلى استعادة حيويتي."

-"آسفة لمقاطعتك ولكن السيد سبيدي يريد التحدث إليك على الهاتف."

-" الآن؟"

-" نعم"

-"شكراً هانا سأتحدث على انفراد."

-" سأهيء لك الطعام سيد غابرييل. كما البارحة؟"

-" لا تنسي المربى."

-" لا، سيد غابرييل، المربى قادم إليك ! هل تريده مع قليل من القشدة؟"

-" لتكن القشدة مخفوقة هانا... الآن"

-" حاضر سيدي"

-" آلو سيد سبيدي " قال غابرييل ممسكاً بسماعة الهاتف:" بم أستطيع خدمتك؟"

-" مساء الخير غابرييل، آسف على التأخير كيف كانت المدرسة؟"

-" ليست أسوأ من المعتاد."

-" هل تستطيع التحدث؟هل أنت جاهز؟"

-" نعم "

-" وأنا كذلك يا عزيزي والآن اسمع. هذا ما سنفعله. وهكذا ستسير الأمور....."

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع عشر

سوف تستغرق وقتاً طويلاً قبل أن تكون جاهزة، سوف يساعدها. كان يعرف بأنها مناسبة مهمة لأنها كانت تستمع إلى أغنية " اعتلِ بجعة بيضاء".

هذا الصباح أخرجت أمه فستانها الأكثر أناقة من الخزانة والذي صنعه لها اوسي كلارك عندما كانت تعمل معه في السبعينيات وعلقته على مقبض الستائر حيث وقفا كلاهما ليتأملاه. كان البرنامج يقتضي أن ترتدي هذا الثوب الذي بدا وقد ضاق قليلاً بعد أن ارتدته، وخاصة من جهة الخصر. ظلت تسحب بطنها إلى الداخل، ولكن الحفلة كانت قد بدأت للتو.

في هذه الليلة كانت خارجة لتناول العشاء عند جاك آمبلر مع أبيه، الذي كان متحمساً جداً لهذه الدعوة لدرجة أنه طلب من زوجته أن ترافقه- حسب اقتراح ابنه-.

إنه لأمر طريف أليس كذلك؟ أمي في الحمام تصلح زينتها. وليس بعيداً عن هنا كان أبي في غرفته يستعد، ينزل الدرج ليتصل ويقول لها عما يفعله، وتعلق أمي: " عندما كان ريكس يسكن هنا كان يطلب مني أن أتوقف عن الكلام. الآن يأخذني إلى تلك الحفلة لكي أتحدث. أتساءل ما الذي جعله يهتم بي فجأة هكذا!"

Twitter: @ketab_n

كانت ستتجه أولاً للقاء ريكس في أحد البارات الأنيقة، تتفحص هيأته وتتأكد من أنه لم يشرب أكثر مما ينبغي. ثم يتوجهان إلى حفل العشاء. لم تكن تعرف في أي وقت سيعودان. كانت سعيدة بخروجها، وخلال بضعة أيام كانت ستبدأ العمل عند سبليتز. لقد مضى وقت طويل لم يرها فيه متحمسة ونشيطة هكذا.

كان هذا مريحاً بعد ليلة البارحة التي كانت المساء الأول الذي يمضيه غابرييل وأمه سوية منذ فترة طويلة. كانا قد ذهبا إلى السوبر ماركت التي افتتحت مؤخراً بالجوار حيث يمكنك أن تشتري أفلاماً، وكتباً، وأجهزة كومبيوتر بأسعار معقولة، وأن تتناول طعامك أو أن تشتري سمكة كبيرة تطهى وتؤكل في البيت. سمحت له أمه بشرب النبيذ الفوار. ثم رن جرس الهاتف. كان جورج يقول بأنه قادم للانضمام إليهما.

-" في ما بعد أرجوك " قالت بصوت خفيض " عندما يأوي إلى فراشه."

ولكن يبدو أن جورج كان في الخارج لأنه ظهر خلال دقائق قليلة.

ذهب غابرييل متجهماً إلى غرفته، مفترضاً أن جورج سيبقى طوال الليل وأنهما لا يريدانه معهما. لكن أمه وجورج تشاجرا. حاولت إقناعه بأن يذهبا ليتحدثا في الحانة التي تقع في نهاية الشارع، لكن جورج الذي كان ثملاً، خرج مرتدياً بذة بلون فاتح وصعد إلى التاكسي الذي كان منتظراً وابتعد. كان يكرر لأمي بأن الأمر معقد جداً.

-" أرجوك جورج قل لي ما الذي تتحدث عنه! أعطني فرصة! كنت أعتقد بأننا على ما يرام ! كنت تكتب لي كل يوم!"

Twitter: @ketab_n

-"أنا لست مستعداً ولن أكون جاهزاً أبداً لخوض اختبارات الاحترام البرجوازية".

-" تقصد الولد أليس كذلك؟"

-" أنت لا تتحدثين عن أي شيء آخر!" صرخ وهو خارج من الباب.

-" أنت غيور!"

-"ربما، أنتم عائلة متضامنة! لنبق على اتصال."

ركضت إلى الشارع وراءه، ومن النافذة كان غابرييل يراقب جورج وهو يدفعها عنه كشخص يحاول التخلص من كلب يعضه.

جلست في الممر لبعض الوقت ووجهها باتجاه الرصيف، رفعت رأسها فرأت غابرييل ينظر إليها، وقفت هزت رأسها وتوجهت إليه. عانقها.

ارتديا منامتيهما وذهبا إلى السرير، راقبا مسلسل فريزر معاً، وأكلا شوكولا يخبئانها للحالات الطارئة.

-" لم تحبيه أليس كذلك؟"

-" أحببته قليلاً نعم" ردت.

-" ولكن إذا كان الأمر شديد التعقيد..."

-" أنت هو التعقيد."

-" أنا مجرد مبرر."

" اصمت الآن، أريد مشاهدة المسلسل..."

كان غابرييل يلعق الشوكولا. قال " هل كنت ستذهبين معه لو أراد ذلك؟"

فكرت طويلاً ثم قالت:" ربما، غابرييل."

Twitter: @ketab_n

-" حتى ولو لم أكن راضياً عن ذلك؟"

كانت تربت على شعره، وهو أمر كان يكرهه، ثم قالت:" ليست مهمتك هي جعل حياتي مستحيلة. لقد رعيتك بما يكفي، والآن لقد أصبحت كبيراً. لقد قمت بواجبي. ومن المؤكد أنني أستطيع الآن أن أعيش لنفسي قليلاً، أليس كذلك؟"

-" أوكيه أوكيه " أجاب:" أنا آسف أن الأمر فشل."

فقالت:" أعتقد في النهاية أن الحب هو إدمان الشباب. يمكنني أن أتابع حياتي دونه - علي أن أفعل، أليس كذلك؟ - ولكن ليس دون رفيق ربما."

جلست الآن إلى طاولة الزينة ولبست بنطالها.

سألها:" أي حذاء ستنتعلين؟"

-"انظر"

توجهت إلى الخزانة وأخرجت جزمة من الجلد الأبيض.

-" من أين لك هذا ؟"

إنها من سنوات السبعينيات. هناك امرأة في العمل تجمع ثياباً قديمة أعارتني إياها هل تعجبك؟"

-" إنها تناسبك."

-" حقاً أتعتقد ذلك؟"

-" أجل."

-" أرجو أن ترفع لي السحاب."

فرك يديه المتعرقتين ببنطاله الجينز وفعل.

رأى نفسه في مرآتها وراقبها وهي ترتدي الجزمة

Twitter: @ketab_n

-" أعرف ما الذي سيقوله أبوك " القط ذو الجزمة". ضحكا. قبلت غابرييل.

" سأخبرك بكل شيء في الصباح. ما الذي ستفعله؟"

" أعتقد أنني سأبقى مع هانا".

ثم توجه إلى النافذة ونظر إلى الشارع من أوله إلى آخره عدة مرات ثم تثاءب.

-" سأتفرج على بقية فيلم بولانسكي ثم سأنام."

-" نوماً هنيئاً حبيبي."

-" تمتعي بوقتك من دوني."

عندما ذهبت، جمع أدوات الرسم ثم ذهب ليغير ملابسه، دقت هانا الباب

-"ادخل"

-" لابد أن هناك خطأ سيد غابرييل."

-" أي نوع من الخطأ؟"

-" هناك على الباب سائق ينتظر ومعه سيارة فارهة."

-" من غير الممكن التفكير بأن هذا خطأ."

" عفواً ما هو هذا الخط...أ...؟"

-" ابحثي عن الكلمة في وقت آخر".

أخذ حقيبته. ووضع فيها سكيناً صغيراً. لو كان في المدرسة على الأقل لعرف كيف يعالج الأمر، أما الآن... ومع ذلك لم يكن قلقاً.

-" غابرييل هل السيارة هنا من أجلك حقاً؟"

-" لدي موعد هام. لا تخبري أي أحد بأي شيء ولا كلمة..."

Twitter: @ketab_n

-" لا، لا سيد غابرييل. لا صيد في الماء العكر. حذاؤك.. هل أنظفه ؟"

-" لا، شكراً، سأنتعل الحذاء الرياضي الجديد، هل لك أن تخرجيه من العلبة وتضعي الرباطات؟ علي أن أفعل هذا، هانا، الليلة. لقد وعدت بأني سأقوم بهذا العمل. ولكني خائف، خائف حقاً، لم يسبق أن حدث معي شيء من هذا قبلاً."

-" هيا قم أنت بربطها."

-" أجل، معك حق."

-" ولكن لا تتأخر في العودة إلى البيت."

-" لا، إلى اللقاء."

كان السائق واقفاً فتح باب السيارة لغابرييل وأخذ منه الحقيبة.

عندما دخل غابرييل إلى السيارة وجلس على المقعد الجلدي الناعم رأى هانا تقف بالباب وفمها فاغر

-" أيها السائق" قال غابرييل:" هل لك أن ترفع صوت الموسيقى من فضلك؟"

لفا حول الطريق الغبي وصعدا لابروك غروف وشارع بورتيبيللو ومرا عبر المدينة. كانت السيارة تتجه إلى منطقة شوارعها ضيقة ومنازلها قديمة حيث مسكن سبيدي السري. كان الطوب مهترئاً، والأنابيب مدهونة باللون الأزرق.

صعد بمصعد صناعي، وكانت البوابة مفتوحة في الطابق العلوي، حياه سبيدي

-" أهلا وسهلا بالمعلم."

Twitter: @ketab_n

-" شكراً، سبيدي."

انظر حولك جيداً ! المنظر! النهر ! طقم الشاي الوردي! أنا مرهق - لقد بقيت أنظف لساعات لقد ذهبت مدبرة المنزل لإجراء عملية تبديل جنس."

-" يا إلهي!"

أزاح غابرييل ستارة بلاستيكية ليجد نفسه واقفاً على قطعة أرض مشعة يكسوها المرج. أمامه كان هناك سجادة صغيرة بيضاء ومزيد من التحديات.

تجول غابرييل في المكان بينما كان سبيدي يجمع أغراضاً يمكن أن تخدش ذوق أي شخص شديد الحساسية - كلاب من الزجاج الصيني ولعبة على شكل مسز تاتشر من البلاستيك، وأشياء ذات أضواء تشعل وتطفئ. لم يتمكن غابرييل من التبين ما إذا كانت هذه الأشياء هي من متجر للهدايا والألعاب أو من صالة فنية. كان يحب أن تلتبس عليه الأمور، بل حتى أنه كان يحب الأشياء القبيحة، ولكن هذه....

-" من المؤكد أن هذا يجعلك تتساءل" قال سبيدي

لاحظ غابرييل كومة كتب الصور الفوتوغرافية واللوحات التشكيلية وكتب العمارة والرسم. وكان الأمر بالنسبة إليه وكأنه يرى قالباً من كاتو الشوكولا هائلاً. كان يريده كله في جوفه دفعة واحدة.

-" يمكنني البقاء هنا" قال غابرييل

-" أهلا وسهلاً"

-" أحب هذه الموسيقى ما هي ؟ تبدو وكأنها أصوات قطارات."

-" ستيف ريتش"

Twitter: @ketab_n

-"من ؟"

-"خذها معك " قال سبيدي " أبوك يعرف عنه "

-" شكراً ولكن أفضل أن نبدأ"

-" ما الذي تريدني أن ألبسه؟"

-" ثيابك المفضلة. كيف تحب أن يراك الناس."

وضع سبيدي يده على ذراع غابرييل " أوه، أنا لا أعرف، لا أستطيع الاختيار أبداً تعال وساعدني."

-" ولكني لا أستطيع البقاء طويلاً." قال غابرييل

-" حسناً أيها الفتى."

بينما كان غابرييل يحضر أدواته، ذهب سبيدي ليغير ملابسه. وقف هناك، كان غابرييل مأخوذاً بفتى أو فتاة ربما، نحيلة من تايوان ترتدي سارونغ (الثياب التقليدية) وتضع الزينة التقليدية. رأت غابرييل فأسرعت إلى الحمام ولم تخرج منه.

عندما اتفقا على الثياب وعلى لون أحمر الشفاه، أخذ سبيدي وضعية على الكرسي الطويل مستنداً إلى وسائد طبع عليها صور إلفيس.كان غابرييل متفاجئاً قليلاً بالوضعية التي اتخذها سبيدي وهو ممدد على الكرسي ويده خلف عنقه كما لو كان يأخذ حمام شمس.

إذا كان يرى نفسه هكذا فإن غابرييل سيرسمه هكذا. وإذا لم يحب سبيدي النتائج فإن هذا عائد إليه

تدحرجت على الأرض كرة عليها زغب

" لديك جرذان هنا سبيدي؟"

-" لا تتواقح ! " قال سبيدي " أريد كزافيه الجميل في اللوحة. في ما مضى كان الناس يرسمون دائماً مع أحصنتهم ومنازلهم وأشيائهم."

Twitter: @ketab_n

-" أنا لا أستطيع رسم الكلاب وهذا لن يجلس هادئاً هنا وسينتهي الأمر بأن يبدو وكأنه قنفذ. سبيدي أنت تبدو جيداً وهيئتك طاغية وحدك."

-" صحيح؟ حسناً سأثق بك في هذا الأمر..."

-" هكذا تجري الأمور "

-" ولكني أخبرك أيها الطيب أن هذه ليست للتعليق على جدران غرف التخزين."

سأضعها في واجهة المطعم. أريدها أن تشبهني، أو ربما أفضل مني. أنت تفهم هذه الأمور، أنا لا أريد تخليد عيوبي."

-" أية عيوب؟"

-" يا لك من شخص لطيف ! من هو رسامك المفضل هذه الأيام؟"

-" لوسيان فرويد"

-" ولكنه شديد... شديد الواقعية. وأنا نباتي " وبدأ سبيدي يضحك " أنت تمزح أعرف أنك تمزح أنت فتى جدي. لن تترك خاتمي خارج اللوحة أليس كذلك؟"

-" أين هو؟"

-" سترى يا عزيزي. إنه آت. افتح عينيك."

-"واو"

-" يبه، ألم أقل لك؟"

-" لا بد أنه آلمك "

-" تلك هي الفكرة.هل تريد واحداً؟"

-" أنا أفكر برسم وشم، صورة فهد أو ما شابه."

Twitter: @ketab_n

-"أين؟"

-" دعنا من الدخول في هذا الموضوع سبيدي."

-" حسناً وسأرفع سحابي الآن."

-" أجل افعل."

جلس على كرسي مغطى بغطاء عليه صورة حيوان، أراد غابرييل أن يعمل بسرعة وأن يقوم بدراسات أولية للصورة. كان لديه بضع ساعات لأن أمه ستتأخر في العودة إلى البيت. وكان عليه أن يعود إلى المنزل قبلها، خوفاً من أن تحتاج لمن يمسك يدها في الساعة الثانية صباحاً بعد أن تكون قد شربت الكثير من الكحول.

-" هل أستطيع التكلم ؟ " سأل سبيدي ثم تابع:" أنا منفعل جداً."

-" أنت دائماً منفعل."

-" لا ليس بهذا الشكل. ما الذي تريدني أن أحدثك به نميمة أم سيرتي الذاتية؟"

ابتسم غابرييل.

فقال سبيدي:" سأحكي لك عن كل شيء، فطالما أنك سترسمني لا بد أن تتوصل إلى التعرف علي. حسناً عزيزي عندما كنت في عمرك كنت عاشقاً لجيمي ماكنرو. كان هو آنذاك في أواخر الثلاثينيات من عمره ومدير أعمال أحد الفرق الشهيرة. أرادني أن أساعده وقد قمت بمساعدته أيها الحبيب. وتعرفت على كل النجوم. أوه غابرييل لطالما أردت أن أكون نجماً، ولكني لم أفلح."

-" سبيدي أنت نجم في مطعمك."

-" أنا صاحب المطعم. وهذا شيء مختلف. الناس تريد شيئاً

Twitter: @ketab_n

ملموساً، إنهم يعرفونني من الماضي. لقد ظل جيمي مضطرباً جداً إلى أن اتخذ الطريق الذي اتخذه العديد منا كما فعلت أنا. كل المشهورين شعبياً ينتمون مباشرة إلى الشواذ الجنسيين غير المصرحين عن أنفسهم. أعرف أنك لست كذلك، إنه لشيء مخجل ومضلل، ولكني لا أستعجلك يا فتاي. بكلمة أخرى أنت واحد منا."

-" شكراً"

-" عندما تركت جيمي كنت.."

لم يتوقف سبيدي عن الكلام ولكن بدا أنه يريد أن ينظر غابرييل إليه، مع أن غابرييل تمنى لو أنه يتوقف عن مد عنقه وهو يحاول أن يرى ما الذي قام به غابرييل.

-" عليك أن تبقى ساكناً."

-" إني أتألم " قال سبيدي " لم يسبق أن جلست ساكناً هكذا قبلاً. كان علي أن أقوم أنا برسمك." أزعج هذا غابرييل، ولكنه كان قد بدأ يشعر بالاشمئزاز من كل خط رسمه وأراد إما أن يمزق ما رسمه ويدوس عليه أو أن يهرب من المكان. كان يعرف بأنه لن يصل أبداً إلى عمل ما يريد. لم تكن تلك غلطة سبيدي: هذا المزيج من السذاجة والمكر، من المعرفة والغرور، جعله موضوعاً جميلاً. لكن غابرييل كان قد بدأ يتعلم بأن أي محاولة في الفن يمكن أن تحبط إذا تخللها القمع والخوف وكره الذات. كان يدرك بأنه يدفع باباً مغلقاً، وهذا الباب كان هو نفسه.

في النهاية كان مسروراً عندما رأى كمية من الأوراق الممزقة والملقية على الأرض. يكفي هذا لليوم،لم يعد يستطيع أن يقوم بالمزيد. كان يعرف الآن كيف سيتابع.

Twitter: @ketab_n

عندما أعلن غابرييل بأنه جاهز للذهاب أجابه سبيدي بأن السيارة تنتظره.

جلس غابرييل وأنصت إلى الموسيقى بينما ذهب سبيدي لتبديل ملابسه.

ذهبا إلى المكان الذي يعرفه غابرييل على أنه منزل جاك آمبلر. كانت الأنوار مضاءة ويظهر عبر النوافذ خيال أشخاص يتحركون في الغرفة الكبيرة المشعة.

-" هل ندخل؟" قال سبيدي وهو يوقف السيارة. ستتعرف على الناس ما بك هل أنت خائف؟"

-" من المفترض أن أكون ولكنني لست خائفاً. هذه الليلة يمكنني أن أقوم بأي عمل. هل تعتقد بأني لا أريد أن أعبر هذا الباب وأتحدث وأبقى هناك لساعات؟ ولكن أهلي هناك وهما يعتقدان بأني في البيت في سريري."

-" مع من؟"

-"أتمنى لو كنت.."

-" حقاً؟ هل أمك وأبوك معاً ؟ ظننت بأنهما..."

-" لا تخبرهما أي شيء عن عملنا."

-" شفتاي مطبقتان وجناحاي مقصوصان، ومؤخرتي نظيفة. أعطني قبلة - فقد حلقت ذقني."

-" قبلة صغيرة سبيدي للتعبير عن شكري."

-" يم يم لتكن وسادة أحلامي أيها العزيز" كان سبيدي ينظر إليه. " تعال لتناول العشاء عندما تنتهي من الصورة.. أعرف بعض الناس

Twitter: @ketab_n

الذين يسرهم التعرف إليك. أشخاص أكثر ثقافة مني... مثل ملك الهامبورغر الذي لم يقرأ كتاباً في حياته. سوف يعرفونك على كل أنواع الناس وستتمكن من عقد محادثات تفتح ذهنك."

-" شكراً سبيدي يسرني ذلك. سوف آتي. انظر..."

توقفت سيارة قربهم، فتح الباب، ونزل ليستر متأنقاً متبختراً بكل ثقة يتبعه كريم أمير ببذة سوداء. دخل ليستر إلى المنزل، حياه جاك. رأى غابرييل كارلو في الردهة وهو يراقب ليستر متجهاً نحوه.

تقدم كريم إلى سيارة سبيدي وأدخل رأسه من النافذة.

-" مرحباً يا لذيذ" قال سبيدي " شعرك يطول ثانية. إنه يليق بك."

-" أأنت متأكد؟"

-" أوه نعم. كما أن طبيعته جميلة. هذا غابرييل إنه صانع أفلام. أبوه كان يعزف مع ليستر ثم مع تشارلي."

-" يا لحسن حظه. كيف حالك، غابرييل؟ " ثم تصافحا هو وكريم " هل ستدخل سبيدي؟" سأله كريم.

-" أجل أنا في طريقي إلى الدخول."

حسن سبيدي هندامه " أوه يا إلهي... انظر هذه ماريان! أنا متحمس جداً. أنا هنا مع كبار النجوم. سنذهب بعدها إلى الساونا يمكنك أن تمضي هناك الليل بطوله."

-"أود لو أرى كل الأمكنة."

-" سترى، عليك أن ترى كل شيء. سوف أهتم بأمرك. وسنتحدث كثيراً يا عزيزي"

-" سبيدي، قد لا يتذكرني ليستر."

Twitter: @ketab_n

-" ولكن إذا فعل سوف تشكره على الصورة وعلى الأشياء التي قالها."

-" حتماً."

ابتعد سبيدي مع كريم، وهو يمشي بخطى رشيقة متحمساً.

نزل غابرييل من السيارة واتكأ على القضبان المعدنية الخارجية محدقاً في شعلة الشموع دون أن يتمكن من رؤية الكثير."

-" أترى؟ " كان يقول لآرشي. " لم يكن هذا سيئاً إيه؟ هل أمضينا ليلة جميلة؟"

ثم فكر مجدداً كيف كان من الممكن أن تكون حياته مختلفة لو كان آرشي حياً، وكيف كان كل منهما سيؤثر على الآخر ويحبه ويكرهه. إنه يفتقد وجوده.

رفع غابرييل رأسه ليرى أحد الخدم قادماً ليغلق البوابة.

لم يكن الوقت متأخراً كما ظن غابرييل فطلب من السائق أن يأخذه في جولة حول لندن. تخيل غابرييل هيكل السيارة الرمادي يصطك كأسنان سمكة قرش وهي تأكل المدينة. عندما سيكبر سيقوم بهذا دائماً وأصدقاؤه إلى جانبه.

عندما مرا بمخازن لاندمارك غرق غابرييل في حلم مستقبلي، تخيل مغامراته، الفيلم الذي صنعه والنص الذي كتبه. فكر بالممثلين، وبالموسيقيين والمنتجين الذين قد يعمل معهم، بالمقابلات التي سيجرونها معه، وبما سيقوله على شاشات التلفزيون. فكر بالمكان الذي سيعيش فيه والحفلات التي سيحضرها، والملذات التي سينغمس فيها، والنساء اللواتي سيقابلهن. وتساءل ما إذا كان سيعمل في أمريكا، وبالأخطاء

Twitter: @ketab_n

التي يفيده أن يقع فيها والتي عليه أن يتجنبها. مثله مثل ليستر، سيقوم بأشياء رائعة طوال الوقت!

أي مكان مبهرج كانت لندن، فكر. يمكن لأي شيء أن ينجز هنا. كل ما عليك هو أن تجعل أمنياتك كبيرة جداً!

وطبعاً تساءل ما إذا كان سيفشل في تحقيق ما يريده، كما حصل مع أبيه. كثيرون أرادوا أن يصبحوا أشخاصاً مهمين، ولكن من الذي تحلى بالالتزام والإرادة الفولاذية، والإصرار ؟ بالنسبة لأي عدد من الأشخاص كان هذا ضرورة؟ مسألة حياة أو موت؟ كان أصغر من أن يتحلى بالحذر. كان مليئاً بالأمل والطموح لأمنيات لا حصر لها. وكان جاهزاً أيضاً للعمل. مؤخراً كانت لديه أفكار لمشروعين أو ثلاثة، لم يتوفر لديه الوقت للتفكير بها بشكل كاف. أراد أن يكتب ويرسم أشياء جديدة. ورأى الآن كيف كان السأم يجتاحه مؤخراً في البيت. لقد اكتفى من البقاء وحيداً قلقاً على والديه.

في البيت استمع إلى الموسيقى التي قدمها له سبيدي. وآوى إلى فراشه سعيداً ولكنه ما أن أغمض عينيه حتى جاءه كابوس.

كان جالساً مع أمه وآرشي في حافلة وبجانبه تابوت أبيه. وكان في الحافلة ركاب آخرون كالمعتاد. طلب السائق من والدة غابرييل أن تدفع الأجرة ولكنها لم تكن تملك أي مال. لم تتمكن العائلة من أخذ جثة والده إلى المقبرة بعربة للموتى لأنهم لم يتمكنوا من دفع التكاليف. ثم جلس شبح أبيه معهم ممسكاً بيد آرشي قائلاً لهم ألا يقلقوا. صديق أمه جورج محاطاً بهالة كان يلوح لهم عبر النافذة.

صرخ غابرييل ولكن شيئاً لم يتغير لم يسمعه أحد. تحسس ما حوله

Twitter: @ketab_n

فلمس شيئاً طرياً. كان شخصاً حقيقياً. كان غابرييل فاقداً للاتجاهات ولم يتمكن من الوصول إلى مفتاح النور، ولكن شخصاً آخر وصل إليه قبله.

كان أبوه لايرتدي ثياب السهرة وربطة عنقه تهتز كزهرة اقحوان، تفوح منه رائحة الكحول والسيجار. حول فمه كانت بقايا حلوى الشوكولا.

-" لقد عدنا للتو من الحفل. أنت في أمان. كلنا بخير. يا حبيبي يمكنك أن تعود للنوم."

-" أنت هنا. هل هذا أنت حقاً. ولكن لماذا أنت هنا؟"

-" ستكون أول من يسمع عن ذلك غداً صباحاً."

Twitter: @ketab_n

الفصل الخامس عشر

كان أبوه يجلس إلى الطاولة في مكانه المعتاد، وأمامه الخردل والزبدة، ومخلل وكتش آب وملح. وكانت الجريدة مفتوحة على صفحة الرياضة. أبعد الأب الأشياء التي حوله كي يتمكن من فتح الصفحة التي يريدها. كان يستمع إلى موسيقى جاز لعازف واحد وهو يسأل بصوت عال ما إذا كان فريق نوتنجهام فورست سيصل إلى المرحلة الأولى.

وبين حين وآخر كان يرفع نظره بشيء من الاستغراب، لم يسبق أن اجتمع في المنزل مع هانا. ودون أن تتعمد ذلك كانت تضحكه باستمرار. لاحظ غابرييل مدى اضطرابها، فقد كانت لا تتوقف عن رفع الطعام إلى فمها ثم إعادته، كما لو أنها لم تصدق بأنه قد عاد.

قال أبي

-" طريف أنك حلمت بي غابرييل اعتقدت بأني رأيت آرشي البارحة."

-" ماذا ؟"

-" كنت جالساً هناك مع أصدقاء عندما تأكدت بأن أخاك التوأم كان ينظر عبر النافذة أمام منزل جاك. حتى أنني انتحلت عذراً وخرجت

Twitter: @ketab_n

وبحثت حول المكان. لم يكن هناك أحد طبعاً. شيء غريب أليس كذلك؟ على فكرة ما هي قصتك حول التحدث مع آرشي وما إلى ذلك؟"

تردد غابرييل قليلاً ثم قال:

-" إنه معي يا أبي."

-" طبعاً، وهو معي أيضاً، هنا يجب أن يكون الأطفال مع عائلتهم."

-" وهل تتحدث إليه؟"

-" كل يوم."

شعر غابرييل بالراحة ثم تابع الأب:

- " لا تخبر أمك فإن هذا يحزنها."

عندما انضمت والدة غابرييل إليهم وقفت هانا عبر الغرفة تطوي ثياباً بعناية كبيرة.

-" إنني على أحر من الجمر لأسمع كيف جرت الأمور البارحة" قال غابرييل.

-"هل قدموا لكم شمبانيا عند دخولكم؟"

-" شمبانيا ولقيمات شهية طبعاً."

-" وماذا أكلتم فيما بعد؟"

-" انتظر لحظة. لدي أنباء سارة أطلعك عليها." قالت الأم

كانت ترتدي منامتها وكان شعرها مبعثراً. لا بد أنها كانت متعبة بعد ليلة البارحة، ولكنها بدت سعيدة مع ذلك.

- " لقد كان أبوك محرجاً جداً عندما سأل عن الكاميرا، فساعدته في ذلك، وتبين بأن جاك والد كارلو كان يعمل مساعد مصور منذ

Twitter: @ketab_n

سنوات مضت، وهو يحتفظ بما تريده في مرآبه الخاص، وسوف يعلمك كيف تستعملها."

-" وسأتمكن من البدء بتصوير فيلمي؟"

-" لقد اقترح أن تبدأ التصوير في الصيف. إذ سيكون النهار أطول وسيتوفر لك مزيد من الضوء."

قال الأب:

" أيتها اللذيذة، لقد نسيت أمراً" فاحمر وجهها عندما دعاها كذلك، لقد مضى وقت طويل منذ أن ناداها بهذا الاسم.

- " كان هناك شخص آخر البارحة." قال الأب وهو ينظر إلى غابرييل." صديق لك."

-" هذا صحيح " ردت الأم " لقد جاء ليستر جونز وسأل عنك."

-" هل سأل عني؟ ألم يقل أي شيء آخر؟"

-" سيقيم حفلاً في حي صغير في لندن وقد دعانا لزيارته في الكواليس."

-" هذا عظيم" قال غابرييل " أنا سعيد ألم يأت على ذكر الصورة؟"

-" لا " ردت الأم وهي تنظر إلى الأب منزعجة، ثم قالت:

-" يا إلهي. لقد نسيت الأصوات التي تصدرها وأنت تأكل. ارجع إلى الوراء قليلاً، لا بد أنك تفكر بشيء ما، هناك أنواع من الحيوانات تمضغ بهذا الشكل."

-" لقد نسيت الأصوات التي تصدرينها وأنت تتكلمين." قال الأب " ونسيت متعة أن نعيش معاً، هل كان الأمر هكذا دائماً؟"

Twitter: @ketab_n

خفضت الأم رأسها.

ثم تابع الأب:

-" على فكرة كريستين، أود أن أسألك من هو جورج؟"

-" ماذا ؟"

كان غابرييل وأبوه يراقبانها.

فتابع الأب:

-" ليلة البارحة كان غابرييل يصرخ وهو نائم باسم جورج، من هو هذا الرجل؟"

كان غابرييل مدركاً أن أباه يعرف من يكون جورج. لقد كان أبوه يحاول إثارة انفعالها.

لا أحد " قالت الأم " لا يوجد أحد بهذا الاسم."

-" من الأفضل ألا يكون، أليس كذلك غابرييل؟ ولا تكذبي علي."

قالت الأم محاولة تغيير الحديث:" لا تنسَ أن جاك دعانا إلى منزله الريفي. لديه هناك مسبح مغلق ويعتقد أننا يمكن أن نتمتع بتجربته."

-" نحن الثلاثة ؟" سأل غابرييل " هل سنذهب؟"

-" هل ترغب بذلك؟"

-"نعم، يمكنني أن أعمل هناك."

وقف الأب:" سنرى على كل حال ليس لدي وقت للحديث الآن."

بينما جلس غابرييل قرب أمه وطلب منها أن تخبره عن المأكولات التي قدموها الليلة الماضية والثياب والأحاديث، تناول الأب حقيبته وتوجه إلى الطابق العلوي قائلاً:

Twitter: @ketab_n

-" لدي عمل كثير اليوم."

عندما وصل إلى نهاية الدرجات التفت وقال:" أود أن أبدأ وأنا هنا إذا كان هذا يناسبك كريستين."

كانت الأم تنظر إليه غير واثقة.

-" حسناً " قالت أخيراً.

عندما توجه الأب إلى غرفة النوم قالت:" لقد دعوته للبقاء، ويبدو أنه مرتاح."

-" وما الخطأ في ذلك؟"

نهضت ومشت بقلق." لقد أحببته لفترة طويلة لقد أحببته أكثر بكثير مما أحبني ولكن لم يكن هناك أمل. لقد كان لا مبالياً نوعاً ما. فتوقفت عن حبه. لقد قرر الآن بأنه يريد أن يبدأ من جديد. بينما كنت أنا على وشك البشروع في البدء بحياة جديدة."

-" قد تفعلين الآن، ولكن معه، أنت وهو."

-" أنت عاطفي أكثر مما ينبغي غابرييل، ما الذي يجعلك تعتقد بأني ضحية سهلة؟"

-" أعطيه فرصة. إنه يحاول أن يفعل شيئاً الآن."

-" ولماذا علي ذلك؟ ثم استرخت قليلاً. " أخبرني فقط أي عمل يقوم به هناك؟" بعد الإفطار فيما مضى عندما كنت تذهب إلى المدرسة كان يقرأ الصحف على الأريكة ويسألني عما سنأكله في الغداء. كيف لي أن أعرف بأنه لا يفعل هذا الآن؟"

-" سوف يعزف ويكتب بعض الملاحظات عن طلابه وتطورهم. إنه يحتفظ بملف لكل طالب، إنه يأخذ الأمر بجدية تامة، لقد قرر بأن كتابة

Twitter: @ketab_n

الموسيقى والحديث عنها - وكل ما يتعلق بالموضوع- هو نوع من العلاج."

-" وكيف ذلك؟ لقد عرفت موسيقيين يعزفون منذ أن كانوا فتياناً ولا يزالون فارغي الرؤوس."

قالت متنهدة.ثم تابعت:

-" ومع ذلك هل لاحظت كم تحسنت مشيته وعرجته؟ لقد أصبح رجلاً قوياً أبوك هذا. لقد وجد أخيراً شيئاً يجيد القيام به.إنه يثير غيرتي الآن."

-" كيف يمكنك ؟ ومم تغارين؟"

-" أعتقد بأني آمنت بأن الموهوبين وحدهم لديهم رسالة، أو أنهم أشخاص هامون، بينما الباقون مجرد عبيد. أبوك ليس موهوباً بشكل خاص وغالباً هو عاجز وضعيف من الداخل. ولكن هذا لا يعني بأنه لا يمكن أن يكون نافعاً."

-" إنه نافع جداً." قال غابرييل " لم يعد يعيش على الصدقة بل أنه قدم لي بعض المال. وقد يعطيك شيئاً منه، إذا طلبت منه بلطف."

-" هل تعتقد ذلك؟ كم يكسب ؟"

-" لست متأكداً..."

" ألست...؟ إنه يتلقى أجره بالساعة أليس كذلك؟"

-"أعتقد أنه..." ثم أخبرها غابرييل عن الرقم.

-" صحيح؟ ليس أكثر مما أكسب أنا " قالت

-" جاك يدفع أكثر، إنه يقدم لأبي ما يحلو له. لا أعتقد أن أبي يعرف كم تبلغ الأجور. إنه يخجل من هذه الأمور، أن يطلب في كل مرة."

Twitter: @ketab_n

-" ليس عليه أن يمد يده. عليه أن يرسل فاتورة. سأقوم أنا بذلك بالكومبيوتر الجديد الذي اشتريناه. أراهن بأنه لا يدفع أية ضرائب. سوف يتعرض للمشاكل. سوف أرتب الأمر. من الأفضل أن أذهب وألتقي بصديقاتي الآن. إنه يوم جمعتنا الصباحية. لا بد أنهن متشوقات لسماع أخبار الليلة الفائتة."

كان هناك مقهى قريب تلتقي فيه بصديقاتها منذ سنوات.كن تتحدثن عن الأزواج، الأطفال، الأفلام وبرامج التلفزيون، وتقارن كل منهن ما اشترته من محلات بيع الأثريات، وقد تقدم كل منهن النصح للأخريات.

قبل أن تخرج قالت: " ليلة البارحة كان ريكس عذباً ومهذباً بحق. أمسك بيدي - أوه إنه يعرف بأني أحب ذلك. حتى أنه كان مهتماً بما أقوله، ربما لأنه كان خائفاً جداً من التحدث مع أي شخص آخر. وعدني بأن يشتري لي ثياباً جديدة...آه لو أن الأمور كانت هكذا دائماً."

في ما بعد، في ذلك الصباح عندما خرج الأب من غرفة النوم وذهب ليعطي كارلو درسه، رافقه غابرييل ليرى كاميرا جاك.

كان الأب لا يزال متأثراً بالكحول فتوقفا في الطريق لشرب بعض القهوة. كان المقهى يقع في الشارع الرئيس ولم يكن دافئاً، ومع ذلك جلسا على كراس معدنية في الخارج، يشربان العصير ويراقبان الناس. كان الأب يحب مراقبة الأشخاص الغريبين.

-" هاك واحد" قال وهو يلكز غابرييل. " وانظر إلى ذلك المعتوه، يثرثر ويحكي بشكل متقطع وبصوت عال ! عاثر الحظ هذا المسكين."

بدا أن إدراكه بأنه أقل اضطراباً من الآخرين قد منحه بعض الثقة.

Twitter: @ketab_n

ثم قال الأب:" كانت الأمور جيدة بحق الليلة الماضية، غابرييل. لا بد أنك حدست بأني كنت ووالدتك نتقابل بين حين وآخر، فقط لنرى ماذا هناك. ولنرى ما إذا كنا يمكن أن ننسجم ثانية."

-" و...؟"

-" أجل نحن منسجمان أحياناً. على كل ليلة البارحة بعد أن دعتني إلى المنزل وأنا أخلع ثيابي وجدت منامتها معلقة خلف الباب حيث كانت دائماً. استحممت ونظفت أسناني وكل هذه الأمور. وبدأت أفكر: إنها الآن في السرير، تنتظرني. وستكون حارة - إنها امرأة تتمتع بالحرارة، في الليل - وقريباً سأحضن ظهرها، وساقيها، ومؤخرتها التي تشبه عمودي نار كهربائيين. وستكون قدمها على ساقي تلمسني وهناك هو المكان الذي أريد أن أكون فيه. أقبل عنقها. اعذرني لخوضي في التفاصيل ولكني أريدك أن تعرف يا ملاكي ما الذي يريده الرجل في نهاية المطاف- وفي هذه المرحلة من حياته- عندما يحني رأسه متعباً. لا يريد أكثر من أن يعرف بأن هناك امرأة اختارته وبأنها تريد البقاء معه- إن هذا بحد ذاته إنجاز".

-" ولكنكما لا تعيشان معاً."

-" سنبحث لاحقاً في هذا الموضوع" ثم تابع:" نادراً ما ينسجم الناس معاً. في هذه الأيام يتركون بعضهم بسرعة. لماذا على الجميع أن ينفصلوا؟ إذا كنت تستطيع أن تبقى دون حراك خلال الأزمات يمكنك أن تعثر على أشياء جديدة. بالنسبة لي أن أكون معها ثانية مثل أن يكون لدي صديقة جديدة. لقد تعذبت أمك كثيراً بعد فقدان آرشي. إنها تحتاج لفسحة من الوقت ترتاح فيها. أنا لا أريدها أن تعمل نادلة. ما أريده

Twitter: @ketab_n

هو أن أعيلها مادياً بحيث يمكنها أن تقوم بالعمل الذي تريده. أفتخر بذلك. " نظر إلى غابرييل." أنت لا تنصت إنك تفكر بشيء آخر تماماً."

-" نعم، أستطيع التفكير بالشيء الذي أريد القيام به."

-" ولكني لا زلت لا أعرف ما إذا كانت تريدني أن أعود إليها. سأظل أفكر بما يمكن أن يغريها بذلك."

عندما وصلا إلى منزل جاك صعد الأب وكارلو إلى الطابق العلوي ليعملا.

غابرييل كان يقف في الرواق عندما جاء جاك يرافقه أحد الخدم يرتدي بذة وحذاء بغاية الأناقة. والواقع أنه كان ينتعل خفاً ذهبياً ثم اصطحب غابرييل إلى المرآب إلى جانب المنزل حيث يوجد زهرتا لوتس وصخور وشجرة صبار.

خلف السيارات وجد جاك الكاميرا الكبيرة. نزع الغطاء، مد الورق على الأرض، أمسك الكاميرا ووضعها فوقه. أراد أن يستعيد تآلفه معها. وعندما أعاد تركيبها بدأ يتحدث عن الأفلام والممثلين الذين صورهم بها. ثم سأل غابرييل عن الفيلم الذي ينوي تصويره. بدأ غابرييل يحكي له القصة وكان يزداد حماساً وهو يحكي. لم ينس شيئاً بل أن فيلمه الصغير صار أكثر وضوحاً في رأسه من أي وقت مضى.

-" يبدو لي فيلماً معاصراً جداً، مليئاً بالتفاصيل الطريفة."

في ما بعد في مكتب جاك محاطاً بصور الأفلام والجوائز والأوسكارات قال جاك:

-" كل منا يجب أن يكون لديه واحد على الأقل من هذه." وضع يده على الأفلام ثم بدأ يطلع غابرييل على صور منها.

Twitter: @ketab_n

-"لماذا لا تأخذ هذه الأفلام معك؟" قال وهو يلفها في ورق " إنها تنفعك أكثر مما تنفعني."

-" جاك لماذا لم تصبح مخرجاً؟" سأل غابرييل وهو يضع الأفلام في حقيبته.

-" سؤال جيد، أعتقد لأنني كنت أعرف جيمي هندريكس عندما كان يعيش في نوتنغ هيل."

صدم غابرييل بالجواب وسأل:"ماذا ؟"

تلك هي الطريقة التي كان جاك يحب أن يتحدث بها، أن يثير إعجاب الصغار. وبالنسبة لغابرييل كان وقع هذا الكلام عليه وكأنه يقول له بأنه كان يمضي عطلته مع شكسبير.

قال جاك:" أنا عجوز كما ترى، لقد رأيت جيمي وهو يعزف مرات كثيرة في الماركيي وتلك الأماكن. وكنت أفكر بأني لن أكون عبقرياً مثل هذا الرجل مهما فعلت. من الذي كان مرشدنا الروحي في تلك الأيام ؟ لا الكهنة، ولا السياسيون ولا العلماء. لم يكن لدينا سوى الفنانين لنؤمن بهم. لذا فأنا أنتمي إلى فرق الروك الشهيرة. أنا أحب هؤلاء الفنانين الذين يلهثون وراء الأوهام. ولكني أفضل أن أنفض سيجاري وأنا جالس في كرسي مريح. إنها خسارتي - إن العمل بالفن يصيب المرء بالغرور. وربما لا يخطر ببالك أبداً بأنك لن تستطيع عمل أي شيء آخر. ولكني لم أكن واثقاً تماماً بنفسي ولم أؤمن بأني يمكن أن أكون موهوباً، أو أن لي خيالاً خصباً."

-" وأين ذهب كل ذلك؟"

-" لست أدري، هل تعتقد بأنني كنت أتمتع بالموهبة في أحد الأيام؟

Twitter: @ketab_n

ربما عندما كنت طفلاً. لا أعرف، لكنهم أرسلوني إلى المدرسة، وهناك تم ترويضي ربما."

-" جاك..."

-" ماذا هل هناك ما يقلقك تبدو متوتراً اليوم؟"

-" نعم.... أمي لديها هذه الفكرة الغريبة."

-" أية فكرة غابرييل ؟ أخبرني."

-" لقد بدأت تفكر بأني يجب أن أصبح محامياً. محام للناس الذين يعملون بمجال الأداء والعروض. وأن أحرر عقوداً لعازفي الباصون وما شابه."

-" يبه" بدا أن جاك فهم الأمر فوراً والواقع أنه وجد الأمر طريفاً

-" هذا ما هو من المفترض أن أكونه، وأنت هل تنصح بذلك؟"

مد جاك لسانه قائلاً:

-" وما المغزى من أن تقوم بعمل تكرهه؟"

قال غابرييل:

-" أريد أن يكون عملي هو حياتي وحياتي هي عملي."

-" هذا ما يتمتع به الناس الناجحون مثل ليستر جونز. معظم الناس لا يدركون ما يريدون إلا في وقت متأخر."

-" أو من يريدون أن يكونوا."

-" هذا صحيح. لماذا لا أتحدث إلى والدتك؟ سوف أخرج معها وأشرح لها عن الآفاق التي يمكن أن تنفتح أمامك إذا عملت بجد وبشكل جيد."

-" هل يسمح لك وقتك بذلك؟"

-" لا يمكنني أن أفكر بأي شيء أهم من مستقبل شاب مثلك."

Twitter: @ketab_n

عندما أنهى كارلو والأب درسهما ونزلا بدا بأنهما مرتاحان. قال جاك بأنه سوف يعطي غابرييل عندما يكبر دور مهرب في فيلم من أفلامه.

ولدهشة غابريل لم يذكر جاك أي شيء عن موضوع والدته.

بعد بضعة أيام عاد غابرييل من المدرسة ليجدها في البيت. كان وجهها متورداً، كانت تشرب ولكنها كانت مبتهجة. كان الأب في المطبخ يعد الشاي.

-" لقد وصلت للتو" قالت " احرز ما الذي حدث! لقد اتصل بي جاك هذا الصباح ودعاني إلى الغداء. لقد خرجت في مواعيد في الأسابيع الماضية أكثر مما أخرج في سنة كاملة عادة. إلى أين ستأخذني ؟" قالت سائلة أبي.

-" انتظري وسترين. هل عندك مانع غابرييل إذا خرجت مع أمك لبعض الوقت؟"

-" لا مانع، ماذا قال جاك أمي؟"

-" اتصل بي وقال بأنه يريد دعوتي إلى آيفي."

-"لم أتمكن من الرفض! اتصلت بالعمل وقلت لهم بأني لست على ما يرام. أي مكان هو آيفي هذا! كنت أنظر حولي إلى كل شخص هناك حتى أني لم أكد أسمع كلمة واحدة مما قاله. داني لا رو كان هناك، إنه رائع!"

قال غابرييل:" ما الذي كان جاك يريده؟"

-" كان يمتدح ولدي. كما قال بأن ريكس أستاذ عظيم وبأنك، حسناً... يبدو أنه كان يفكر بأنه ليس من الضروري أن تصبح محامياً وسيكون ذلك هدراً للمال والوقت"

Twitter: @ketab_n

-" وبماذا أجبته؟"

-" كل ما يهمني هو ألا يصبح غابرييل مثل أبيه."

لم يجد الأب هذا الكلام مسلياً.

احمر وجه أمي وقالت:" وعدني جاك أن يهتم بك وكأنه عرابك. أي رجل عظيم هو جاك هذا. رأسه يجب أن يكون.. بل كل جسده يجب أن يكون على طابع."

" عندها ستتمكنين من لعقه." قال أبي

" غابرييل" قالت أمه وهي تضحك:" سوف نتركك وحدك لبعض الوقت، موافق؟ إلى اللقاء"

عندما قبله والداه وذهبا أخبر غابرييل هانا بأنه خارج. لم تكن تصغي إليه، كانت تجلس على كرسي تدمدم أو تغني.

ذهب غابرييل إلى سُبليتز لكي يصنع رسماً مبدئياً لسبيدي ويلتقط له صورة وهو في وضعه الطبيعي.

أراد غابرييل أن ينهي الرسم وكان يفكر بأن سبيدي يمكن أن يعجبه أن يظهر مطعمه في اللوحة.

لم يكن كرسي الاستلقاء مناسباً تماماً. انتزع رأس سبيدي ووضعه في مكان آخر، ألم يكن هذا هو ما يسمونه الخيال؟

بعد عدة ساعات وهو يرسم ويراقب أخبر غابرييل سبيدي بأن المرحلة التحضيرية قد انتهت. وأنه لا يحتاج لرؤيته ثانية وهو عار - وكان يتلعثم في الكلام-. وأنه سيعطيه الرسم جاهزاً بعد بضعة أسابيع.

جالساً إلى طاولة العمليات كان سبيدي محبطاً وقال: "ولكني أحب أن أقف لترسمني يا ملاكي، مرة واحدة أخرى فقط".

-" أنا آسف سبيدي فوجهك قد انحفر في ذاكرتي".

Twitter: @ketab_n

صفق سبيدي بيديه وقال بأنه يكاد لا يستطيع الانتظار لرؤيتها.

حذره غابرييل:

- " لا تكن واثقاً، فأنا ما زلت طفلاً وقد تكون اللوحة سيئة".

-" كلما كانت سيئة أكثر كانت أفضل! ها ها ها " ثم أردف سبيدي " هل أخبرت أهلك بما نفعله؟"

-" لا، لا لم أفعل."

-" اعتقدت ذلك. أعتقد أن أمك لن تمانع. ولكن أباك لن يحب الصورة على الأغلب ولن يعجبه أن تمضي وقتك معي. سوف يتخيل أشياء كثيرة."

-" سأخبره عندما أكون جاهزاً لذلك."

-" صحيح" كان سبيدي يراقبه وسأله:" ما الذي تفكر به؟"

-" ماذا؟" قال غابرييل " كنت أفكر لو أنني كنت ألتقط صوراً الآن لكنت صورت الناس بلقطات مقربة فقط، مقربة جداً بحيث أصور جزءاً من الأذن أو مقدمة أنوفهم أو رقعة من بشرتهم. لن أتمكن من تصويرهم بالكامل. لماذا؟" سأل وهو واثق بأن سبيدي لديه الجواب

-"أنت مقرب جداً من والديك. لا تستطيع أن تراهما - إنهما فوقك."

-" أجل..."

-"عندما يتعلق الأمر بالآخرين يصعب دائماً أن نبتعد المسافة الصحيحة."

-" صحيح"

-" الآن أصبح لديك شيء تفكر به. هل أطلب لك سيارة أجرة؟"

-" أجل من الأفضل أن أعود إلى البيت."

عندما دخل البيت سمع غابرييل صوتاً مخيفاً. وكأن أحدهم يذبح، ركض إلى المطبخ. كانت هانا تبكي.

Twitter: @ketab_n

-" هانا هل مات أحد ؟ قولي لي ماذا حدث؟"

ظلت صامتة تنوح. أعد لها فنجان شاي وقدم لها بعض الكعك وبدأت تتكلم.

-" إنه أسوأ من الموت ! لقد عاد أبوك وأمك إلى بعضهما وكأنهما شخص واحد! أبوك يأتي بأشيائه إلى هنا".

كان هذا صحيحاً. ففي كل يوم كان أبوه يترك في المنزل شيئاً من أغراضه بشكل عرضي إلى أن عاد البيت وبدأ يشبه ما كان عليه.

شرح غابرييل:

-" إنها فترة تجربة فقط".

-" ماذا ؟"

-" لكي يجربا كيف ستسير الأمور."

-" ولنفترض أنها سارت على ما يرام؟"

كانت أمه قد شرحت له بأنها لا تستطيع إنكار بعض التحفظات على أبيه. لم يكن الأمر أنها تشك بأنه تحسن، وإنما مسألة أن أي زوجين لن يتمكنا من محو سنوات الاعتياد التي تراكمت بينهما. كانت في نهاية المطاف - وكانت تكره الاعتراف بذلك- قد اعتادت على اعتبار أبي " أحمق بعض الشيء". وتشكلت لديها عادة النفور منه ووصفه بالكسول ودفعه إلى القيام بأشياء، واعتباره فاشلاً. وهو أيضاً كانت لديه طريقته في رؤيتها باعتبارها مخلوقاً تافهاً ذا عقل تقليدي.

كان هناك الكثير على والديه أن يتجاوزاه وكان هذا يتطلب منهما جهداً كبيراً.

كان غابرييل يحب أن يفكر بأنه يحرك الأمور حين يخبر أمه بأن والدة أحد تلامذة أبيه كانت مهتمة به وقررت أن تأخذ دروساً خاصة في

Twitter: @ketab_n

الموسيقى. وبأنهاعندما سألها:"على أية آلة موسيقية ترغبين التعلم ؟" أجابت " أوه أي شيء تستخدم فيه يديك" بل وأنها بدأت تقدم له الهدايا.

" أي نوع من الهدايا ؟" سألت أمه

" مجرد أشياء صغيرة " قال غابرييل متأملاً أنه أثار غيرتها.

-" أشياء صغيرة إيه ؟" دمدمت بينها وبين نفسها وصمتت. كان يعرف بأن هذا ما دفعها إلى شراء حقيبة لأبيه لكي يضع فيها أوراقه وملفاته وكتبه.

ثم قالت هانا:" أعرف لم يعودا يريدانني هنا."

-" هناك دائماً شخص ما متخلى عنه على ما أعتقد."

-" إنه أنا."

-" لماذا لا تريدين العودة إلى بلادك؟"

-"لا أريد! لا أريد! - قبلاً كان هناك الشيوعيون والآن العصابات."

قدم لها شراباً وقال:" سأتحدث إلى أمي حول هذا الأمر إذاكنت تريدين ذلك. قد تتمكن من مساعدتك في إيجاد أحد غيرنا- ربما أناس أفضل منا."

-" هل ستفعل؟ أوه سيد غابرييل سأكون شاكرة لك!"

وهذه المرة قبلته.

عاد والداه متأخرين. كان يسمع همسهما آتياً من المطبخ بينما هو يعمل. كان ينوي أن ينزل ويتحدث إليهما ولكن أصواتهما ازدادت خشونة ثم سكون مفاجئ تبعه همود غامض. ثم ما لبثت فناجين الشاي أن بدأت تدندن تلاها عبر النافذة عاصفة من الحب كانت تقترب.

Twitter: @ketab_n

الفصل السادس عشر

كان غابرييل مفوضاً بمرافقة أبيه إلى غرفته القديمة التي لم يذهب إليها منذ أن استقر في البيتمن جديد.

صعدا الدرج ودفعا الباب، وقف الأب يشم رائحة المكان ويجول بنظره متأملاً البقايا.

-" أنا لا أريد حتى أن ألمس أشيائي الخاصة، سوف أتركها. كل شيء يبدو وكأنه مغلف بالدهون. أمك تريدني أن أحتفظ بالغرفة في حال أن الأمور لم تسر كما ينبغي بيننا. ولكني أعتقد بأنها ستسير جيداً. يبدو لي أن هذا ما تريده ألا تعتقد ذلك؟"

-" أجل، أعتقد ذلك".

كانت الأم لا تزال تخرج مع جورج، وكان غابرييل استنتج ذلك عندما اتصل جورج وارتدت ثيابها بسرعة وخرجت من البيت. في تلك الليلة اتصل أبوه من الطرف الآخر من المدينة حيث كان يعمل، فقال له غابرييل بأنها في العمل، ولكن الأب كان قد اتصل معها هناك عدة مرات. لم يتوقف الأب عن الاتصال، فما كان من غابرييل إلا أن ذهب إلى فراشه ووضع المسجلة ترد على الهاتف. في تلك الليلة عادت أمه وحدها متأخرة، وعندما تسلل إلى الباب ونظر عبره كانت تحدق في

Twitter: @ketab_n

السقف وتيدو عليها التعاسة. تلك كانت النهاية على ما يعتقد. وتأكد تماماً بأن الأمر انتهى عندما توقفت عن دراسة الإيطالية وبدأت تتساءل ما إذا كان الوقت قد تأخر كثيراً لهذا.

قال الأب:

-" حتى لو أن الأمور لم تسر كما يجب وطلبت مني أن أرحل ثانية، فأنا لن أعود إلى هذه الغرفة. أفضل أن أنام في الشارع أو عند أحد الطلاب، إذا وصلت الأمور إلى هذا الحد. مرت أوقات هنا -قال متنهداً- شعرت فيها بأني فقدت كل شيء. ولم يبق لي ما أعيش من أجله، عندما ذهبنا إلى سبيدي وبعته الصورة... أمضيت أوقاتاً عصيبة جداً. آمل ألا يحدث معك أي شيء من هذا. إن هذا حتماً يقلل من قيمة الحياة."

-"أجل، هيا أبي لنبدأ".

-" حسناً"

أول شيء فعله الأب هو نزع صورة الكرسي التي أعطاها له غابرييل. طواها بعناية ووضعها في جيبه الداخلي.

" والآن" قال بصوت فيه نغمة مؤامرة:" سنخرج الأغراض من هنا هكذا..."

-"عفوا؟"

فشرح له أبوه أنه لم يسدد الإيجار كاملاً ولا ينوي أن يفعل، لذا فعليهما أن يجدا مخرجاً بديلاً.

جمعا الأغراض وأنزلاها، كان غابرييل يتصرف بحذر، حمل الأغراض إلى الباب الخلفي بعد أن وضعها في كيس للقمامة. وصلا إلى

Twitter: @ketab_n

الشارع من مدخل جانبي. السيارة التي كان يقودها أحد أصدقاء أبيه القدامى والذي أخذ الأغراض من الجهة الأخرى ظهت وكأنها وصلت للتو ورأتهما.

جمعا أغراض أبيه الأخرى من مرآب صديقه. وفي الظهيرة كانت ثياب أبيه وغيتاراته وآلاته الموسيقية، والملصقات، والكتب، في المنزل. طلبا من هانا مساعدتهما، كانت دموعها تسيل مع كل غرض تدخله إلى البيت. بدا المنزل مزدحماً، وبهجة الأب وحماسه كانا متعبين.

أنا سعيد بالعودة وتحمل مسؤولية كل شيء هنا ثانية قال وهو يصفع مؤخرة أمي.

-" لا أحب أبداً أن أصفع وكأني حمار هرم".

-" هيا أيتها الغندورة " قال " أنت لست حماراً هرماً أنت زوجتي"

-" زوجتك؟ نحن لسنا متزوجين"

-" لا أعتقد أنني صرت جاهزاً"

-" هذا صحيح، ككل الرجال أنت غير ناضج".

-" أنت لا تملكين حس الدعابة".

-" ذلك لأنك لا تتفوه أبداً بأشياء مسلية".

-" كريستين، الآخرون يضحكون لدعاباتي ".

-" أعطني أسماءهم وعناوينهم. إنهم يفعلون بدافع التهذيب فقط".

-" ولماذا يفعلون؟"

-"لكي يتخلصوا منك بأسرع وقت. أو لأنهم تلاميذك، يتملقونك..."

-" إنه احترام وليس تملقاً، والآن اسمعي..."

- أعتقد أنني أصبت بآلام الشقيقة".

Twitter: @ketab_n

عندما خرج غابرييل من الباب وسار في الطريق كانت أصواتهما تتلاشى شيئاً فشيئاً وراءه. قصة أهله هذه كان يفكر بأن يحولها إلى فيلم في المستقبل. ليته ما كان مضطراً أن يعيشها أصلاً.

ذهب إلى زاك الذي استقبله قائلاً: "هاي أين كنت طوال هذه الفترة؟ ادخل، ادخل!"

ما أن دخل غابرييل من الباب حتى قال:" جيد أن يكون المرء هنا، ليتني جئت إليك قبلاً".

-" أين كنت؟"

-" يا إلهي كانت هناك أشياء عائلية كثيرة تجري " أجاب غابرييل متنهداً.

كان زاك يعرف من تجربته أي عمل محبط ومنهك يمكن أن يكون هذا. في كل مرة كان أهله يخرجون كان زاك يخاف بأن يعودوا بمزيد مما كان يسميه " أقارب غير مباشرين". كان لديه أخوات من غير أبيه، وإخوان من غير أمه، وأخوال وأعمام منتشرين في كافة أرجاء لندن، بالإضافة إلى أنصاف وأرباع وحتى أثمان أخوة وأخوات، مخلفات أهواء أبوين مطلقين. أحياناً كان يتساءل مَن في دائرتهم لم يكن يمت له بقرابة. أمه مثلاً رزقت بطفل منذ فترة قريبة من أحد أصدقاء أبيه، رجل ما عادت تراه.

" هيا قل كل ما عندك " قال زاك." أنت مجروح أليس كذلك؟ وأنا أيضاً".

توجها إلى الداخل. الأثاث الثمين كان موضوعاً في الأمكنة الخطأ وكان هناك حوض سمك على الأرضية وسط الغرفة، كانت محتويات

Twitter: @ketab_n

البيت في حالة فوضى كما لو أنها نقلت إليه هذا الصباح ولا تزال حيث وضعت.

-" كل شيء يصبح مقلوباً رأساً على عقب بعد زيارة " الفانغ شوا"[1] " شرح زاك." وأنا أقول لك لقد انفجر الأهل".

-" وماذا يعني هذا؟"

-"طقوا! إنهم مجرد أناس على كل حال. إنهم لا يعرفون أي شيء، أولاد القحبة".

-" لقد عاد والداي للعيش معاً".

-" في البيت نفسه؟ والسرير نفسه؟ " سأل زاك وهو ينظر إليه بدهشة. " وكيف حدث هذا؟ هل فعلا هذا من أجلك؟"

-" عفواً؟ هل هذا ما حصل معك؟"

-" طبعاً هذا ما تردده أمي دائماً:" لو لم تكن موجوداً لم أكن لأتكلم مع هذا المجنون أبيك أبداً ".

-" هل تزوجته؟"

-" طلبت منها ذلك"

-" وبماذا ردت عليك؟"

-" بأن هذا حدث بعد أن فتح المعالج النفسي بابه وسألني ما إذا كان لدي أية أحلام مثيرة للاهتمام أو أي فانتازيا جنسية فأخبرته عن قصة السمكة".

-" لا أعرفها "

---

١ دراسة توازن البيئة المحيطة ، نظام صيني يدرس علاقة الناس بمحيطهم ، وخاصة منازلهم وأماكن عملهم بهدف تحقيق التناغم الأقصى مع القوى الروحية التي يعتقد بأنها تؤثر في كل مكان .

Twitter: @ketab_n

سأل غابرييل: " هل تحب أن يعيش والداك معاً؟"

" هذا مستبعد الآن، لقد تحول أبي إلى نوع من ملكة وما إلى ذلك، الأولاد في المدرسة لا يتوقفون أبداً عن مناداته بالمخنث."

-" ياه هذا سيء، والأسوأ أننا سننتهي لأن نصبح مثل أهلنا ألا تعتقد ذلك؟"

-" لم أفكر بهذا أبداً " قال زاك " يا إلهي إنه جحيم نتوق للوصول إليه. أقترح أن لا نتزوج أبداً!"

-" لا نتزوج أبداً؟"

-" فقط ننكح ونعمل!"

-" ننكح ونعمل؟"

كان منزل زاك أكبر من منزل غابرييل بثلاث مرات تقريباً، وفيه مستنبت زجاجي يطل على الحديقة.أحضر غابرييل الحامل وبدأ زاك بتدوين السيناريو. كانا يحبان صحبتهما. وفي النهاية أخبره غابرييل بأنه تلقى تكليفه الأول، وهو أن يرسم سبيدي. وبما أن الأمر أثار اهتمام زاك فقد عاد غابرييل بعدها إلى بيته وأحضر الرسم من غرفته وأطلع زاك على العمل الذي أنجزه حتى الآن.

ابتعد زاك عن الرسم تأمله وقال أخيراً بأنه جيد. كان سبيدي يبدو وكأنه كلب بودل صغير ربح جائزة. وكان على غابرييل أن يرسمه وهو يضع وردة على صدره أو على خصره.

قرأ زاك الصيغة الأخيرة للسيناريو وكان غابرييل يقوم بوضع الملاحظات والرسوم، دخلت فتاة، كانت رومانا في السادسة عشرة من عمرها وصديقة أحد أنصاف أقرباء زاك. كانت تبدو كما لو أنها إحدى

Twitter: @ketab_n

راقصات الفنان دوغا. وبما أن غابرييل لم يكن يعرف كيف يتحدث معها بطريقة مقبولة فقد استشار آرشي.

أخبر آرشي غابرييل بأن يغلق فمه وأن يلتزم الهدوء وأن يتخذ وضعية مغوية. وذكره بشيء سبق أن قاله جاك" إذا أصبحت مخرجاً لن تسنح لك فقط فرصة التكلم بشكل مطول جداً عن رداءة المخرجين الآخرين، وعن آخر كتاب قرأته، وعن الأفلام التي صنعتها بينما الناس ينصتون إليك صاغرين، بل وستحصل كذلك على فتيات. وستكتشف بأن معظم النساء تحب الكاميرا".

قال غابرييل لرومانا:" سنصنع فيلماً قصيراً في الصيف. كيف تريدين أن تظهري فيه... أو على الأقل أن نسمعك فيه ؟"

شفتاها الجميلتان كانتا تحرسان لساناً بدا كأفعى صغيرة سامة. " وكيف تعرف بأني أريد أن أكون ممثلة؟ هل أبدو لك وكأني شخص يحب استعراض نفسه ؟ أرني القصة وسوف أوليها اهتمامي الكامل".

-" اهتمامك الكامل إيه؟"

-" نعم، ويُفضل أن تكون جيدة".

كان غابرييل ينظر إليها. وعندما غادرت طبعت قبلة صغيرة على خده.

عمل غابرييل وزاك على السيناريو حتى وقت متأخر من الليل. يكتبان ويضعان قوائم قصيرة ويراجعان بعض المشاهد، كما حاولا استعراض الموسيقى المناسبة. عندما راود غابرييل إغراء التراجع عن العمل باعتباره عبثاً وطيشاً، ولا يتحلى بالنضج الكافي، فكر بليستر وهو منحن على الأرض متكئاً على يديه وركبتيه بكل جدية من أجل صورة وبضع كلمات.

Twitter: @ketab_n

في الصباح عندما كان غابرييل يتناول إفطاره مع أبيه حاول الأب أن يناقش موضوع تلاميذه، لكن ذلك أصبح غير ممكن بعد أن قررت هانا أن تقدم استعراضاً: ركعت على ركبتيها وكأنها أحد شهداء المسيح تنظر بين حين وآخر إلى مستخدمها بعينين متوسلتين. لم يسبق أن رآها غابرييل أبداً تنظف تحت أو داخل أي شيء وهي راكعة، ولكنها تفعل هذا الآن وهي مستعدة لأن تلعق أية مؤخرة. شعر الأب بعدم الراحة مع أنه كان معتاداً عليرؤية زوجته تعمل، ولكن أي شخص آخر كان يشعره بالذنب. لقد بقي من المنادين بالمساواة... نظرياً.

" شكراً هانا" كان قد سمع هذه الجملة ينطبق بها أحد النبلاء في فيلم آملاً أن يقنعها بالتواري عن نظره. ولكنها كانت قد أصبحت مدمنة عليه مؤخراً. كانت تتبع أبي كيفما تحرك ويبدها سلة من أدوات التنظيف بأمل مزيد من المديح.

عندما عادت الأم ذهب إليها غابرييل وقال لها بأن هانا كانت قد اعتنت به جيداً، ولكنها لم تعد كما كانت.

-" أنت محق" قالت الأم " لقد أصبح البيت مكتظاً ولا بد أن ترحل، قريباً."

-" ألا تستطيعين إيجاد عمل آخر لها؟"

-" أجل، لدي فكرة، سأقوم باتصالاتي".

ثم طلبت من هانا أن ترتدي أفضل ما عندها. وعندما كانت تغادر البيت هي وهانا التي كانت مضطربة أخبرت الأم غابرييل بأن سبيدي كان يبحث عن مدبرة منزل. كانتا متوجهتين إلى منزله.

-" جيد قال غابرييل وهو يشير برأسه إلى هانا، أنا أزكي السيد سبيدي لأسباب عديدة".

Twitter: @ketab_n

-" حقاً؟" سألت أمه " وكيف ذلك؟"

-" لقد عرفته منذ زمن بعيد، أبي عرفني عليه".

-" ولكن لماذا؟"

-" كنا نلتقي أحياناً... أنا أقوم برسمه".

كان قد أقنعها بألا تدع سبيدي يأخذ نسختها من صورة ليستر، قائلاً لها بأنه يريد أن يحتفظ بها لنفسه. ووافقت، ولكنها لم تكن تعرف ما الذي يفعله مع سبيدي.

توقفت ثم قالت " ما الذي تفعلانه معاً؟"

كان خائفاً من إخبارها، ولم يكن يعرف لماذا. كان الأمر وكأنه لا يؤمن بحقه بأن يكون له حياته الخاصة، أو أنه يستطيع أن يخفي أي شيء عن والديه.

أجاب: " يبدو لي الرسم جيداً، لا بأس به. استخدمت فيه الكثير من اللون الوردي و...."

-" هل انتهيت من رسم صورة لسبيدي ؟"

-" صورة صغيرة فقط. تكاد تنتهي".

-" أين هي؟"

-" عند زاك. لماذا أنت متفاجئة هكذا؟"

-" لا شيء، وهل بدت طريفة ؟"

-"لا "

-" أمر غريب"

-" لا، ليس غريباً".

كانت تنظر إليه.

Twitter: @ketab_n

-" هذه الأشياء تعود لك، على ما أعتقد. لا أرى سبباً يمنعك من رسم سبيدي إذا كنت ترغب بذلك. ولكن لماذا لم تخبرني؟"

-" كنت مشغولة بالعمل".

-" هكذا..." قالت " أنت فتى ذو إرادة قوية ومستقل الآن. هذا جيد. هكذا يجب أن تكون الأمور". فتحت الباب ونادت:

- " تعالي هانا سوف أحل مشكلتك الآن".

قالت هذا وهي لا تزال تهز رأسها.

عندما عادتا، كانت علائم السرور تبدو على هانا، وبدأت تحزم أمتعتها. سبيدي كان يحتاج إلى المساعدة وسوف يستخدمها مباشرة.

قالت الأم:

-" إنه يريدها بشكل أساسي من أجل تحضير أدوات اليوغا على ما أعتقد".

-" وإطعام كلبه".

-" هل ذهبت إلى منزله؟" سألت الأم

-" نعم ذهبت، ألا تثقين بي ؟"

-" لا أعتقد أنه علي ذلك" قالت ثم تابعت:" أعرف من التجربة بأنك لن تفعل أي شيء لا تريد أن تفعله. وإلى أين أنت ذاهب الآن؟"

-" إلى زاك، لنعمل على الفيلم".

-" اذهب بني وعش حياتك".

-"شكراً، سأفعل".

توجه غابرييل إلى منزل زاك لينظر إلى الصورة. أحياناً كان يجلس قبالتها ساعة كاملة ليدرس ما فعله. لم يكن يستطيع القول بأن الصورة

Twitter: @ketab_n

انتهت ولكنه كان يعرف بأنه كان قد سئم منها بحيث لم يعد قادراً على رؤيتها بعينيه هو.

-" أعتقد أنها انتهت " قال أخيراً " لم أعد قادراً على إضافة أي شيء إليها".

رافق زاك غابرييل في حمل الصورة إلى البيت وكان غابرييل يريد أن يكون زاك موجوداً عندما سيريها لأمه وأبيه، معتقداً بأنهما سيكونان أقل قسوة في نقدهما وأقل دهشة بوجود شخص غريب.

جلس زاك مع الأم إلى الطاولة يتحدثان بينما كان غابرييل يجهز الصورة. أحبت الأم زاك دائماً كما أحبت الثرثرة معه، وخاصة حول حياة عائلته الفريدة من نوعها، والتي كانت تحب مقارنتها بحياتها هي.

ذهب غابرييل إلى الطابق العلوي لينادي أباه، كان يدون بعض الملاحظات عن أحد طلابه.

لاحظ غابرييل أن أباه كان يحب أن يناديه طلابه الجدد بالدكتور بانش، فسأله غابرييل:" وكأنك الكونت بايزي أو الدكتور فيلجود ؟"

- " أعتقد ذلك " أجاب الأب بحدة.

قال غابرييل:

-" أبي أريد أن أريك شيئاً. صورة قمت برسمها. ليست عظيمة ولكن لا بأس بها. أنا أحب أن أرسم ولكني أفضل أن أصنع أفلاماً".

-" هذا عائد لك " قال الأب " أنا معك في أي شيء خلاق تود فعله. وما هي هذه الصورة؟"

-" سبيدي"

-" سبيدي صديقي؟"

Twitter: @ketab_n

-"نعم"

-" وأين هي؟"

أخذ غابرييل بيد أبيه ليريه الصورة. كان زاك وأمه يقفان هناك.

-" ها هي ذي " قال غابرييل.

نظر الأب إليها وهو ينزع نظارته ثم أعاد وضعها ثم اقترب ثم ابتعد وهو يتأملها.

وبما أن سبيدي كان يحب أن يكون نجماً، فقد صنع غابرييل الصورة بشكل لقطة سينمائية عريضة وضيقة، وكأن عليها غشاوة. في الخلفية التي تبدو الغشاوة فيها أكثر كثافة تظهر طاولة عشاء مكتظة بلاعبي كرة قدم ونجوم الروك وفيما بينهم يقف بعض السقاة، وظهرت صورة ليستر في الخلفية معلقة على الحائط.

-" ليست سيئة... ؟ " سأل غابرييل " أردت أن أظهر حركة سبيدي وحركة المكان. هل تعتقدون...؟"

" كريستين" قال الأب: " هل تعرفين شيئاً عن هذا ؟"

-" قليل" ردت الأم " أنا متفاجئة بأني أحببت الصورة كثيراً، إنها رائعة وهذا كل ما يهمني".

-" انس أمر الصورة " قال الأب " أنا لا أفكر بها. ما رأيك بهذا الرجل.. سبيدي نفسه؟"

-" لقد عرفته على سبيدي " سألت الأم." أليس كذلك؟"

-" لقد فعلت. أقر بذلك وأنا سعيد بأن أعرفه على أي كان. أريده أن يختبر الحياة. أنت لا تريدنه أن يصبح أهبل مثل أولاد المدارس الخاصة هؤلاء، أتريدين؟"

Twitter: @ketab_n

-" ريكس، ما الذي تتحدث عنه؟ " قالت الأم " ها أنت تعود إلى إحدى حالات جنونك ثانية".

-" لماذا لم يكن يقوم بواجباته المدرسية؟"

التفت الأب إلى غابرييل وأمسك بيده ثم تابع:

" لقد ذهبت للقاء سبيدي دون أن تخبرني؟"

" ريكس." قالت الأم

" أريده أن يقول لي الحقيقة على سبيل التغيير. يا إلهي لقد انهارت الأشياء فعلاً أثناء غيابي".

قال لغابرييل " أنت لا تعرف شيئاً ! إن شخصاً مثل سبيدي ينزل سروالك بمجرد أن يراك!"

-" لم يقترب من سروالي".

-" لقد كنت محظوظاً إذن".

-" أبي، ما الذي تعتقد أن التربية الدينية تفعل طوال اليوم سوى وضع اليدين في الأمكنة التي لا ينبغي أن توضع فيها؟ وندعوها " يد الله". أنا وسبيدي أصدقاء".

-"أصدقاء!" زمجر الأب " هل هذا صحيح؟"

-" أنت لم تتواجد في البيت كثيراً " قال غابرييل " أنت لست على علم دائماً بما يجري".

-" هذا صحيح " قالت الأم

-" لعلك تغار مني ومن سبيدي لأننا نتحدث."أضاف غابرييل

-" يا إلهي " قال الأب وضع يديه على أذنيه " أي هراء هذا؟"

-" ولكن أبي قل لي فقط ما هو رأيك بالصورة أرجوك!"

Twitter: @ketab_n

-" اتركني وشأني " قال الأب " كفى صوراً أنا لا أفهم ما الذي يجري هنا ؟"

كانت الأم تضحك الشيء الوحيد الذي استمتعت به هو أن يشعر الأب بالإهانة، وأن يثار غضبه.

نظر الأب إليهما وخرج غاضباً، كعادته.

هذه المرة لم يمض طويلاً قبل أن يعود وهو يبدو خائفاً ومصدوماً.

-" ما الذي حدث؟" سأل غابرييل

-" لقد.. لقد طردوني".

"من؟"

كان الأب قد توجه إلى الحانة وبعد أن طلب كأس البيرة التفت ورأى التعبير على وجه أصدقائه القدامى وهم ينظرون إليه، فتذكر المرة الأخيرة التي رآهم فيها، وأنه مد إليهم يده رافعاً إصبعه الوسطى...

توجه الأب إلى النافذة انحنى ورفع رأسه وكأنه ينظر عبر منظار غواصة. "انظر ها هو بات في الخارج، الحقير إنه يناديني أن أخرج إليه!"

وقفت الأم إلى جانبه." أنت مذعور. أي رجل شجاع ؟"

بينما بقي غابرييل وأبوه في الداخل خرجت الأم وشتمت بات وأصدقاءه فابتعدوا كالخراف.

-" شكراً" قال لها الأب وهو يقبلها.

نظر الأب نظرة أخيرة إلى الرسم ولم يقل أي شيء.

بعد بضعة أيام أخذ غابرييل وزاك الصورة المكتملة إلى شقة سبيدي حيث حيتهما هانا وهي تفتح الباب.

-" كيف حالك هنا هانا ؟" سألها غابرييل.

Twitter: @ketab_n

-" الثلاجة دائماً ممتلئة. السيد سبيدي جيد معي. لقد أرسلني لأتعلم انكليزي دروس. ولكن كلب قذر".

-" هكذا تسير الأمور." قال غابرييل

كان سبيدي ينتظرهما في الغرفة المجاورة وكان غابرييل قد لف الصورة بالورق. طلب من زاك أن يضعها على الحامل وطلب من هانا أن تنزع الورق عنها. تلك كانت هي اللحظة الحاسمة.

-" حسناً سبيدي" قال غابرييل. عندما أسرع سبيدي لينظر إليها صرخ غابرييل:" ابتعدي هانا".

-"ياه ه ه" صرخت.

-"ها هي ذي ".

سبيدي الحقيقي وضع يديه على وجهه، كان يرتجف ويهتز كفتاة تكاد تستلم نتائج امتحاناتها. أنزل يديه، واقترب من الصورة ونظر إليها طويلاً. ثم بدأ يدور حولها وكأنه يتوقع أن يرى شيئاً في الخلف. كانوا ينتظرون أن يقول شيئاً.

علّق أخيراً:

- " ولكن ساقيّ لا يلمسان الأرض."

-" لا " رد غابرييل " ولكن... لكنهما لا يصلان إلى الأرض في الواقع... "

-" لا.. ولكن كان بإمكانك أن..."

-" أن... ماذا؟ أن أجعلهما أطول ؟ الفكرة هي أنك تبدو هنا وكأنك طائر فوق كل شيء" قال غابرييل." بالنسبة لي، أنت تحلّق، صح؟"

Twitter: @ketab_n

" أجل صحيح. أنا نوعاً ما أحلّق، أنت من قال هذا".

-" بالضبط"

-" رؤية صائبة"

-" شكراً"

-" شكراً غابرييل. هانا... شمبانيا"

-" ماذا ؟"

تنهد غابرييل

شربوا الشمبانيا وتصافحوا.

يمكن للرسم أن يؤطر وأن يوضع في المطعم في اليوم التالي.

لكي يحتفلوا، أقام سبيدي حفل عشاء على شرف غابرييل.

-" هل أدعو والديك؟" سأل سبيدي

-" عليك أن تفعل" أجاب غابرييل " ولكن دعنا نختار وقتاً يكونان فيه مشغولين بموعد آخر".

ضحك سبيدي " أنت بعيد النظر " قال " سوف تصل بعيداً..."

Twitter: @ketab_n

الفصل السابع عشر

بعد بضعة أشهر انتقلت العائلة إلى منزل جديد، لا يبعد كثيراً عن الأول. كان الأب يعمل بشكل جيد والأم تعمل عند سبيدي، ولكن الأب كان يستقبل طلابه في غرفة تابعة للمطبخ لها نوافذ كبيرة مطلة على نهر قريب، بعد طريق السيارات، ون الخلف كان المنزل يطل على حديقة عامة كبيرة. صار لدى غابرييل الآن غرفة نوم أكبر، وضع فيها صورة ليستر الأصلية مؤطرة فوق الموقدة- بعد أن مزق النسخ سعيداً-

تجادلت كريستين مع ريكس حول الستائر ولون الجدران، وكانا قد ألقيا معظم أثاثهما القديم، وذرعا شارع غولبورن جيئة وذهاباً وهما يبحثان عن أثاث أفضل. كان الأب يغور في أعماقه حين تنتابه نوبات الزور، والغضب واليأس- ملجؤه الخفي- عند حدوث أي شيء مؤلم. ولكنه لم يكن يستطيع البقاء هناك طويلاً إذ كان عليه أن يخرج منه ويذهب لإعطاء الدروس. وحتى لو وجد نفسه يكره أحد تلامذته، دون أن يتمكن من تجنب ذلك، فقد كان العمل يبدل مزاجه دائماً. كان يقول بأنه قد مضت سنوات منذ أن سأله أحدهم تلك الأسئلة التي يسألها طلابه. كان عليه أن يفكر ملياً كل يوم، وكان يجد ذلك ممتعاً.

صار الأب والأم في عجلة نسبياً الآن، كان كل منهما يحتل المكان

Twitter: @ketab_n

الذي يجب أن يكون فيه. الأب يسافر إلى مدارس ومسارح في كل البلاد، يدير ورشات عمل ويراقب كيف يتعلم الناس، حتى وهو يعلّم. ولا يفتأ يقول بأنه أراد أن يكتب كتاباً يسميه كيف تنصت - أو لأي شيء تصلح أذنك- الموضوع الذي كان يسجل ملاحظاته عنه باستمرار.

لم يكن غابرييل ولا أمه مقتنعين بأن الأب سيكمل هذا الكتاب، ولكنهما لم يراهنا على ذلك أيضاً.

في البيت كان الهاتف يرن في كثير من الأحيان، وكان الطلاب يأتون إلى البيت غالباً بعد المدرسة وفي عطل نهاية الأسبوع. كان الأب يتكلم باستمرار عن طلابه ويهتم بتطورهم. على كل كانت الأم هي التي جعلته يفكر إلى أين يريد أن يذهب بطلابه موسيقياً. لم يكن من الممكن أن يستمر في الارتجال إلى ما لا نهاية. وببعض القسوة نصحته كذلك بألا يعزف شيئاً من أعماله إلى طلاب الغيتار وهو يردد: " وهذا مثلاً من أعمالي". ليس لأنه توقف عن كتابة الموسيقى: فقد كان يخطط لإنتاج أوبرا مع طلابه، عندما يسمح له الوقت بذلك. ولكنه كان في تلك الفترة مشغولاً بالتفكير بموسيقى فيلم غابرييل.

كان كل من الأم والأب يعملان، ولكنهما كانا يخرجان أكثر من أي وقت مضى. في البداية كان جاك يقدم لهما بطاقات الدعوة التي تأتيه، بما أنه كان يدعى إلى كل الأمكنة، حين لا يسمح له وقته بالحضور. كانت الأم تحب أن تتأنق. وبالإضافة إلى بطاقات جاك كانت تقنع الأب بالذهاب إلى المسارح ومعارض الرسم، والحفلات الموسيقية والمطاعم التي ينصح بها في الصحف. إذا كان الأب مشغولاً كانت تأخذ غابرييل معها.

Twitter: @ketab_n

لم تكن الاختلافات غائبة، ولكنهما كانا يبدوان في الوقت نفسه متضامنين بشكل لم يسبق أن كاناه سابقاً. في أحد الأيام بينما كانا يجلسان في مطعم ركع الأب على إحدى ركبتيه. اعتقدت الأم بأنه أوقع منديله، ولكنه كان يطلب يدها للزواج. عندما تمكنت من التوقف عن الضحك، وافقت.

بعد بضعة أسابيع، عندما كانا في طريقهما إلى مكتب التسجيل المدني مع غابرييل وهو يرتدي أفضل ما لديه من ثياب ظلت تكرر: "ولكنني لست متأكدة، ولكنني لست متأكدة"

-" ولا أنا " رد الأب.

-" لن نصل إلى هناك قبل أن يقتل أحدنا الآخر" قالت أمي.

-" اصمتا كلاكما " قال غابرييل " كل منكما يستحق الآخر".

حضر حفل الزفاف الأصدقاء والأقارب وهانا، حفل أقامه سبيدي في غرفة من سبيليتز. كل من كان يعنيهما كان موجوداً ما عدا آرشي، الذي كان حاضراً بروحه. كان زاك مندهشاً وغاضباً من الغيرة. لم يكن هناك فتيان كثيرون يحضرون زفاف والديهما. كان سبيدي قد وضع بعض الآلات الموسيقية على منصة وعزف الأب وبعض أصدقائه ألحاناً من الأيام الماضية، ورقص الجميع حتى مطلع الفجر.

عندما جاء الصيف، وجد غابرييل نفسه خلف الكاميرا للمرة الأولى. كان هو وزاك على وشك البدء بتصوير المشهد الأول من الفيلم الذي كانت تجري أحداثه في السوق المحلي. كانت رومانا تبكي وهي ترتدي الثياب التي اختارتها لها الأم، بما فيها حذاء ذو كعب عال. هانا كانت تقف في الخلفية وهي تتسوق وتبتسم للكاميرا كما لو أن الناس

Twitter: @ketab_n

في بلدها يرونها من وراء الكاميرا. كارلو كان يهتم بالصوت، ومجموعة من طلاب الأب كانوا يساعدون في الإضاءة والتجهيزات. سيقوم غابرييل بعملية المونتاج باستخدام تجهيزات جاك وتحت إشرافه.

أخيراً نظر غابرييل من خلال الكاميرا ورأى المشهد الأول كما تخيله. كان قد تدرب عليه، كان الضوء مثالياً وكل شيء في مكانه الصحيح.

كان آرشي هادئاً في الداخل، ومشجعاً وثابتاً.

كان هذا هو الشكل الوحيد للسحر الذي أراده غابرييل، حلم مشترك، يحول القصص إلى صور. قريباً سيحتل الخيال الشريط السينمائي، ولن يمضي كثير قبل أن يتمكن الآخرون من رؤية ما كان يحمله في رأسه خلال الأشهر القليلة الماضية، ولن يكون وحيداً بعد الآن.

تأكد من أن كل من كان حوله كان جاهزاً ورفع يده.

" ابدأ التصوير" قال " ابدأ التصوير- أكشن".

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تصميم الغلاف: عصام داود

حنيف قريشي (1954 -) كاتب بريطاني من أب هندي مهاجر. يكتب المسرحيات و القصص القصيرة و سيناريوهات الأفلام. صدرت أهم أعماله عن دار النشر الشهيرة "فابراندفابر" وفي روايته "هدية غابرييل" استعادة لأجواء الفن في الستينات الصاخبة. و قراءة تحولات عائلة مهددة بالتفكك يعيد بناءها صبي فنان و ذكي.

ISBN 2-84305-974-X